

موسوعة

في ظلال شهداء الطف

الجزء الأول





ISBN 978-9933-489-68-7

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٣: ٣٣٧

الصميماني، حيدر

موسوعة في ظلال شهداء الطف / تأليف حيدر الصميماني؛ [تقديم اللجنة العلمية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية. محمد علي الحلو]. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٤ق. = ٢٠١٣م.

٤ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ١٢١).

المصادر. ISBN:٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٦٨٧

١ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ. - أصحاب - السيرة. ٢ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ. أصحاب - صفات. ٣. واقعة كربلاء، ٦١هـ. شهداء. ٤. التاريخ الإسلامي - العصر الأموي - شبهات وردود. ألف. الحلو، محمد علي، ١٩٥٧-، مقدم. ب . العنوان

BP 193. 13 . A3 . S269 2013

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



تأليف

الشيخ حيدر الصمياني

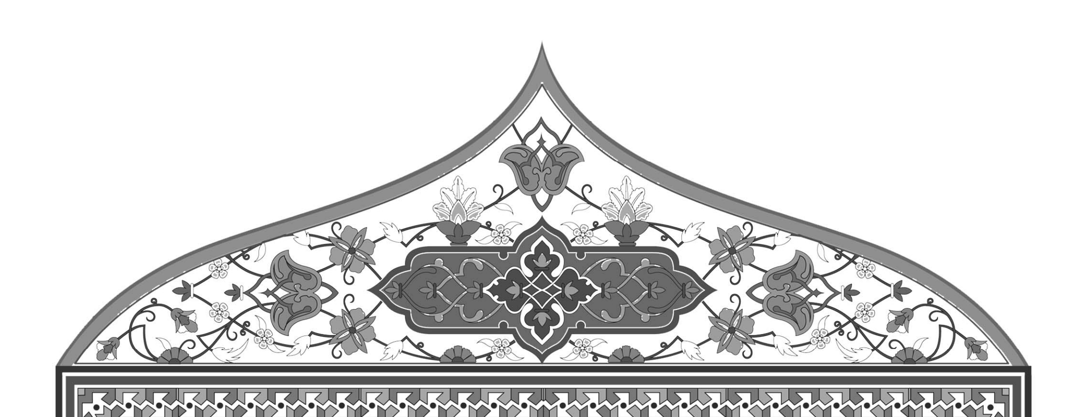
الجزء الأول

إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
الموقع الالكتروني: imamhussain-lib.com
البريد الالكتروني: info@imamhussain-lib.com



قال الإمام الصادق عليه السلام

في زيارته لأصحاب الحسين عليه السلام:

السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَوْلِياءَ اللهِ وَأَحِبّاءَهُ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَصْفِياءَ اللهِ وَأَوِدّاءَهِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ دِينِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ رَسُولِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ أَميرِ المُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ أَبِي مُحَمَّد الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الوَلِيِّ النَّاصِحِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ أَبِي عَبْدِ اللهِ، بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي طِبْتُمْ وَطابَتِ الأَرْضُ الَّتِي فِيها دُفِنْتُمْ وَفُزْتُمْ فَوْزاً عَظِيماً فَيالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ مَعَكُمْ.

زيارة وارث



الإهداء

إلى ريحانة المصطفى وابن علي المرتضى وابن فاطمة الزهراء

أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إلى من قدموا الغالي والنفيس من أجل دين الله ورسوله.

إلى من طلقوا الدنيا وكل زينتها وزبرجها دفاعاً عن الشريعة.

إلى من قدموا دماءهم رخيصة بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إلى الذين لم يسبقهم من كان قبلهم، ولم يلحقهم من جاء بعدهم.

إلى من قال الحسين عليه السلام في حقهم:

ما رأيت أصحاباً أبر وأوفى من أصحابي.

إلى شهداء الطف جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع راجياً منهم القبول والشفاعة.

مقدمة اللجنة العلميّة

تُشكل مجموعة انصار الحسين عليه السلام منحىً آخر من مناحي البحث في حركة الإمام الحسين عليه السلام إذ التعددية التي تميّز مجموعة الأصحاب تنعكس على التعددية الفكرية والثقافية والاجتماعية التي عُرفت بها هذه المجموعة لكنها تشترك في نمط أخلاقي – عقائدي يُشير الى المستوى القيمي لهذه المجموعة، وبمعنى آخر فان تسليط الضوء على مجمل هذه الحركة يُعطي بُعداً آخر من المعرفة الاجمالية للثورة الحسينية ومعلماً آخر من ملامح هذه النهضة، إذ التوجهات المتعددة لأنصار الإمام الحسين عليه السلام تكشف أن النهضة الحسينية استقطبت كل التوجهات الفكرية والثقافية وانها لم تقتصر على اتجاه دون آخر ولا ثقافة دون أخرى، بل هي متعددة التوجهات الثقافية التي ترعرعت في جو عقائدي واحد وهو طاعة المعصوم والتسليم له. ان كشفاً سريعاً لهذه المجموعة من الأصحاب تعطي كشفاً حقيقياً لنموذج عقائدي تشترك فيه جميع المستويات الثقافية والرؤى المختلفة، وهذا في واقعه يُعطي بُعداً آخر لثورة الإمام الحسين عليه السلام تكشف عن قوة تأثير الاستقطاب الذي أحرزته هذه

الثورة والحالة الإنسانية التي حملتها حتى راح الجميع يستشعرون مسؤوليتهم من خلال الانضمام إليها.

إذن فان الدراسات في مضمار الثورة الحسينية وتقديم الأنموذج الأكمل لكوادرها – أصحاب الحسين عليه السلام – وهو فنٌ قائم بذاته، إذ محاولة البحث في أسماء هؤلاء الأصحاب والتأشير على سيرتهم وتوجهاتهم يحتاج الى جهود كبيرة للوصول الى بعض النتائج، كما أن الخلط الذي صاحب بعض الأخبار فيما يتعلق بهذه الصفوة من الأصحاب يحثُ الباحث على بذل الجهد في تخليص الواقع التاريخي لهؤلاء مما اكتشفته كتابات البحث.

لذا فان الدعوة قائمة الى بذل الوسع في تحقيق هذه البحوث ونشر هذه المعارف ليتسنى لنا الوقوف على حقائق مفقودة كثيرة.

ان ما قدمه الشيخ حيدر الصمياني من جهد في دراسة شهداء الطف جهدٌ يضاف الى الجهود المبذولة في هذا الشأن، حيث سلط الأضواء على سيرة وحياة الشهداء رضوان الله عليهم وسعى في إيجاد بحوث ترفع الكثير من حالات الخلط، دام موفقاً لبحوث أخرى.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو

المقدمة

لماذا هذه الموسوعة؟

الحديث عن أبطال كربلاء ورجالاتها يمثل في الواقع حديثاً عن لبّ كربلاء ولبابها، لأن كربلاء ـ والتي نحتفي بها وبذكرها دائماً إنما هي في الواقع مجموعة من المواقف العظيمة التي سطرها لنا مجموعة من الناس لم يدركهم الأولون بعمل ولم يلحقهم الآخرون بعمل.

ولقد كُتبت عن الثورة الحسينية المباركة وعن رجالها الكثير من الكتب والمقالات وألقيت العديد من المحاضرات والخطابات وأقيمت شتى البحوث والندوات، وهذا أمر مُسلَّم به ويشعر به كل واحد منها بلا أدنى شك وريب. ولكنها مع كثرتها لم تستوعب – حسب علمي – كل مجالات كربلاء لاسيما المتعلق برجالها ورموزها والتي يقول الحسين عليه السلام في حقها:

«إني لا أعلم أصحاباً ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أصحابي وأهل بيتي»[1].

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤ / ٥٧.

نعم اُلفت في حقهم بشكل خاص مجموعة من المؤلفات مشكورةً أمثال «أنصار الحسين» للعلامة المرحوم محمد مهدي شمس الدين و«وسيلة الدارين» للسيد الزنجاني و«الحدائق الوردية» للمؤرخ الزيدي حميد بن أحمد المحلي و«إبصار العين» للشيخ محمد السماوي وأمثال هذه الكتابات، ولكنها كانت تتحدث بشكل مقتضب عنهم (رض)، حتى أن بعض المترجم عنهم لا يتعدى الحديث عنه السطرين أو الثلاثة، وحتى لو كُتب عنهم فإن مستوى هذه الكتابات إنما هو في حدود واقعة كربلاء، أو ما يرتبط بها كثورة مسلم بن عقيل في الكوفة، والذي لا يتعدى في أفضل الأحوال عدد الأصابع من الشهداء وبقي الكمُّ الغفير في دائرة الظلام لا يذكرون ولا يتحدث عنهم ولا يسلط عليهم الضوء بل ولا تعرف حتى أسماؤهم، وهذا لعمرك ظلم كبير وتعدٍّ عظيم على مثل هذه الشخصيات الكبيرة والمهمة في نفس الوقت، والتي ينبغي أن يُشار إليهم وإلى ما قدموا من أعمال جليلة وكبيرة للإسلام وللمسلمين.

من هنا فقد رأيت من اللازم علينا أن نتحدث عن هذه الشخصيات وما يرتبط بها من أمور وأحداث.

وكانت البداية عبارة عن مجموعة من المجالس المتناثرة التي ألقيت في الكويت حول شهداء الطف، حيث أخذتُ أتحدث عنهم بشكل مستقل في كل ليلة فرأيت أن التفاعل بدأ يكبر والانشداد بدأ يزداد وأخذت الأسئلة تترى وتتسع حولهم (رض)، بل وأخذت الدعوات تأتيني من قبل الكثيرين من الأخوة الأعزاء والذين كانوا يحضرون مجالسنا في ضرورة تدوين هذه المعلومات مع مصادرها

في كتاب حتى يمكن أن يكون مرجعاً وموئلاً للمؤمنين في الحصول على معلومات معينة حول أي شخصية من شخصيات كربلاء المقدسة، فضلاً عن كلمات الشكر والامتنان التي أتحفوني بها جزاهم الله عني خيرا، ولمّا رأيت الأمر قد وصل إلى هذا الحدّ علمت بأن أعباء المسؤولية قد بانت معالمها عليّ (وإذا أراد اللهُ أمراً هيّأ له أسبابه).

وأخذتُ القلمَ وبدأت أكتبُ فوجدتُ ثقلَ القلمِ قد أَخَذَ يخنقني حيث لم أتعوّد أن أكتب سابقاً إلا في حدود المحاضرات المنبرية التي لها طراز خاص وطابع خاص يختلف كثيراً عن التأليف والكتابة لا سيما في مواضيع من هذا القبيل كما لا يخفى على أهل الاختصاص ذلك. ولكني كنت عازماً ومصمماً على المضي في هذا الطريق وعدم الوقوف فيه أمام عثراته الأولى وأنا أعلم أنها ستكون موجودة ومتوفرة لاسيما خلال البداية الأولى من تأليف هذا الكتاب.

فتوكلت على الله، وبذلت الوقت والجهد في البحث والتنقيب، والذي لم يكن بسيطاً وسهلاً أبداً كما لا يخفى على من خاض في هذا المجال، فلقد كانت المعلومات نادرة عنهم (رض) بل ربما كانت عن بعضهم شبه معدومة بالكامل.

وبعد أكثر من سنة ونصف من البحث والتنقيب والمطالعة استطعت أن أُكْمل - بتوفيق الله وتسديداته- الحديث عنهم في الجزء الأول من هذا الكتاب الذي أسميته «موسوعة في ظلال شهداء الطف» وإنما اخترت «في ظلال» دون بقية الكلمات الأخرى لأني قصدت بذلك أن أجمع كل ما يعود من معلومات عنهم (رض) وأضعها تحت خيمة واحدة أطلقت عليها كلمة «ظلال». فقد ذكرتُ

ما أستطيع من أسماء آبائهم (رض) وأخوانهم وأبنائهم بل وعنهم (رض)، حيث كان بعضهم راوياً ثقة روت عنه صحاح المسلمين عند الفريقين، وللمثال أذكر هنا شخصية الشهيد عبد الله بن بشر الخثعمي (رض) حيث روى عنه البخاري والبيهقي وأحمد وغيرهم، الكثير من الروايات؛ حيث ذكرتها وذكرتُ ما يمكن أن يكون محل الدرس والعظة والعبرة فيها.

وهكذا كانت شخصية الشهيد أبو الشعثاء الكندي حيث عُدّ من جملة رجالات الطبري في تفسيره كما سيأتينا عند الحديث عنه في الجزء الأول من هذه الموسوعة، وهذا فيض من غيض الشهداء الكربلائيين (رض)، الذين ينبغي علينا أن نقدم للناس آثارهم وما قدموه لتكون لنا مناراً يُهتدى به.

ولقد بذلت جهدي أن أجعل هذه الموسوعة – التي ربما تمتد في أجزائها إلى اثني عشر جزءاً بإذن الله تعالى – سهلة سلسة في كلماتها ومواضع العظة والعبرة بها مبتعداً قدر الاستطاعة عن التعقيد والصعوبة من أجل أن تكون – وهذا ما نريده ونتأمله – أقرب إلى فهم عامة الناس لتكون الفائدة أعم، وإني إذ أقدم هذا الجزء الأول أتمنى منه سبحانه وتعالى أن يعينني على إتمام بقية الأجزاء الأخرى، فإن حق هذه الفئة من الناس علينا كبير بل لا يوجد مسلم في شرق الأرض وغربها عَلم بذلك أم جَهِلَ إلا وفي رقبته حق لهم عليه.

ولا يفوتني أن أدعو الله – وهذا من الواجب عليّ – لكل أولئك الذين كان لهم الفضل والمنة عليّ في انجاز مثل هذا العمل سواءً بالفكرة والنصيحة والإرشاد أو بالحث والدفع والنصرة أو بالمراجعة والتدقيق والتصحيح أو بالدعاء لنا

بالتوفيق، أدعوا لهم جميعاً أن لا يحرمني منهم ومن عطائهم وأن يجعلهم دائماً في طريق الخير والعمل الصالح.

وأخيراً فإن هذا العمل بذلت جهدي فيه من أجل إخراجه - على قدر ما استطيع - مناسباً لا كاملاً فإن الكمال لله سبحانه وتعالى، وعليه فإن كان فيه نقص في ألفاظه ومعانيه أو في فكرته ومضمونه فإني أرجو من أخواني القراء جميعاً أن يبينوها لي من خلال وسيلة الاتصال المدونة آخر هذه المقدمة حتى يمكن لي أن أتدارك الصالح منها في المستقبل إن شاء الله تعالى فإن النقد البناء لا يمكن أن يستغني عنه أحدٌ مهما أوتي من العلم وغزارة المعلومات.

وقد شاءت أقدار الله سبحانه وتعالى أن تكون آخر كلمات هذا الكتاب تنتهي في يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام في الثالث من شعبان سنة ١٤٣٢ هـ لتكون هذه الموسوعة قد ولدت مع ذكرى ولادة سيد الشهداء عليه السلام ليجتمع اللفظ مع المعنى والشكل مع المضمون سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يتقبله مني بأحسن قبوله وأن لا يحرمني من شفاعة الحسين وأهل بيته وأصحابه إنه أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حيدر الصمياني

الثالث من شهر شعبان ١٤٣٢ الموافق ١ / ٧ / ٢٠١١

من هم أصحاب الحسين عليه السلام؟

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج وهو يتحدث عن الإباء والشجاعة:

«قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد: ويحك، أقتلتم ذريّة رسول الله؟! فقال: عضضتُ بالجندل[1] أنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلناه، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينهما وبين الورود على حياض المنيّة أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنّا فاعلين لا أمّ لك!»[2].

لقد أحسن هذا الرجل في بيان صفة، أو صفات، أصحاب الحسين عليه السلام، لقد أعطاهم جملة من الصفات العظيمة، فهم الفدائيون، وهم أصحاب الشجاعة الفريدة، وهم المشتاقون إلى الجنّة، وهم الزاهدون في الدنيا، وهم وهم، لقد أبان فضلهم وهو العدّو، والفضل ما شهدت به الأعداءُ، إنّها عصابة الحقّ التي يصفها

(١) الجندل: الحجر العظيم.

(٢) نهج البلاغة: ج١ ص٣٠٧.

الله عزّ وجلّ بقوله:

﴿ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [١].

ولو أراد الإنسان أن يستقصي صفاتهم وخصائصهم وما تميزوا به، لاحتاج الأمر إلى مجلّدات لا إلى صفحات، ولقد قال الشيخ محمد جواد مغنية عنهم: «ومن تتبّع سيرة أصحاب الحسين عليه السلام لا يجد لإخلاصهم وعزمهم نظيراً بين الشهداء وأتباع الأنبياء كما لا يجد شبيهاً لتضحيات الحسين عليه السلام في التاريخ كلّه، وقد أثنى عليهم الشعراء بما هم أهل لأكثر منه. قال الشيخ حسن البحراني يصف إيمانهم وورعهم:

إن ينطقوا ذكروا أو يسكتوا فكّروا	أو يغضبوا غفروا أو يُقطعوا وصلوا
أو يُظلموا صفحوا أو يوزنوا رجحوا	أو يُسألوا سمحوا أو يحكموا عدلوا[٢]

ولكن وكما يقال: ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه، حيث سنسلّط الأضواء على بعض الصفات المهمّة التي تميّزوا بها رضي الله عنهم

١. إنّهم مصطفون للشهادة قبل شهادتهم

وهذا ما دلّت عليه أخبار كثيرة نذكر منها ما يلي:

أ. عن أمير المؤمنين: «أنّه خرج يسير بالناس، حتى إذا كان بكربلاء على ميلين أو ميل، تقدم بين أيديهم حتى طاف بمكان يقال له «المقذفان» فقال: قُتل فيها مائتا نبي ومائتا سبط كلّهم شهداء، ومناخ ركاب ومصارع عشّاق شهداء، لا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.

(٢) المجالس الحسينية للشيخ محمد جواد مغنية: ص٦١.

يسبقهم ممن كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم».[(١)]

ب. حينما عُنِّف ابن عباس على عدم نصرة الإمام الحسين عليه السلام أجاب، كما في مناقب شهر آشوب: «إنّ أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم».[(٢)]

ج. قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ها هنا مناخ ركابهم ومصارع عشاقهم، شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من كان بعدهم».[(٣)]

د. عن الصادق عليه السلام:

«تفاخرت قطع الأرض بعضها على بعض، فقالت أرض كربلاء بتواضع: أنا أرض الله المباركة المقدّسة، الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر، بل أنا خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك، ولا فخر على من دوني بل شكراً، فأكرمها الله وزادها بتواضعها وشُكرها لله بالحسين وأصحابه».[(٤)]

هـ. عن المسيّب بن نجبة الفزاري: «لمّا أتانا سلمان الفارسي قادماً فلقيناه فسار بنا إلى أرض كربلاء، فلما رحلنا قال: هذه مصارع أخوتي؛ هذا موضع

---

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص٢٩٠ ب١١٤ ح١٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٥٣.

(٣) الخصائص العباسية للكلباسي النجفي: ص٣٤٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥١٦.

رحالهم، وهذا مناخ ركابهم، وهذا مهراق دمائهم، يقتل فيها ابن خير النبيّين، ويقتل فيها خير الآخرين».[1]

و. قال الإمام الصادق عليه السلام في زيارة وارث مخاطباً أولئك الشهداء من أصحاب الحسين عليه السلام:

«السلام عليكم يا أوصياء الله وأحبّاءه، السلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه».[2]

ز. عن جبلة المكّية قالت: سمعت ميثم التمّار يقول: «يا جبلة، اعلمي أنّ الحسين بن علي سيّد الشهداء يوم القيامة، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة».[3]

ح. عن ابن عباس قال: فلمّا كانت الليلة القابلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي أشعث، فذكرت ذلك له وسألته عن شأنه فقال لي: «ألم تعلم أنّي فرغت الآن من دفن الحسين وأصحابه».[4]

٢. الرحمة والشفقة على الأعداء

وهذه مزيّة أخرى من المزايا الكثيرة التي تمتّعت بها هذه الثلّة المؤمنة ألا وهي الشفقة والرحمة الملفتة للنظر والتي وصلت إلى حدّ أنّها شملت حتى أعداءهم، حيث لم يكونوا يقاتلون انتقاماً ممّن وقفوا ضدّهم، وإنّما كانوا يقاتلون

(١) فتوح البلدان: ص٤٠٦.

(٢) مفاتيح الجنان: ص ٤٣٠.

(٣) علل الشرائع: ص٢٢٨.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي: ص٣١٥.

حبّاً للخير وانتصاراً للحقّ، وهذه هي مبادئ الإسلام التي جاء بها وطبقها رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، حتى نودي في كتاب الله بقوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1].

فها هو التاريخ يحدّثنا أنّ النبي صلى الله عليه وآله امتنع عن قطع مجرى الماء عن حصون خيبر، وهو الذي كان بأمسّ الحاجة إلى أن يسرع في القضاء على اليهود، أولئك الجرثومة التي بذل النبي صلى الله عليه وآله الكثير من أجل أن يتعاملوا معه بالحسنى، ولكنهم كانوا ينقضون عهودهم وميثاقهم مرّة بعد أخرى، حتى نزل القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ ﴾[2].

والذي منع رسول الله من ذلك هو الرحمة، رحمة النبي صلى الله عليه وآله ورحمة القرآن ورحمة المنهج الذي جاء به صلى الله عليه وآله، بل إنّ الأعظم من ذلك هو أنّه صلى الله عليه وآله حينما فتح حصون خيبر وغنم من اليهود ما غنم من كمّيات كبيرة وهائلة من الذهب، وهم كانوا أصحاب الذهب وصاغته، وإذا به صلى الله عليه وآله يأمر أن يوزّع كلّ ذلك على فقراء مكّة ومساكينها، رغم ما فعلته مكّة وكفّارها وأهلها به صلى الله عليه وآله حتى قيل: إنّ النبي صلى الله عليه وآله فتح قلوب أهل مكّة قبل أن يفتح مكّة، وهكذا صنع أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٥ ـ ٥٦.

مع معاوية في عدم منع الماء عن جنده في حرب صفّين كما منعه معاوية عن جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك لأنّ عليّاً كان ينطلق من قاعدة إنسانية مهمة وهي:

«أنّ الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[١].

فحتى لو كان أمامه عدوه فإنه يبقى يعامله كإنسان، له حقوق يجب أن لا تمنع منه، كالماء أو ما شاكل ذلك، بل لقد حرّمت الشريعة وضع السموم في المياه من أجل التخلّص من العدوّ والقضاء عليه، لما في ذلك من معاملة غير إنسانية، ولقد سار على هذا المنهج كل واحد من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والروايات والقصص في ذلك كثيرة، ولقد وقف الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرم، ينظر إلى هذه الجموع الواقفة أمامه نظرة المسؤول، ونظرة الشخص الرحيم صاحب الخلق السامي العطوف الذي يمثّل الإسلام بعطفه والرسول بمحبّته، وقف يبكي فتسأله أخته زينب: لماذا كلّ هذا البكاء يا بن رسول الله؟

فقال:

«أبكي على هؤلاء القوم، إنّهم سيدخلون النار بسببي»[٢].

يا لها من إنسانية في أعلى صورها وأشكالها، يا لها من شفقة لا يستطيع الإنسان أن يجد لها مثيلاً إلاّ من خلال عدل القرآن وترجمانه، ألا وهم أهل البيت عليهم السلام، وقف الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرّم يبكي عليهم لأنّه أراد لهم

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٧/ص٣٣.

(٢) بنور فاطمة اهتديت لعبد المنعم حسن:ص٢٠١

النجاة وأرادوا لأنفسهم الهلاك، فيبكي على مصيرهم الذي سوف ينتهون إليه، فكان تجسيداً لقوله تعالى:

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

ووقف أنصاره وأصحابه يعايشون ما عايشه سيّد الشهداء، لأنّهم ذابوا في الحسين عليه السلام فلم يكن لهم من مشاعر سوى مشاعر الحسين عليه السلام، ولهذا حملوها في نفوسهم وقلوبهم وعقولهم، يقف حنظلة بن أسعد الشبامي يوم العاشر من المحرّم متمثّلاً قوله تعالى:

﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[2].

ويقف زهير بن القين البجلي وهو يقول: «يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار لكم، إنّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد وملّة واحدة»[3].

كلّ ذلك وغيره ليشير وبشكل واضح إلى الرحمة العالية والشفقة الكبيرة والقلب الواسع والصدر الرحب الذي يحمله أصحاب الحسين اتجاه أعدائهم الذين يريدون قتلهم، فضلاً عن أصحابهم ومحبّيهم.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ٣٠ ـ ٣٣.

(٣) إبصار العين للسماوي: ص١٢٩.

٣. المحافظة على أوقات الصلاة

عرفوها كما هي فذابوا فيها، علموا أنّها معراجهم إلى الله فلم يتوانوا يوماً في تعظيمها، سمعوها من أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّها عمود الدين فتمسكوا بها، إنّها الصلاة التي «إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها»[١]، عاشوها مع علي عليه السلام الذي لم يترك صلاة الليل حتى في ليلة الهرير العظيمة في معركة صفين[٢]، وعاشوها مع الحسن عليه السلام الذي ينقل عنه ابن شهر آشوب قائلاً: «إنّ الحسن بن علي كان إذا توضّأ ارتعدت مفاصله واصفر لونه فقيل له في ذلك فقال: «حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله». واذا بلغ المسجد رفع رأسه قائلاً: «إلهي، ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم».[٣]

وعاشوها مع الحسين الذي سمعوه يقول للعباس يوم التاسع من المحرم: «إن استطعت أن تصرفهم عنّا هذا اليوم فافعل، لعلّنا نصلي إلى ربّنا هذه الليلة، فإنّه يعلم أنّي أحب الصلاة وتلاوة القرآن».[٤]

ولهذا كلّه وقفوا يضربون أعلى المثل وأجمل الصور في ذلك. يقف أبو ثمامة الصائدي أو سعيد بن عبد الله الحنفي وقد نظر في السماء وأخذ يقلّب وجهه فيها، ثمّ توجّه إلى الحسين عليه السلام وقال نفسي لنفسك الفداء، أرى هؤلاء قد اقتربوا

(١) من لا يحضره الفقيه ج١/٢٠٨ ـ ٦٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١/ ص٢٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص١٤.

(٤) مقتل المقرّم: ص٢١٢.

منك، لا والله لا تقتل حتى أُقتل معك، وأحب أن ألقى ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها، فأجابه الحسين عليه السلام:

«ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين».

وأقاموا الصلاة.[١]

٤. اليقين بالله وبثوابه

لقد نقلت لنا كتب التاريخ ألواناً من صور الإيثار والفرح التي كان أصحاب الحسين يعيشونها في ذلك اليوم العظيم وكأنّهم واقفون على أبواب الجنّة يريدون الدخول إليها، وهذا لعمري يقين عظيم؛ تقول الرواية: لمّا أخبر الحسين أصحابه بأنّهم سيقتلون، قالوا بأجمعهم: «الحمد لله الذي أكرمنا وشرّفنا بالقتل معك، أولا ترضى أن نكون منك في درجتك يا بن رسول الله»[٢].

ويقول الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله: «في ليلة العاشر من المحرّم ضُرِب للحسين فسطاطٌ ليطلي بالمسك والنورة، ولمّا دخله وقف برير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري تختلف مناكبهما ليسبق كلّ واحد منهما صاحبه إلى فاضل المسك، فيفوز بما لمسته أنامل الطهر والقداسة، فيعرف[٣] نشر المسك مع نشر الدم الزكي، دم الشهادة والتضحية، قال راوي الحديث: فأخذ برير يهازل عبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري ويضاحكه، فأجابه عبد الرحمن: دعنا،

(١) معالم المدرستين ج٣ ص١١.

(٢) نفس المهموم: ص١٢٢.

(٣) من العرف، وهو الرائحة الطيّبة.

فو الله ما هذه بساعة باطل، قال برير: والله لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل شابّاً ولا كهلاً، ولكنّي لمستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلاّ أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ووددت أنّهم مالوا علينا الساعة».[1]

٥. تشخيص الأولويّات

مشكلة الكثيرين من الدعاة والعاملين لله سبحانه وتعالى تكمن في عدم تشخيص الاولويات، فيعمل بما تكليفه الترك ويترك بما تكليفه العمل، ويقدّم ما تكليفه التأخير ويؤخّر ما تكليفه التقديم، وهكذا، ومثل هذا المرض قد يصيب الأمّة بكاملها بكلّ قياداتها وزعاماتها، بحيث إنّ الجميع يخطئون في تقدير ما يحسن فعله وما لا يحسن فعله في ذلك الوقت، بينما نجد العكس عند أصحاب الحسين عليه السلام، فوضوح الرؤية عندهم كانت بادية للعيان بشكل كبير تجاه الأولويّات التي ينبغي عليهم أن يفعلوها لتحقيق أهدافهم الكبرى، ومن ثم ما كانوا ليعتذروا بأمور أخرى أقلّ أهمّية من أدائهم مثل هذا التكليف، صحيح ربّما كان قيامهم بمثل هذا التكليف يمنعهم أو يحرمهم من الوعظ والإرشاد وتبليغ أحكام الإسلام والدفاع عن معارف أهل البيت وعلومهم، بل إنّ أداء مثل هذا التكليف لسوف يمنع بعضهم من القيام لصلاة الليل وطرق أبواب الفقراء والمساكين واليتامى والمحتاجين. لقد شخّص أصحاب الحسين عليه السلام من خلال قانون ومقياس المهمّ والأهمّ في دائرة أحكام الشريعة أن لا مجال للخوض في أيّ جزئية من الجزئيّات السابقة، مهما عظمت وجلّت، مع ترك النصرة والدفاع عن الإسلام

(١) المجالس الحسينية للشيخ محمد جواد مغنية: ص١٠١.

وكرامته المتمثّلة بالموقف العظيم والكريم الذي وقفوه مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وبتقديري أنّ ذلك درس لنا جميعاً لكي نتعامل مع الشريعة الإسلامية وأحكامها على هذا الأساس، فلا نفرّط بما لا مجال للتفريط به، ولا نتمسّك في نفس الوقت بالقشور وندع اللبّ يسقط إلى الأرض ويداس في الأقدام.

٦. التركيبة المتميّزة لأصحاب الحسين عليه السلام

لقد ضمّت هذه الثلّة المباركة الطفل الصغير والشيخ الهرم الكبير، والمرأة والرجل، كما ضمّت من جهة أخرى الفقهاء والوجوه وذوي المراكز الاجتماعية والعلمية العالية، كحبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة الفقيه، وبرير بن خضير القارئ، وأنس بن الحارث، وغيرهم.

كما ضمّت هذه التركيبة المتميّزة مجموعة من النساء، حيث نالت الشهادة امرأة، وهي أمّ وهب.

كما ضمّت من جهة ثانية التعدّدية الجغرافية إن صحّ التعبير، فهناك البصري والكوفي والمدني والمكّي، والحضري والأعرابي، والتركي والزنجي و... و... و.

كما ضمّت المعروف في ولائه وإخلاصه كحبيب بن مظاهر، والعثماني الهوى كزهير بن القين، والخارجي كسعد بن الحرث، والمسيحي كوهب.

هذه التركيبة في العقيدة لم توجد لها سابقة في أصحاب أُحد، ومن ثم فقد صارت هذه التركيبة الإلهية الفائقة الإتقان تذوب فيها كلّ الفوارق الأخرى من أجل أن تعطي صورة رائعة من الشمولية العالمية في الانتساب والانتماء.

٧. الوعي والبصيرة

وأعني بالوعي والبصيرة شدّة إيمانهم واعتقادهم بقضيتهم، الناشئ عن الوعي والبصيرة، حيث لم يكونوا متأثّرين بالجوّ العامّ للأفكار والمواقف، إذ لا ينبغي للإنسان المؤمن الانسياق وراء الجوّ الاجتماعي والجماهيري الذي ربّما لا يتّصف بالحكمة في كثير من الأحيان، وكما قال تعالى في القرآن الكريم:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾[1].

حيث طلب منهم أن يفكّروا فرادى أو مثنى، لا مجاميع، حتى لا يسقطوا ضحيّة تحت تأثيرات الجوّ الاجتماعي العامّ على أفكارهم وثقافاتهم ومن ثم مواقفهم.

وممّا يؤكّد هذا المعنى في أصحاب الحسين عليه السلام، هو أنّ التأريخ لم يسجّل لهم أيّ موقف أو كلمة أو رأي مخالف لرأي الحسين عليه السلام، بينما تجد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من خالف وعصى وتمرّد[2] وكذلك الحال بالنسبة لأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فقد تحمّل منهم الكثير، ولا ننسى موقفهم معه في صفّين ورفع المصاحف[3]، وهكذا بالنسبة لموقف الحسن عليه السلام مع أصحابه، حتى وصل ببعضهم الأمر إلى أن يخاطبه بكلمات قاسية[4]، بينما لا نجد في الطف وفي

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

(٢) وقد ذكر التاريخ مواقف كثيرة لاسيما في صلح الحديبية، وذلك حينما أمرهم أن ينفروا فلم يقم منهم أحد: البخاري ج٣/ص٢٥٧.

(٣) تذكرة الخواص لابن الجوزي ص١٠٣.

(٤) للمزيد راجع كتاب الحسن بن علي لباقر شريف القرشي ص٢٦٧ وما بعدها.

عرصة كربلاء إلاّ صوت الحسين، وإلاّ رأي الحسين، وإلّا نهج الحسين، فلا تجد إلاّ المطابقة بين فكر الحسين وفكرهم، ومشاعر الحسين ومشاعرهم، فلا إثنينية في البين، إنّما هي وحدة واحدة.

٨. إنّ الله تولّى قبض أرواحهم

في حديث للإمام زين العابدين عليه السلام عن عمّته زينب، عن أمّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال، في وصف ما سيجري على سبطه الحسين عليه السلام وأصحابه:

«**فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها، تولّى الله قبض أرواحها بيده**»[1].

ولا شكّ ولا ريب أنّ قبض الأرواح بيد الله عزّ وجلّ لا بيد غيره إنّما هو للمؤمن وللكافر، وحتى حينما أعطى لملك الموت ولأعوانه من الملائكة الإذن في هذا الأمر، لم يستطع هؤلاء القيام بعملهم إلاّ بمعيّة الله لهم، فهم لا يقدّمون أمراً يريد الله تأخيره، ولا يؤخّرون أمراً يريد الله تقديمه.

﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

ومن ثم فإنّ تولّي قبض أرواح أصحاب الحسين من قبل الله تعالى إنّما يحمل على التشريف وعلوّ المنزلة لهم (رضوان الله عليهم).

---

(١) كامل الزيارات، الباب ٨٨ ص١٧٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٧.

٩. نكرانهم لذواتهم

وقد تجلّت هذه الصفة في مواطن كثيرة، فكان الواحد منهم ليسقط إلى الأرض والدماء تسيل منه، وقد امتلأ جسمه جراحات ومع ذلك لا يهمّه ما هو فيه، وما يهمّه هو الحسين عليه السلام، وعلي سبيل المثال، فإنّ مسلم بن عوسجة قد سقط إلى الأرض فجاء إليه الحسين ومعه حبيب بن مظاهر، وإذا بمسلم يخاطب حبيباً بصوت ضعيف: يا حبيب، أوصيك بهذا الغريب أن تموت دونه[1].

وقال آخر للحسين عليه السلام: سيّدي لوددت أنّي أُقتل ثمّ أُحرق ثمّ أُذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرّة على أدفع عنك بذلك القتل لفعلت. سبعين مرّة يحرق ويذرى ولا يهمّه ذلك، المهمّ عنده أن لا يقتل الحسين عليه السلام، فأيّ نكران للذات هذا؛ وأيّ عشق للمولى هذا؛ وأيّ عطاء الهي يمكن أن يقف بإزاء هذا العطاء!.

(١) معالي السبطين للمازندراني ج١/ ص٣٤٨.

كم هو عدد أصحاب الحسين عليه السلام؟

سؤال مهمّ طالما طرحه الكثيرون من الكتاب وغيرهم، وأعتقد أنّ الإجابة عن مثل هذا السؤال لا يمكن لها أن تكشف وبشكل واضح عن عدد الشهداء في كربلاء، فعدد أصحاب الحسين هو أعمّ من الشهداء، فليس كلّ من صحب قد استشهد، نعم كل من استشهد عُدَّ من أصحاب الحسين ضرورة، فهاهنا كما يقول العلماء عموم وخصوص مطلق، ولهذا لابدّ لنا من السؤال عن عدد الشهداء في كربلاء، وعدم الاكتفاء بالسؤال عن الأصحاب، ومعرفة هذه الحقيقة سوف تهدينا إلى أرقام معيّنة، وربّما تختلف هذه الأرقام فيما لو لم ينظر إلى هذه الزاوية بعين الاعتبار، وقبل أن ندخل في هذا البحث، والذي سوف يمثّل التوطئة للدخول إلى رحاب وظلال شهداء كربلاء، أودّ أن أشير إلى مقدّمة مهمّة في هذا المجال.

المقدمة

لا شكّ ولا ريب أنّ كلّ من كتب أو تحدّث عن عدد أنصار الحسين عليه السلام في كربلاء لا يمكن له أن يصل إلى مرحلة القطع بذلك مهما كان يملك من رجاحة في الفكر وقوّة في التحقيق، نعم غاية ما في الأمر يمكن أن تميل نفسه إلى عدد معيّن دون آخر أو أن يغلب على ظنّه رقم دون بقية الأرقام الأخرى، مستنداً في ذلك إلى مجموعة من الأدلّة والعلامات التي يراها هو دون الآخرين، ولهذا فلا يمكن والحال هذه أن تغلق أبواب البحث في هذا الموضوع، معتمدين في ذلك على ما كتبه الآخرون مهما بلغوا من العلم في هذا المجال، فالباب مفتوح يسع الجميع، شرط امتلاكهم مؤهّلات وآليات تعينهم على الدخول إلى دراسات كهذه، ولقد أعجبتني كثيراً كلمة قرأتها للشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله وهو يتحدّث عن مسألة الخلاف في أسماء من استشهد من بني هاشم في كربلاء، حيث يقول: «هؤلاء السبعة عشر الذين ثبت عندنا أنّهم استشهدوا في كربلاء من بني هاشم...، أمّا ما عداهم فسنعرض أسماءهم فيما يلي مع شكّنا في كونهم ممّن رزق الشهادة مع الإمام الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء، ونقدّر أنّ بعضهم قد استشهد في مواقع أخرى متأخّرة، واختلط أمره على أصحاب الأخبار والمؤرّخين، مع احتمال أن يكون رأينا في عدد الشهداء السبعة عشر وأسمائهم خطأ أيضاً، وأن يكون العدد أكثر ممّا ذكرنا، أو أن يكون بعض الأسماء غير ما ذكرنا»[1].

---

(١) كتاب أنصار الحسين للعلّامة محمد مهدي شمس الدين: ص١٣٤ ـ ١٣٥.

واعتقد جازماً أنّ كلام شمس الدين المتقدّم يتضمّن الإشارة إلى ما ذكرناه سابقاً، فهو يريد أن لا يقف القارئ لكتابه وخصوصاً أهل الاختصاص منهم، موقف الإنسان العادي الذي لا يملك شيئاً من آليات البحث، ومن ثم يقرأه قراءةً عادية دون أن يتدبّر فيه، بل يريد منه أن يقرأ كتابه قراءة متأنّية فيأخذ منه ما صحّت فكرته عنده، ويناقش فيما لم يصحّ منه، كما صنع هو رضي الله عنه مع ما كتبه الآخرون والمتقدّمون عليه مهما علت درجاتهم وسمت أفكارهم وانتشرت في الأرجاء كتبهم، وهذه - حسب تصوّري - نقطة في غاية الأهمّية، تأتي في طليعة البحوث التي تتعلّق بواقعة الطفّ بشكل عامّ، التي تتعلّق بأنصار الحسين وشهداء كربلاء بشكل خاصّ، ولا يفهم من كلامي هذا أنّ لي رأياً في قبال آرائهم ضرورة، بل قد أتّفق في كثير من النقاط مع ما طرحه العلماء والمحقّقون الذين بذلوا الجهد الكبير للوصول إلى هذا المستوى من الدراسات الكثيرة التي تتعلّق بهذا الموضوع المهمّ، ولكن بلا شكّ تبقى هناك نقاط تحتاج إلى تأمّل أكثر وبذل جهد أكبر للخروج برؤية ربّما تكون أكثر انسجاماً مع الواقع التأريخي ومعطياته، خصوصاً إذا علمنا بأن العدد الذي خرج به الحسين عليه السلام من المدينة لم يكن ذاته الذي خرج به من مكّة، ولم يكن هو نفسه الذي وصل به الحسين إلى كربلاء باتّفاق من كتب في هذا الموضوع، بل الثابت أنّ هناك مجاميع انفضّت من الركب الحسيني، وهناك أشخاص انضمّوا إلى هذا الركب، وحتى في كربلاء فهناك من استشهد وهناك من لم يستشهد بل أخذ جريحاً ومات على رأس سنة أو أقلّ، وهناك من خرج من المعركة قبيل انتهائها كالضحّاك المشرقي، وهناك من نجا

من القتل سواء من أهل البيت عليهم السلام أو من الأصحاب، ومن ثم فلا يمكن لنا والحال هذه إلاّ أن نبذل تمام الجهد وكامل الوسع من أجل الأخذ بما يمكن أن يكون أكثر انسجاماً مع الأحداث والوقائع، وهذا بتقديري غير يسير على كلّ خبير.

وعلى كلّ حال، فإنّي سأذكر أقوال العلماء وآراءهم في هذا الموضوع وما ذكروه من عدد اطمأنّوا إلى أنّه هو العدد الذي كان مع سيّد الشهداء في كربلاء، سواء أكانوا من أرباب المقاتل الحسينية القديمة أم من المؤرّخين، أم من سائر العلماء الذين تعرّضوا لحادثة كربلاء وتناولوها من زوايا وجهات أدبية أو اجتماعية أو سياسية أو ما شاكل ذلك، ولقد بذلت جهداً ليس بالقليل في تتبّع أقوالهم وترتيبها على أساس العدد الذي أوردته في تلك الآراء وعزلت في الوقت نفسه قائمة الشهداء من بني هاشم عن قائمة الشهداء من سائر الأصحاب رضي الله عنهم.

أمّا فيما يتعلّق بالشهداء من بني هاشم فقد ذكر العلماء ما يلي:

أنّهم كانوا (١٣) كما يقول المسعودي في مروج الذهب[١]، وهو أقلّ عدد روي في ذلك.

أنّهم كانوا (١٤) كما يقول الخوارزمي في مقتله.[٢]

أنّهم كانوا (١٦) كما في رواية أخرى للخوارزمي في مقتله، يذكرها عن الحسن البصري[٣]، ورواية الحصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبادة.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٧١.

(٢) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٤٧.

(٣) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٤٧، أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص٤٦.

أنّهم كانوا (١٧) كما في زيارة الناحية، والإرشاد للشيخ المفيد.[١]

أنّهم كانوا (١٩) كما عند الطبري في تاريخه، ويعد منهم الحسين بن علي عليه السلام ومسلم بن عقيل.[٢]

أنّهم كانوا (٢٠) كما في تسمية من قتل مع الحسين من أصحابه وشيعته للفضيل بن الزبير.[٣]

أنّهم كانوا (٢٢) كما يذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيّين.[٤]

أنّهم كانوا (٢٣) كما عند اليافعي في مرآة الجنان.[٥]

أنّهم كانوا (٢٧) كما عند الخوارزمي في مقتله حيث قال: «اختلف أهل النقل في عدد المقتول يومئذ مع ما تقدّم من قتل مسلم من العترة الطاهرة، والأكثرون على أنّهم كانوا سبعة وعشرين، منهم مسلم بن عقيل والحسين عليه السلام».[٦]

أنّهم كانوا (٣٠) كما عند السيّد الأمين في أعيان الشيعة.[٧]

أنّهم كانوا (٤٩) كما عند السيّد الزنجاني في وسيلة الدارين.[٨]

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ص٢٤٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٦٨.

(٣) مجلّة تراثنا، العدد٢ تحقيق السيّد محمد رضا الجلالي: ص١٢٧.

(٤) مقاتل الطالبيين للأصفهاني: ص ٦٢

(٥) مرآة الجنان لليافعي: ج١ ص١٣٣.

(٦) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٤٧.

(٧) أعيان الشيعة: ج٤ القسم الأول ص١٣٤.

(٨) وسيلة الدارين: ص٩٤.

أمّا فيما يخصّ عدد الشهداء من أصحاب الحسين عليه السلام فقد فاق الاختلاف فيهم الاختلاف في بني هاشم، وها نحن نسجّل أقوالهم حسب العدد الوارد فيها وكما يلي:

أنّهم كانوا (٦٠) رجلاً كما ذكر ذلك الدميري في حياة الحيوان.[١]

أنّهم كانوا (٦١) راجلاً كما ذكر ذلك المسعودي في إثبات الوصية.[٢]

أنّهم كانوا (٧٠) فارساً خرجوا معه من المدينة.[٣]

أنّهم كانوا (٣٢) فارساً و(٤٠) راجلاً كما ذكر ذلك الطبري وابن الأثير والدينوري والخوارزمي.[٤]

أنّهم كانوا (٨٠) كما في رواية الحصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبادة[٥].

أنّهم كانوا (٨٢) راجلاً كما في الدمعة الساكبة.[٦]

أنّهم كانوا (٨٦) رجلاً كما ذكر ذلك الشريسي في شرح مقامات الحريري من دون حساب علي الأكبر.[٧]

---

(١) حياة الحيوان للدميري: ج١ ص٧٣.

(٢) إثبات الوصية للمسعودي: ص٣٥.

(٣) مختصر تاريخ دول الإسلام للذهبي: ج١ ص٣١.

(٤) الطبري: ج٦ ص٢٤١؛ الكامل: ج٤ ص٢٤؛ الدينوري: ص٣٥٤.

(٥) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ٤٦.

(٦) الدمعة الساكبة: ص٣٢٧.

(٧) شرح مقامات الحريري للشريسي: ج١ ص١٧٣.

أنّهم كانوا (٨٢) مبارزاً، ونيّفوا على الخمسين في الحملة الأولى.[١]

أنّهم كانوا (٤٥) فارساً ونحو (١٠٠) راجل كما في تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر.[٢]

أنّهم كانوا (٤٥) فارساً و(١٠٠) راجل كما عند ابن نما في مثير الأحزان والطبري عن الباقر عليه السلام.[٣]

أنّهم كانوا (٨٧) رجلاً كما عن الفضيل بن الزبير.[٤]

أنّهم كانوا قريباً من (١٠٠) رجل كما عند الطبري.[٥]

أنّهم كانوا (٢٣٣) كما عند الزنجاني في وسيلة الدارين.[٦]

أنّهم كانوا (٥٠٠) فارس و(١٠٠) راجل كما عند الطبري والمسعودي[٧]، ولكن يجب إسقاط عدد (١٩) شهيداً من أهل البيت كما يذهب إلى ذلك الطبري كما تقدم.[٨]

---

(١) مرآة الجنان لليافعي: ج١ ص١٣١.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٤ ص٣٣٧.

(٣) مثير الأحزان: ص٢٨، الطبري: ج٥ ص٣٨١.

(٤) مجلّة تراثنا: عدد٢ ص١٥١.

(٥) الطبري: ج٥ ص٣٩٢.

(٦) وسيلة الدارين: ص٩٤.

(٧) المسعودي في مروج الذهب: ج٣ ص٧٠؛ شرح مقامات الحريري للشريسي: ج١ ص١٧٢.

(٨) حيث ذكر أنّ عدد الشهداء من أهل البيت عليهم السلام (١٩) فيكون الباقي هو (٥٨١) شهيداً من غير أهل البيت عليهم السلام على أساس هذا الرأي.

وممّا تقدّم يتبيّن لك بما لا يقبل الشكّ حجم الجهد الذي يتوجّب على الباحث والدارس لهذا الموضوع بذله من أجل الخروج بنتيجة تكون هي الأقرب إلى العدد الذي كان مع الحسين عليه السلام.

وعليه فلابد من مراجعة كلّ الروايات أو جُلِّها على ما يتيسّر، وأقوال العلماء وما سردوه من أحاديث حول هذه الواقعة.

سؤال وجواب

وقد يقول قائل: ولم كُلّ هذا الجهد أصلاً؟ وما فائدة أن نعرف العدد الحقيقي أو ما يقاربه بالدقّة؟

أقول: إنّ معرفة أسماء الأصحاب الذين سايروا الحسين وتركوا الأهل والأولاد والأوطان، بل وطلّقوا الدنيا بكلّ ما تزخر به من إغراءات يسيل لها لعاب الكثير من الناس، حسب تقديري هو مسؤولية دينية وإنسانية في نفس الوقت من أجل الحفاظ على ما قدّموه أوّلاً، وتقديمه إلى الناس للاقتداء به ثانياً.

ومن هنا نجد أنّ كلّ الشعوب والأمم على اختلاف آيديولوجيّاتها وانتماءاتها الفكرية، تبذل الغالي والنفيس من أجل الحفاظ على عظمائها ومفكّريها وزعمائها وقادتها وشخصيّاتها شاخصةً في أذهان أممهم وشعوبهم، وما النُصُب التي نراها ونقرأ عنها في بلدان العالم كافة، إلاّ إشارة إلى هذه النزعة الإنسانية اتجاه من يحملون الدرجات العالية، ومن لهم شرف السبق في شتّى المجالات.

جهود العلماء

ومن هنا بذل علماؤنا الماضون ومحقّقونا وما زالوا، في هذا الطريق ـ وإن قلّ ما نجده في الوقت الحاضر ـ الجهد الكبير من أجل تسليط الضوء على هذه الأسماء وجمعها من بطون الكتب المخطوطة، ودراستها ومقارنتها ببقية النسخ الأخرى، لمعرفة المكرّر منها والمصحّف وما شاكل ذلك، كلّ هذا من أجل الخروج ـ كما تقدّم في ذكر آرائهم ـ بنتائج مُطَمْئِنة يمكن الركون إليها، سواء كانت هذه الأسماء من أهل البيت أم من الأصحاب رضي الله عنهم.

وقد استدلّوا في الوصول إلى هذه النتائج، حسب فهمي، بمجموعة من الأدلّة لا تخرج عمّا سنذكره إلاّ نادراً:

١. الروايات التي تتحدّث عن العدد الذي خرج به الحسين من المدينة أو من مكّة أو الذي كان معه في الطريق إلى العراق، أو حينما نزل في كربلاء يوم الثاني من المحرّم، أو كان معه يوم التعبئة وهو يوم العاشر من المحرّم.

٢. الروايات التي تحدّثت عن عدد الرؤوس المقطوعة بعد واقعة الطفّ والمحمولة على أطراف الرماح.

٣. الروايات التي تحدّثت عن عدد المستشهدين في الحملة الأولى، والمستشهدين مبارزة بعد ذلك.

٤. بعض كتب المقاتل القديمة المعاصرة للحادثة، أو التي جاءت بعدها بمدّة وجيزة، كمقتل الفضيل بن الزبير.

٥. زيارة الناحية وما حوته من أسماء الشهداء، وتسليم الإمام المهدي عليها

وذكر قاتليها، والتي تمثّل مصدراً مهمّاً وقديماً في الوقت نفسه.

٦. الزيارة الرجبية، والتي تمثّل مصدراً لذكر الأسماء، وإن لم تكن أساسية لعدم وجود السند فيها كما سيأتي.

أولاً: الروايات التي تحدثت عن العدد الذي خرج به الحسين من المدينة حتى وصوله إلى كربلاء، فخير من تحدّث عنها وجمعها وناقشها هو المحقّق المرحوم آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، في كتابه القيّم «أنصار الحسين» حيث ذكر أربع روايات عبّر عنها بأنّها كانت رئيسية في هذا الموضوع، وهي كالتالي:

الرواية الأولى: رواية المسعودي والتي يقول فيها: «فلمّا بلغ الحسين القادسية لقيه الحرّ بن يزيد الرياحي...، فعدل إلى كربلاء وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل»[(١)].

ويقبل الشيخ شمس الدين العدد الوارد في هذه الرواية ولكن بشرط ان نتأخّر بالرواية زماناً قليلاً عن ملاقاة الحر ووصول خبر شهادة مسلم بن عقيل وعبد الله بن يقطر وهاني بن عروة.

أقول: إنّ توجيه العلّامة شمس الدين رحمه الله لهذه الرواية توجيه سليم وفي محلّه، ونحن نميل إلى ما مال إليه، حيث تؤكّد جملة من الروايات التاريخية أنّ مجاميع من الناس كانت تنفض عن الحسين بعد كلّ خبر يصل اليه من أهل الكوفة، أو بعد كلّ تصريح صريح للحسين في أن النهاية التي سوف ينتهي إليها

(١). أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص٤٤.

هو وأصحابه هي الموت لا غير، لاسيما قولته الشهيرة: «من لحق بنا استشهد، ومن لم يلحق بنا لم يدرك الفتح»[١] وقوله: «خير لي مصرع أنا لاقيه... إلخ».[٢]

الرواية الثانية: رواية عمّار الدهني، عن أبي جعفر الباقرعليه السلام حيث جاء فيها: «حتى اذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحرّ بن يزيد الرياحي...، فلمّا رأى ذلك عدل إلى كربلاء، فنزل وضرب أبنيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين ومائة راجل»[٣].

ويقبل الشيخ شمس الدينرحمه الله كذلك هذا العدد من حيث المبدأ، حيث إنّه يمثّل بالنسبة اليه مرحلة من مراحل المسيرة الحسينية إلى كربلاء مع إقرارهرضي الله عنه أنّ الرواية مهمّة، لأنّها تأخذ المعلومة من الصدر الصافي النقي الثقة، وهو الإمام الباقرعليه السلام ولكنّه في الوقت نفسه يؤكّد وجود تحريف منكر في هذه الرواية لواقعة كربلاء، خصوصاً في أهمّ ركن منها، وهو ثبات الحسين وعدم قبوله لأيّ حلول وسطيّة يحافظ من خلالها على حياته التي نذرها للإسلام، حيث أكّدت الرواية في ثناياها أنّ الحسينعليه السلام همّ بالرجوع بعد حديث الحرّ معه، ولكن الذي منعه من ذلك موقف إخوة مسلم بن عقيل.

أقول: لقد أورد المسعودي نفس هذه الرواية التي أوردها الطبري عن عمّار الدهني من دون أن ينسبها إليه، كما أنّ العدد فيها خمسمائة فارس، قال: «فلمّا بلغ الحسين القادسية لقيه الحرّ بن يزيد التميمي فقال له: أين تريد يا بن رسول الله؟

(١) كامل الزيارة: ص٧٥.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ص٢٩.

(٣) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص٤٥.

قال: أريد هذا المصر فعَّرَفه بقتل مسلم وما كان من خبره، ثمّ قال: إرجع، فإنّي لم أدعْ خلفي خيراً أرجوه لك، فهمّ بالرجوع، فقال له إخوة مسلم: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل كلّنا، فقال الحسين عليه السلام لا خير في الحياة بعدكم...»[1].

كما أوردها بنفس هذا العدد من دون نسبة كذلك، الشريسي في شرح مقامات الحريري[2].

ومن الواضح لكلّ ذي عينين أنّ هذه الروايات وإن اختلفت في العدد الذي تضمّنته إلاّ أنّها اشتركت في قضيّة واحدة، ألا وهي همّ الحسين عليه السلام بالرجوع إلى وطنه وإصرار إخوة مسلم بالاستمرار حتى أخذ الثأر، ثمّ تسليم الحسين عليه السلام لرأيهم.

الأيادي الآثمة المحرِّفة

يعني أنّ الأيادي الآثمة التي مُدّت إلى هذه الرواية وأرادت نشرها بأيِّ رقم وعدد، كانت تهدف من وراء ذلك إلى إثبات أنّ الحسين لم يكن جادّاً في حركته، والدليل على ذلك هو همّه بالرجوع إلى المدينة، وهذا يعني ضمناً أنّ يزيد لم يكن مستحقّاً أن يخرج عليه الحسين ولا غيره، بل كان مستحقّاً للتأييد والدعاء له بالاستقامة والثبات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تريد أن تثبت أن الحسين عليه السلام كان مشتبهاً في خروجه، وهذا بحدّ ذاته كان مطلباً أمويّاً كبيراً سعت اليه الدولة الأموية بكلّ ما أوتيت من قوّة من أجل تحقيقه، وبذلوا الأموال

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج١ ص٧٠.

(٢) شرح مقامات الحريري للشريسي: ج١ ص١٧٣.

الطائلة من تنفيذه، ولقد قالها ابن خلدون في مقدّمته صريحة جريئة من دون استحياء من الله ورسوله: «فتبيّن من ذلك غلط الحسين إلاّ أنّه في أمر دنيوي لا يضرّه الغلط فيه، وأمّا الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لأنّه منوط بظنّه، وكان ظنّه القدرة على ذلك»[١].

اليد الآثمة في تأريخ الثورة الحسينية

ولم تكن هذه اليد الأثيمة الوحيدة التي مدّت إلى هذه الرواية، بل هناك جملة من الروايات حاولت أن تسيء إلى شخص الحسين بشكل خاصّ، وإلى الحركة الحسينية بشكل عامّ.

الطبري مثالاً

وللمثال فقط أذكر ما قاله الطبري في موضعين من تاريخه:

أما الأوّل: فيقول فيه: «كتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما حدث، ويستشيره في شأن أبناء الحسين ونسائه فلمّا بلغ الخبر إلى يزيد بن معاوية بكى وقال: كنت أرضى من طاعتهم (أي أهل العراق) بدون قتل الحسين عليه السلام...، لعن الله ابن مرجانة، لقد وجده بعيد الرحم منه، أما والله لو أنّي صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين»[٢].

وثانياً: يقول في موضع آخر وهو ينقل حديث يزيد لعلي بن الحسين عليه السلام عند مغادرته دمشق: «لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أنّي صاحبه ما سألني خصلة

(١) مقدّمة ابن خلدون: ص٢٧١.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٩٣.

أبداً إلاّ أعطيتها إيّاه، ولدفعت عنه بكلّ ما استطعت ولو كلّفني بعض ولدي، ولكنّ الله قضى ما رأيت، كاتبني بكلّ حاجة تكون لك».[(١)]

فإذا تبيّن لنا أنّ الرواية قد مدّت لها هذه اليد الأثيمة كما تقدّم، فحينئذ نرفع اليد عمّا فيه تحريف وتزوير، ونأخذ بالعدد الذي ورد في هذه الرواية، والذي يتردد بين (١٤٥ ـ ٥٠٠). وبما أنّ العدد (٥٠٠) مخالفة لكلّ المصادر التاريخية فيعرض عنه، ويعمل بالعدد الآخر وهو (١٤٥)، خصوصاً إذا علمنا أنّ هناك جملة من المرجّحات التي ربّما تعين على الأخذ بهذا العدد دون سواه، كما سيتبيّن لك في نهاية هذا البحث.

الرواية الثالثة: رواية الحصين بن عبد الرحمن، عن سعد بن عبيدة قال: «إن أشياخاً من أهل الكوفة لوقوف على التلّ يبكون ويقولون: اللهمّ أنزل نصرك قال: قلت: يا أعداء الله، ألا تنزلون اليه فتنصرونه!... وإنّي لأنظر إليهم (يعني أصحاب الحسين) وإنّهم لقريب من مائة رجل، فيهم لصلب علي بن أبي طالب عليه السلام خمسة، ومن بني هاشم ستة عشر، ورجل من بني سليم حليف لهم، ورجل من كنانة حليف لهم، وابن عمر بن زياد».[(٢)]

ويبدو أنّ الشيخ شمس الدين رحمه الله يقبل كذلك هذا الرقم الوارد في هذه الرواية، ولكنّه يقيّده باليوم العاشر من المحرّم وبعد الحملة الأولى، لوجود قرينة ربّما تكون فيها إشارة تؤيّد الركون إلى مثل هذا الاعتقاد، ألا وهي رمي عمر

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٦٢.

(٢) أنصار الحسين للشيخ شمس الدين: ص٤٦.

الطهوي بسهم على الحسين وسقوطه بين كتفيه وتعلّقه بجبّته.

أقول: وهذا الحمل متين وفي محلّه، ونحن نذهب إلى ما ذهب إليه، ولكنّ الغريب في الأمر أنّ فضيلته بعد حمله الرواية على هذا المحمل يضع هذا العدد الوارد في هذه الرواية في قبال العدد الوارد في رواية عمّار الدهني عن الإمام الباقرعليه السلام، وكان ينبغي أن توضع هذه الرواية ـ وخصوصاً مع حملها على هذا المحمل ـ قرينة من جملة القرائن التي تُعين على الأخذ برواية عمّار الدهني، لأنّ رواية سعد بن عبيدة تثبت وجود قرابة المائة، وقطعاً هذا التقريب من خلال النظر لا الدقّة والإحصاء، ومن ثم يكون العدد مُؤرجحاً بين (٩٥ ـ ١٠٠) رجل، فإذا ما أضفنا إلى هذا العدد من ثبت أنّه استشهد في الحملة الأولى من أنصار الحسينعليه السلام كما هو رأي سماحته في حملة المتقدّم، والبالغ عددهم (٥٠) نفراً أو يزيدون قليلاً، فالنتيجة التي سوف تترتّب على ذلك هو (١٤٥) أو ما يقارب هذا الرقم، وهو ما تشير إليه رواية عمّار المتقدّمة، ومن ثم تكون كلّ من الروايتين تشيران إلى عدد واحد بعينه كما تقدّم.

الرواية الرابعة: رواية أبي مخنف، عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي حيث يقول: «وعبّأ الحسين أصحابه وصلّى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً»[1].

ويقبل الشيخ شمس الدينرحمه الله عدد هذه الرواية، لوجود اتّفاق بينها وبين روايات مؤرّخين آخرين معاصرين له كالطبري، أو متأخّرين عليه كالدينوري

---

(١) أنصار الحسين لشمس الدين: ص٤٧.

واليعقوبي والخوارزمي والشيخ المفيد.

أقول: ولا كلام في حسن سمعة أبي مخنف، الذي عُدَّ من ثقات المحدّثين، حتى قال عنه ابن النديم: «أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها، يزيد على غيره»[١].

الضحّاك كان دقيقا في تعامله

ولا كلام كذلك حول شخصية الضحّاك الذي كان دقيقاً في تعامله مع الحسين غاية الدقّة، حتى أنّ كلّ ما جرى وحصل من مجازرٍ وسفكٍ للدماء، لم يؤثّر في هذا الرجل الذي عاش كلّ هذه الأجواء، ولم تتغيّر قناعاته في ذلك الاتفاق الذي أبرمه مع الحسين عليه السلام وظلّ ثابتاً عليه حتى فارقه كما هو معلوم. إنّ أمثال هؤلاء حينما ينقلون لا شكّ يوثق بنقلهم من هذه الجهة دون بقية الجهات الأخرى يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله: «الضحّاك بن عبد الله المشرقي وهو فيما يبدو رجل صارم وعملي ودقيق جدّاً، فحين طلب الحسين منه النصرة أجابه إلى ذلك، مشترطاً أن يكون في حلّ من الانصراف عنه حين لا يعود قتاله مفيداً في الدفع عن الحسين عليه السلام وقد أجابه الحسين إلى شرطه، فاشترك الضحّاك في المعركة بصدق. إنّ هذه الملاحظة تبعث على الوثوق بدقّته»[٢].

وهذه الرواية مهمّة من جهتين: أمّا الجهة الأولى، فهي أنّ الناقل لها هو أبو مخنف في مقتله، وهذه الخصّيصة سوف نتحدّث عنها بعد ذلك حيث سيتبيّن لنا

---

(١) الفهرست لابن النديم: ص١٥٨.

(٢) أنصار الحسين لشمس الدين: ص٤٨.

أنّ كتب المقاتل هي أقلّ من كتب التأريخ العامّة عرضة للتحريف؛ وأمّا الجهة الثانية، فهي وجود الضحّاك إلى جانب الحسين عليه السلام منذ مروره به في منطقة قصر بني مقاتل[١] وحتى استشهاد جميع أصحابه سوى اثنين كان هو ثالثاً لهما، وهذا الرجل لا شكّ حينما يروي سوف يروي الحدث كما هو، لأنّه فيه وليس خارجاً عنه. ولكن المشكلة التي تترتّب على الأخذ برواية أبي مخنف هي وجود نتيجتين لا يقول بهما أحد وهما:

١. أنّ جميع من عبّأهم الحسين عليه السلام للقتال قد قتلوا وهذا ما لا يقول به أحد، فهناك من نجا من هذه المعركة، سواء من أهل البيت عليهم السلام أم من الأنصار، وقد نصّ العلماء على أسمائهم بالتفصيل، اللهمّ إلاّ أن يؤخذ برأي الشيخ شمس الدين رحمه الله حينما أشار إلى أنّ هذه التعبئة لم تكن شاملة بل كانت مختصّة بالأصحاب، فلا تشمل بني هاشم ولا الموالي، حيث قال: «وهي في تقديرنا تعبّر عن عدد أصحاب الحسين عليه السلام من المحاربين العرب غير الهاشميّين، فهي لا تشمل الهاشميين ولا الموالي ولا الخدم»[٢].

ومع إجلالنا لسماحة المحقّق شمس الدين رضي الله عنه إلاّ أنّه لم يبيّن لنا دليل هذا التقدير الذي ذهب اليه، حيث أرسلها من دون الإشارة إلى ما يؤيّدها من قرائن حاليّة أو مقاليّة، ومع عدم ذكر المستند والدليل ليتسنى لنا دراسته، لا نكون ملزمين بالميل إلى ما مال اليه ولا تقدير ما قدّره رضي الله عنه.

(١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ص١٠٨.

(٢) أنصار الحسين لشمس الدين: ص٥٣.

تعبئة الحسين عليه السلام كانت عامة وليست خاصة بالأصحاب

نقول: إنّ الدليل على أنّ التعبئة لم تكن خاصّة بأصحابه عليه السلام، يعضدها الدليل النقلي والمعنوي إن صحّ التعبير.

أمّا الدليل النقلي

فقد روت كتب المقاتل والتأريخ أنّ الحسين عليه السلام حينما رتّب أصحابه إلى ميمنة وميسرة وقلب، لم يترك أهل البيت عليهم السلام بل ورتّبهم كذلك، فذكروا في هذا المجال صورة ربّما تختزن في داخلها مجموعة من الصور التي تتعلّق بتوزيع الحسين عليه السلام لأهل البيت عليهم السلام.

يقول أرباب المقاتل: «ثمّ إنّه صفّ أصحابه ورتّبهم ميمنة وميسرة في مراتبهم، فجعل علي بن الحسين في ميمنته، وحبيب بن مظاهر في ميسرته، وزهير في جناحه الأيمن، ومسلم بن عوسجة في جناحه الأيسر، ووقف هو في القلب، وأعطى رايته أخاه العباس»[1].

---

(١) مصارع الشهداء ومقاتل السعداء، للشيخ سلمان بن عبد الله آل عصفور، تحقيق الشيخ علي آل كوثر: ص١١١، وبهامشه يذكر المحقّق هذه الطريقة الحسينية في ترتيبه عليه السلام لصفوف أصحابه؛ الإرشاد للمفيد: ج٢ ص٩٦؛ الطبري: ج٥ ص٤٢٣.

وبتقديري، ما ذكر هذان العلمان من بني هاشم دون الآخرين إلاّ لقربهما من سيّد الشهداء وعظيم أثرهما عليه، كما هو واضح من تفجّع الحسين حينما وقف على مصرعيهما، وأمّا بقيّة بني هاشم فلا شكّ أنّه تمّ توزيعهم ضمن هذه المحاور الأساسية، من يمين وشمال ومقدّمة ومؤخّرة وقلب.

وأمّا الدليل المعنوي

فلك أن تتصوّره معي والحسين واضع أهل بيته، من أولاده وإخوته وأولاد عمّه وقرابته، إلى جانبه، وقد صفّ أصحابه ووزعهم للقتال، وما يتركه مثل هذا الفعل في نفوس أصحابه عليه السلام، وإن كنّا نقطع أنّ الاصحاب إنّما التحقوا به من أجل أن يموتوا دون بني هاشم، ولكن تبقى لمثل هذه الصورة دلالاتها، والتي حاول الحسين عليه السلام في أكثر من مناسبة التأكيد عليها، وهذه الحقيقة قد عرفها ووعاها كلّ قريب للحسين من أهل بيته ممّن كانوا معه؛ ينقل الشيخ محمد مهدي المازندراني[1] في كتابه معالي السبطين، عن زينب عليها السلام في أحداث ليلة العاشر من محرّم، في رواية طويلة أنقل منها محلّ الشاهد: «لمّا كانت ليلة عاشر من المحرّم، خرجتُ من خيمتي لأتفقّد أخي الحسين وأنصاره، وقد أفرد له خيمة، فوجدتهُ جالساً وحده يناجي ربّه ويقرأ القرآن، فقلت في نفسي: أفي مثل هذه الليلة يترك أخي وحده؟!

---

(١). شيخ الخطباء في كربلاء، ولد سنة ١٢٩٣هـ وتوفّي ١٣٠٦هـ له مؤلّفات عديدة، منها: شجرة طوبى، والكوكب الدرّي، ومعالي السبطين وغيرها. أنظر تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، نور الدين الشاهرودي: ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

والله لأمضينّ إلى إخوتي وبني عمومتي وأعاتبهم على ذلك، فأتيت خيمة العباس فسمعت منه همهمة ودمدمة، فوقفت على ظهرها، فنظرت فيها فوجدت بني عمومتي وإخوتي وأولاد إخوتي مجتمعين كالحلقة، وبينهم العباس ابن أمير المؤمنين وهو جاث على ركبتيه كالأسد على فريسته، فخطب فيهم خطبة ما سمعتها إلاّ من الحسين عليه السلام، مشتملة على الحمد والثناء والصلاة على النبي وآله، ثمّ قال في آخر خطبته: يا إخوتي وبني إخوتي وبني عمومتي، إذا كان الصباح ماذا تقولون؟ قالوا: الأمر إليك يرجع، ونحن لا نتعدّى لك قولاً، فقال العباس: إنّ هؤلاء (يعني الأصحاب) قوم غرباء، والحمل الثقيل لا يقوم به إلاّ أهله، فإذا كان الصباح فأوّل من يبرز إلى القتال أنتم»[1].

وممّا لا ريب فيه أنّ العباس لا يخطو كهذه خطوة إلاّ لمعرفته برغبة الحسين في ذلك، فتبيّن ممّا تقدّم بأنّ الحسين لم يعبّئ أصحابه لوحدهم حينما صفّهم للحرب، وإنّما عبّأ معهم بني هاشم والموالي كذلك، لأنّهم جزء من أصحابه بل ومن المستشهدين بين يديه. فقول أبي مخنف إنّه صفّهم للحرب فكانوا اثنين وسبعين، سوف تترتّب عليه نتيجة لا يقول بها أحد، كما قلنا في أوّل هذه النقطة، وهي أنّ جميعهم قد قتلوا ولم يبق منهم أحد،[2] لأنّ من المتّفق عليه عند المؤرّخين جميعاً وأرباب المقاتل، أنّ عدّة مَنْ قُتِلَ من أصحاب الحسين وأهل بيته لم ينقص عن اثنين وسبعين رجلاً، وهذه النتيجة لا توجد رواية واحدة ضعيفة

---

(١) معالي السبطين: ج١ المجلس الثالث في وقائع ليلة عاشوراء، كما في ص٥٣.

(٢) الغريب أنّ الشيخ شمس الدين رحمه الله في الوقت الذي يؤكّد على أنّ التعبئة كانت خاصّة للأصحاب فقط، كما في ص٥٣، يقول في ص٦٥: إنّ الهاشميين كانوا جزءاً من القوّة المعبّأة.

فضلاً عن الصحيحة تقول بها، لتواتر الأخبار التي تفيد نجاة جماعة منهم، كما تقدم قبل ذلك.

٢. والنتيجة الأخرى التي تترتّب على الأخذ برواية أبي مخنف، هي أنّ جميع الذين عبّأهم الحسين عليه السلام قد شملتهم جريمة قطع الرؤوس وحملها فوق الرماح. وهذا كذلك لا قائل به، لتواتر النقل بأنّ هناك رؤوساً لم تقطع، كرأس الحرّ بن يزيد الرياحي وآخرين، كما يؤكّد على ذلك المحامي أحمد حسين يعقوب في دراسته لعدد أصحاب الحسين عليه السلام[1].

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (٢) وهي جريمة قطع الرؤوس الشريفة

من الأدّلة التي ذكرها العلماء، وهي جريمة قطع الرؤوس ورفعها فوق الرماح والاستدلال من خلالها على عدد شهداء كربلاء، فإنّ الشيخ شمس الدين رحمه الله درس هذه المسألة من خلال سؤال تحت عنوان: هل قتل الجميع، أو بقيت منهم بقية؟ بعد إثارته لمسألة عدد الرؤوس التي قطعت بعد واقعة الطف، ثمّ يذكر بعد ذلك جملة من الروايات التي تحدّثت عنها المصادر التاريخية، كالطبري وأبي مخنف والشيخ المفيد وغيرهم، في عدد هذه الرؤوس المقطوعة، ثمّ يقول: وقد يقال بوجود دلالتين لعدد الرؤوس، إحداهما: دلالته على عدد أصحاب الحسين عليه السلام، وثانيتهما: دلالته على عدد القتلى. ويجيب الشيخ شمس الدين رحمه الله على ذلك بقوله: «ولكنّنا لا نرى لعدد الرؤوس أيّة

(١) كربلاء الثورة والمأساة، المحامي أحمد حسين يعقوب: ص٣٩، أنصار الحسين لشمس الدين: ص٢٣٢.

دلالة من هذه الجهة، فإنّ قطع الرؤوس وحملها إلى الكوفة والشام، إجراء انتقامي ذو محتوى سياسي، أو عمل سياسي ذو صفة انتقامية، وهو خاضع لاعتبار سياسي معيّن». [1]

أقول:

إنّ قطع الرؤوس ورفعها فوق الرماح، وإن كان عملاً سياسيّاً له صفة انتقامية، ولكنّه يحمل في الوقت نفسه دلالة على عدد القتلى الذين سقطوا بين يدي الحسين عليه السلام، ولا تقاطع بين الصفة الانتقامية لهذا العمل وبين دلالته على العدد، مع إيماننا بأنّ هذه الدلالة حتى وإن تمّت، لا يمكن الاستدلال بها على عدد من استشهد مع الحسين، فإنّ الرقم الذي ربّما يكون أقرب إلى عددهم رضي الله عنهم ـ كما سيأتينا بعد ذلك ـ أكبر من الرؤوس المقطوعة هذه.

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (٣) وهم المستشهدون في الحملة الأولى وفي المبارزة

من الأدلّة التي ذكرها العلماء، وهي الروايات التي تحدّثت عن عدد المستشهدين في الحملة الأولى، وعدد المستشهدين مبارزة، فإنّ الروايات هنا، كما في غيرها، تختلف في تحديد عدد المستشهدين في الحملة الأولى والمستشهدين مبارزة، فقد ذهب المشهور إلى أنّ عدد المستشهدين في الحملة الأولى (٥٠) كما في مقتل المقرّم، والمقريزي في خططه [2]، وغيرهما، بينما ذهب

(١) أنصار الحسين لشمس الدين: ص٥٣ ـ ٥٦؛ كربلاء الثورة والمأساة، أحمد حسين يعقوب: ص٣٩ وبعدها.

(٢) مقتل الحسين لعبد الرزاق المقرّم: ص٢٣٧؛ الخطط المقريزية: ج٢ ص٢٨٧.

بعضهم إلى أنّ عددهم هو (٤٠) شهيداً، كما يذكر ذلك ابن شهر آشوب في مقتله[١]، ويقول محمد بن أبي طالب والخوارزمي: إنّ عددهم نيّف على الخمسين[٢].

وكذلك اختلفوا في عدد المستشهدين مبارزة، فمع أنّ الكثير يذهب إلى أنّ من استشهد مبارزة لا يتجاوز الأربعين، يذهب اليافعي في مرآة الجنان إلى أنّهم كانوا اثنين وثمانين مبارزاً[٣]. ويبدو أنّ اليافعي حينما يذكر هذا القول يرسله أرسال المسلّمات من دون تعريض، وهذه الرواية تقديرية سوف تعيننا على معرفة العدد الذي كان مع الحسين عليه السلام بعد ذلك.

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (٤) وهي كتب المقاتل القديمة

من الأدلّة التي ذكرها العلماء، وهي كتب المقاتل القديمة، والتي رصدت هذا الحدث الأليم ونقلته الينا، وأقصد بكتب المقاتل القديمة تلك التي لم يفصلها عن واقعة كربلاء إلاّ سنوات قليلة، وبعبارة أخرى، الواسطة فيها لنقل المعلومة لم تتعدّى في معظم صورها وأشكالها الشخص أو الشخصين، كمقتل الفضيل بن الزبير، وأبي مخنف، وآخرين، وسأحاول بتوفيق من الله تعالى التركيز على مقتل الفضيل بن الزبير دون غيره من كتب المقاتل لقدمه، حيث توفّي صاحبه في سنة ١٤٨هـ، كما يؤكّد على ذلك.

---

(١) مقتل ابن شهر آشوب: ج٤ ص١١٤.

(٢) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١؛ بحار الأنوار: ج٤٥ ص١٢، نقلاً عن محمد بن أبي طالب.

(٣) مرآة الجنان: ج١ ص١٤٤.

السيد الجلالي ومقتل الفضيل بن الزبير

يقول السيّد محمد رضا الجلالي في تحقيقه لهذا السفر القيم، والذي يقول عنه: ولقد لفت نظري فيه عدّة جهات دفعتني إلى تحقيق نصّه، وهي:

١. أنّ رواياته مسندة إلى رجال معروفين...، وهذا ما لم تحظ به أكثر الروايات التي يتداولها المؤرّخون وأرباب المقاتل وغيرهم من المؤلّفين بهذا الصدد.

٢. أنّ جامعه الفضيل بن الزبير قصد استيعاب ما توفّر له من النقول.

٣. احتواؤه على أسماء لشهداء لم يذكروا في موضع آخر.

٤. احتواؤه على آثار وروايات وتفصيلات، ممّا يرفع قيمته العلمية.

٥. يعتبر فريداً وجديداً بالنسبة إلى حواضرنا العلمية.(١)

ولكنّي وقبل أن ألج في لجّة هذا السفر المهمّ، أودّ أن أشير إلى أمر مهمّ أراني مضطرّاً للحديث عنه، لأنّه يصبّ في صالح ما نريد أن نتحدّث عنه...

كتب المقاتل أقلّ تحريفاً من الكتب التاريخية الرسمية

إنّ ممّا يجب الالتفات إليه هو أنّ المصادر التأريخية التي وردت فيها أسماء وأرقام وأعداد أصحاب الحسينعليه السلام انقسمت إلى قسمين رئيسيين غالباً، وهما: كتب المقاتل وكتب المؤرّخين، ولا شكّ بأنّ الكتب التأريخية تكون أكثر عرضة للتأثّر بعوامل التحريف والتزوير المتعدّدة، لاسيّما الدولة التي يعيش فيها ذلك

---

(١) مجلّة تراثنا العدد٢: ص١٢٧ ـ ١٢٨.

المؤرّخ، لأنّ أمثال هؤلاء يكونون تحت أنظار السلطة فيما يكتبون، ومن ثم قد ترى الدولة بأنّ ليس من صالحها أن ينشر هذا المؤرّخ هذه الحادثة، أو ترى العكس، بأنّ المصلحة في أن ينشرها ولكن على أن يبيّن فلسفتها والأسباب الكامنة وراءها، ومن هنا يكونون أكثر عرضة للضغوط التي تمارسها هذه الدولة أو تلك، وربّما حاضرنا الذي نعيش فيه يكشف لنا بشكل واضح عن مثل هذه التأثيرات، فكم من الإعلاميين الذين يعيشون الأحداث بأمّ أعينهم ويرون الحقّ ماثلاً أمامهم من خلال جملة من النقاط، ولكنّك تراهم غير قادرين على تسجيل ما يؤمنون به، والسرّ وراء ذلك هو الخوف من النظام الحاكم الذي ربّما تقتضي مصلحته عدم تسجيل مثل هذه الأمور، والمثال البارز في التاريخ هو الضغوط الكبيرة التي مارستها الدولة الأموية على هؤلاء المؤرّخين في عدم ذكر هذه الواقعة أصلاً، أو تزويرها على أقل تقدير، من خلال ذكر الروايات الكاذبة عنها، فضلاً عن رموزها وأبطالها.

يقول صادق جعفر الرّوازق وهو يتحدّث على هامش تقريرات السيّد كاظم الحائري لمحاضرة السيّد الشهيد محمد باقر الصدر، تحت عنوان «الحسين يكتب قصّته الأخيرة»: «ما لتأثير الأساليب السياسية القاهرة التي مارسها الأمويّون ومنذ عهد عثمان، ثمّ معاوية الذي قال: اقطعوا العطاء عن كلّ من يوالي أبا تراب. فقطع العطاء هو قطع الأعناق، وهو حكم إعدام سبقٍ مع وقف التنفيذ، فالسياسة الأموية التي لم ترحم الطفل الرضيع، فكيف الحال لمن يريد أن يؤرّخ واقعة مأساوية صنعتها دناءة النظام واستهتاره، ومن ثمّ كيف لمؤرّخٍ موالٍ أو حتى معادٍ أن

يسترضي ضميره وهو يذكر أسماء الشهداء من الأصحاب وفي مثل هذه الظروف السياسية التي لا ترحم، وكم من القبائل والبيوتات الكبيرة التي أدانها النظام الأموي لسبب اشتراك أفراد منها استشهدوا مع الحسين عليه السلام»[١].

ولقد ذكرت لك آنفاً نصّين للطبري كشاهد على مثل هذا التزوير والدسّ، ولو أردت أن أسرد لك ما كتبه الطبري في هذا المجال لرأيت العجب العجاب، ولثبت لك وبشكل قاطع، أنّ هذا الرجل لم يكن حرّاً في كتابة أحداث هذه الواقعة، فضلاً عن رموزها وما جرى وصنع بها، بينما لا نجد مثل هذا التأثير الكبير على ما اصطلح عليه بكتب المقاتل، وخصوصاً المتقدّمة منها، كأبي مخنف الذي يُعدّ من «أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وله روايات عنه، وكان والده من أصحاب الإمام علي عليه السلام، وجدّه مخنف بن سليم الأزدي من صحابة رسول الله والإمام علي، وكان عاملاً لعلي على أصفهان وهمدان إبّان خلافته، وكان في معركة الجمل حامل لواء قبيلته، حتى استشهد هو واثنان من أخوته»[٢].

وهكذا بالنسبة لمقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، في القرن السادس الهجري، والذي ما زال الباحثون والخطباء يفيدون منه، وغالباً ما ينسب الخوارزمي رواياته إلى ذويها، وأحياناً إلى أبي مخنف، وأحياناً أخرى إلى ابن أعثم الكوفي، ومن هنا يعدّ هذا المصدر من المصادر الموثوقة في هذا الباب.

---

(١) الحسين يكتب قصته الأخيرة (تقريرات السيد كاظم الحائري لمحاضرة السيد محمد باقر الصدر) تحقيق وتعليق صادق جعفر الرّوازق: ص١١٧.

(٢) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج١٥ ص١٤٠.

وكذلك مقتل ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب، وابن طاووس في اللهوف في قتلى الطفوف، وابن نمّا في مثير الأحزان، إضافة إلى بقيّة كتب المقاتل الأخرى. ولا شكّ أنّ هذه المصادر تمثّل الناقل الأكثر صدقاً من جهة، ومن جهة أخرى أقلّ تأثّراً بالأوضاع السياسية للدولة، على أساس أنّهم لا يمثّلون عنصراً رسميّاً داخل الدولة في تدوين الأحداث والوقائع. صحيح أنّ الطبري قد اعتمد في حديثه عن كربلاء على أبي مخنف كثيراً، ولكنّه في الوقت نفسه لم ينقل كلّ ما ذكره عنه فقط، وإنّما ذكر أحاديث وروايات أخرى أسندها إلى آخرين، وما ذكرته من النصّين السابقين للطبري يعدّ دليلاً وشاهداً على ما نقول، وهذه حقيقة يجب علينا أن نعيها ونحن نقرأ كتاب الطبري كأقدم وأوسع كتاب تأريخي اعتمده المسلمون في دراسة التأريخ.

أقول: إنّ كلّ ما ذكرته سابقاً يبيّن لنا هذه الحقيقة، وهي أنَّنا اذا أردنا أن نبحث عن أسماء أصحاب الحسين عليه السلام، والشهداء منهم، علينا أن نميل إلى كتب المقاتل أكثر من كتب المؤرّخين، وبعبارة أخرى علينا أن نذهب إلى مصادر المؤرّخين أنفسهم، والتي اعتمدوها في كتاباتهم قبل أن يخفوا فيها ما أخفوه تحت تأثيرات إرهاب الدولة، فضلاً عن العوامل الأخرى التي ربّما لا يسع المجال هنا لذكرها، ومن ثم تخرج الأحداث مشوّهة عرجاء، بعيدة كلّ البعد عمّا جرى وحصل بالفعل، آخذين بعين الاعتبار المصادر القريبة من الواقعة كأبي محنف والفضيل بن الزبير، لأنّها ستكون أقلّ تحريفاً وتزويراً، وأكثر صدقاً في ذكر الأحداث والأسماء والمواقف.

مقتل الفضيل بن الزبير

لقد ذكر الفضيل بن الزبير في كتابه القيمّ «تسمية من قتل مع الحسين من أصحابه وأهل بيته وشيعته»[1] أنّ عدد الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن الحسين عليه السلام يبلغ (١٠٧)، وهو رقم ربّما تفرّد به دون بقيّة المصادر الأخرى، وهذه الوثيقة لقدمها ووثاقتها، تحتاج إلى كثير تأمل وكثير عناية، حتى يمكن أن يخرج الإنسان من خلالها إلى ما هو قريب إلى أرض الواقع، فقد ذكر الفضيل في اسماء الشهداء (١٠) لم تذكرهم المصادر الأخرى، وهم: «عبد الله بن عيّاش بن قيس» ومعه أسلم مولى لهم.

«القاسم بن شبر»، «همام بن سلمة القابضي»، «مولى لأهل شندة يدعى رافعاً»، «الضباب بن عامر»، «عمران بن كعب الأنصاري»، «سليمان بن ربيعة»، «سوار بن أبي حمير الفهمي الهمداني»، «كُثير بن عبد الله الشعبي»، «المهاجر بن أوس»، «وابن عمّه سلمان بن مضارب».

وهذه الأسماء تحتاج إلى تدقيق كبير، لما تضمّنته من أشخاص اشتهر عند المؤرّخين وأرباب المقاتل أنّهم كانوا من عداد جيش عمر بن سعد، فضلاً عن أن يكونوا شهداء في واقعة الطف إلى جانب الحسين، مثل كثير بن عبد الله الشعبي والمهاجر بن أوس.

أما الأوّل: فيعبّر عنه في الروايات بأنّه شرّ أهل الأرض وأجرأهم على دم،

---

(١) جزى الله خيراً المحقق البارع السيد محمد رضا الجلالي على جهده في تحقيق هذا الكتاب، بعد أن وقع في يده (مجلة تراثنا العدد٢) ١٤٠٥هـ.

كما في رواية الطبري: لمّا نزل الحسين كربلاء ونزلها عمر بن سعد، بعث إلى الحسين عليه السلام كثير بن عبد الله الشعبي، وكان فاتكاً، فقال له: إذهب إلى الحسين وسله ما الذي جاء به؟ قال: أسأله فإن شئت فتكت به، فقال: ما أريد أن تفتك به ولكن أريد أن تسأله، فأقبل إلى الحسين، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين عليه السلام: أصلحك الله أبا عبد الله، قد جاءك شرّ أهل الأرض وأجرأهم على دم وأفتكهم، ثمّ قام اليه وقال: ضع سيفك، قال: لا والله ولا كرامة، إنّما أنا رسول، فإن سمعتم منّي حتى ابلغتكم ما أرسلت به اليكم، وإن أبيتم انصرفت عنكم، فقال له أبو ثمامه: فإنّي آخذ بقائم سيفك ثمّ تكلّم بحاجتك، قال: لا والله ولا تمسّه، قال: فأخبرني بماذا جئت؟ وأنا أبلغه عنك، ولا أدعك تدنو منه فإنّك فاجر، قال فاستبّا. ثمّ رجع كثير إلى عمر فأخبره الخبر، فأرسل قرّة بن قيس التميمي الحنظلي مكانه فكلم الحسين عليه السلام».

وأنت تقرأ معي في هذه الرواية كم من الألفاظ المشينة قد وصفها له أصحاب أبي عبد الله؛ «شر أهل الأرض»، «أجرأهم على دم»، إضافة إلى قول الطبري نفسه عنه إنه كان فاتكاً، كلّ هذا لا شكّ والحسين في بداية نزوله في كربلاء، ليعطينا صورة واضحة عمّا يمكن أن يفعله هذا الفاجر في الغد، أو ما فعله على أرض الواقع يوم العاشر من المحرّم، حيث اشترك بشكل مباشر في قتل خيار أهل الأرض وعبّادها، أمثال زهير بن القين البجلي الذي كان راصداً له ولأخباره ولخطبه، وكان حريصاً على أن يقتله هو لا غيره، فإذا كان هذا حال الرجل، فكيف يمكن له أن يهتدي، ومن ثم ينتقل إلى صفّ أبي عبد الله الحسين ويقتل

بين يديه، كما فعل الحرّ بن يزيد الرياحي وآخرون؟! إنّ الهداية لها دواعٍ ومقدّمات لابدّ من توفّرها أوّلاً، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء. إلى قوله. وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[1].

أمّا الثاني: وهو المهاجر بن أوس، فلم يكن أقلّ من صاحبه شرّاً وجرأة على الله ورسوله، فقد ارتكب من الجرائم ما لا يعلم بها إلاّ الله، فقد نقل التاريخ عنه صوراً من الخسّة والحقارة، حيث انبرى المهاجر بن أوس إلى الحسين مفتخراً ومتباهياً بقطع الماء عن الحسين بقوله: «يا حسين، ألا ترى الماء يلوح كأنّه بطون الحيّات، والله لا تذوقه أو تموت دونه. فقال الحسين عليه السلام إنّي لأرجو أن يوردنيه الله ويحلّئكم عنه»[2]، وهكذا ينقل التأريخ عنه صور الإجرام، حتى أنّه اشترك في قتل زهير بن القين مع صاحبه كثير بن عبد الله الشعبي، يقول المقرم في مقتله: «وخرج بعد زهير بن القين...، وهو يقول:

أنا زُهيرٌ وأنا ابنُ القَينِ أذُودُكُمْ بالسيف عن حسينِ

فقتل مائة وعشرين، ثمّ عطف عليه كثير بن عبد الله الشعبي والمهاجر بن أوس فقتلاه»[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) أنساب الأشراف: ج٣ ص١٨١، كتاب ترجمة الإمام الحسين من كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل، تحقيق عبد العزيز الطباطبائي: ص٦٧.

(٣) مقتل المقرّم: ص٢٤٧.

فإذا كان حاله كما سمعت وقرأت، فكيف يمكن أن يوفّق إلى الشهادة بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟! فورود هذا الاسم عند الفضيل بن الزبير في كتابه مع أسماء الشهداء يشكّل نقطة تحيّر، كما حصل مع محقّق كتاب الملهوف على قتلى الطفوف، الشيخ فارس تبريزيان، حيث علق بقوله: «ولا أعلم هل المهاجر بن أوس اثنان؟ أو واحد كان في معسكر ابن سعد ثمّ التحق بمعسكر الحسين عليه السلام واستشهد معه؟»[1].

بل لابدّ من رفض هذا الاسم وعدم إدخاله في قائمة شهداء الحسين في كربلاء، وأعتقد جازماً بعد مراجعتي المتكرّرة لعبارة الفضيل بن الزبير في كتابه، أنّ هناك اسماً ساقطاً لا تستقيم العبارة من دونه، ومعه لا يكون هناك إشكال مطلقاً، فعبارة الفضيل في كتابه وردت هكذا: «وقتل من بُجيلة، كثير بن عبد الله الشعبي، ومهاجر بن أوس، وابن عمّه سلمان بن مضارب»[2].

وبتقديري أن العبارة الصحيحة هكذا:

«وقتل من بُجيلة، زهير بن القين، قتله كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس، وابن عمّه سلمان بن مضارب»[3]

ومع ما قدّمناه يكون الفضيل بن الزبير قد أورد في كتابه (١٠٥) من أسماء الشهداء وليس كما نقل في مجلة تراثنا، العدد٢ لسنة ١٤٠٥هـ حيث كانوا (١٠٧).

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس، تحقيق الشيخ فارس تبريزيان: ص١٥٩، ويسمّى أيضاً: اللّهوف في قتلى الطفوف.

(٢) كما وردت في مجلة تراثنا، العدد٢ لسنة ١٤٠٥هـ، تحقيق السيد محمد رضا الجلالي.

(٣) ومع وجود اسم زهير بن القين يحل الإشكال في العبارة ويفصل بين الصالح والطالح.

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة رقم (٥) وهي زيارة الناحية المقدّسة:

فإنّ هذه الزيارة من الزيارات المنسوبة إلى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف للإمام الحسين كبقية زيارات أئمّة أهل البيت عليهم السلام له ولكنّها تميّزت عنها باحتوائها على أسماء لشهداء الطفّ وأسماء من قتلهم.

وقد نقل هذه الزيارة من العلماء المتقدّمين الشيخ المفيد والسيّد المرتضى وابن المشهدي[1] وابن طاووس[2]، وبعد هؤلاء الأعلام نقلها العلماء المتأخّرون، كالمجلسي في البحار والنوري في مستدرك الوسائل وعباس القمي في نفس المهموم وآخرين[3]، حتى تسالم في مؤلّفات الشيعة أنّ هناك زيارة تسمّى زيارة الناحية، تنسب إلى الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ألا وهو الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) هو الشيخ الجليل السعيد أبو عبد الله محمد بن جعفر بن علي المشهدي الحائري، المعروف بابن المشهدي، هذا الرجل من أجلّاء العلماء من السلف الماضين واعتمد الأصحاب على كتابه، وهو الأصل في عدّة من الأدعية والزيارات... قال عنه المحدّث الحرّ العاملي: «كان فاضلاً محدّثاً صدوقاً». كتاب المزار للشيخ ابن المشهدي، مقدّمة التحقيق لجواد الفيومي الأصفهاني: ص٥.

(٢) هو السيّد علي بن موسى بن طاووس العلوي الحسني، ينتهي نسبه إلى الحسن المثنى، ولد سنة ٥٨٩هـ وتوفّي في بغداد ٥ ذي القعدة سنة ٦٦٤هـ واختلف في مدفنه، فبعض يذهب إلى أنّه دفن في الحلّة وبعض يذهب إلى أنّه دفن في النجف، له مؤلّفات كثيرة منها: فلاح السائل، والملهوف على قتلى الطفوف، والإقبال وغيرها.

(٣) أعيان الشيعة: ج٨ ص٢١٩؛ بحار الأنوار: ج٩٨ ص٣١٧، المزار الكبير لابن المشهدي: ص٤٩٦ ـ ٥١٩؛ مصباح الزائر: ص١٩٨.

نعم هناك إشكال يورده بعض علمائنا في تاريخ الزيارة وهو سنة ٢٥٢هـ[(١)] حيث يقولون بأنّ هذا التاريخ لا يتّفق مطلقاً مع النسبة إلى الإمام المنتظر الذي لم يكن مولوداً في ذلك الوقت، حيث ولد سنة ٢٥٦هـ أو ٢٥٥هـ[(٢)].

ولذلك ذهب معظمهم إلى أنّ هذه الزيارة تنتسب إلى الإمام الحسن العسكري وليس إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كما ذهب إلى ذلك التستري في قاموس الرجال[(٣)]، بينما أصرّ آخرون على أنّ الزيارة منسوبة إلى الإمام المهدي، غاية ما في الأمر أنّ هناك اشتباهاً في كتابة التأريخ، فبدلاً من ٢٦٢هـ كُتِب ٢٥٢هـ كما صرّح بذلك المجلسي في بحاره[(٤)].

وقد مال الشيخ محمد مهدي شمس الدين في تحقيقه القيّم لهذه الزيارة إلى إمكانية أن تكون الزيارة منسوبة إلى الإمام الحسن العسكري، حيث يقول: «والافتراض الثاني (النسبة إلى الإمام الحسن العسكري) أولى بالقبول من الافتراض الأوّل لولا الاعتراض عليه بأنّ مصطلح الناحية في الثقافة الشيعية الإمامية يعني الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن عليه السلام في عصر غيبته الصغرى، ولا نعلم أنّه استعمل للتعبير عن غيره من الأئمة»[(٥)].

وقد علّق سماحة الشيخ فوزي آل سيف في كتابه «تساؤلات حول النهضة

---

(١) أنصار الحسين لشمس الدين: ص١٧٠.

(٢) أصول الكافي: ج١ ص٥١٤.

(٣) قاموس الرجال للتستري: ج٨ ص٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٤) بحار الأنوار: ج٩٨ ص٢٧٤.

(٥) أنصار الحسين لشمس الدين: ص١٧١ ـ ١٧٢.

الحسينية» بقوله: «يظهر أنّ ما ذهب اليه المحقّق التستري رحمه الله هو الأقرب بالرغم من أنّ لفظ الناحية اذا أُطلق فإنّه يقصد منه صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، إلاّ أنّنا وجدنا في كتب الحديث والمصادر الرجالية أيضاً التعبير عن غير الإمام الحجّة بلفظ الناحية، ممّا يسهّل أمر حمل اللفظ على الاحتمال الثاني، وهو أنّها صادرة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والذي كان أيضاً في فترات معيّنة يتعامل مع شيعته بنحو غير مباشر، تمهيداً للمرحلة القادمة وتعويداً لهم على التعامل مع إمام مستور.

فنحن نرى أنّ هذا اللفظ قد استعمل من قبل الإمام الجواد عليه السلام للإشارة إلى أمر التشيّع فقد نقل الشيخ الطوسي عن داود أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في هشام بن الحكم؟ فقال: رحمه الله، ما كان أدبهُ عن هذه الناحية، أي المذهب... أو الإمام.

ونقل الكليني رضي الله عنه في الكافي عن علي بن عبد الغفار قال: «دخل العباسيون على صالح بن وصيف، ودخل صالح بن علي وغيره من المنحرفين عن هذه الناحية، على صالح بن وصيف عندما حبس أبا محمد عليه السلام، فقال لهم صالح: وما أصنع! قد وكلّت به رجلين من أشرّ من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، فقلت لهما: ما فيه؟ فقالا: ما تقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كلّه...»

ويحتمل فيه أنّ المقصود هو انحرافه عن خطّ الإمامة، أو عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وحين يتحدّث الشيخ الصدوق عن إبراهيم بن محمد الهمداني، يصفه بأنّه وكيل الناحية، مع أنّه لم يدرك الإمام الحجّة بل ولا العسكري، وإنّما

هو صاحب الإمام الرضا والجواد والهادي عليهم السلام، فقد قال في من لا يحضره الفقيه: «**إبراهيم بن محمد الهمداني، من أصحاب أبي الحسن الهادي عليه السلام، ووكيل الناحية، ثقة جليل، والطريق اليه حسن كالصحيح بإبراهيم بن هاشم**» وأمّا العلّامة في الخلاصة، فقد استعمل لفظ الناحية للدلالة على الأئمّة: الحجّة والعسكري والهادي، فقال: «**حمد بن علي بن إبراهيم بن محمد الهمذاني ـ بالذال المعجمة ـ روي عن أبيه، عن جدّه، عن الرضا عليه السلام، وكان محمد وكيل الناحية الذي لا تختلف الشيعة فيه، وقد كان من أصحاب الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام، وكان وكيلاً لهم**»[1].

وعلى هذا تكون زيارة الناحية المقدّسة منسوبة إلى الإمام الحادي عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ألا وهو أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام، وقد حوت هذه الزيارة على (٦٣) اسماً من أصحاب الحسين و(١٧) اسماً من أهل بيته من غير الحسين عليه السلام ومسلم بن عقيل. وقد تحدّث العلماء عن الأسماء التي وردت في هذه الزيارة، وهل يمكن أن تكون مرجعاً أساسيّاً في قبال بقيّة المراجع الأساسية الأخرى؟

لقد ذهب الكثير من علمائنا إن لم يكن كلّهم، إلى أنّ هذه الزيارة لا يمكن ان تُعدّ مصدراً أساسيّاً، نعم يمكن أن تعدّ ضمن المصادر الثانوية أو العاضدة للمصادر الأوّلية إن صحّ التعبير.

والسبب الرئيسي في ذلك يعود إلى احتواء سندها على شخصين مجهولين لا يعلم حالهما، فقد يكونان ممدوحين وقد يكونان مذمومين، ومع احتمال الذمّ

(١) من قضايا النهضة الحسينية للشيخ فوزي آل سيف: ج١ ص١٤١.

يسقط الاعتبار الأساسي لهذه الزيارة[١]، وبنفس المستوى الذي نتعامل فيه مع الادلة الأساسية.

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة رقم (٦) وهي الزيارة الرجبية

من الأدلة التي يذكرها العلماء، وهي: الزيارة الرجبية، التي ورد أصل هذه الزيارة في كتاب الإقبال للسيد ابن طاووس، ولها مع زيارة الناحية أوجه تشابه في أسماء شهداء كربلاء وأوجه اختلاف.

ويرجّح المحقّقون، ومنهم الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله أنّ هذه الزيارة من تأليفات السيّد ابن طاووس نفسه حيث يقول: «ويبدو من هذه الكلمة أنّ السيّد ابن طاووس هو الذي ألّف هذه الزيارة، وإن لم يصرّح بذلك»[٢].

ثمّ يقول في نهاية بحثه: «ومن هنا فإنّنا لا نستطيع اعتبار الزيارة الرجبية مصدراً أساسياً في بحثنا كما اعتبرنا الزيارة المنسوبة إلى الناحية، لا لشكّنا في وثاقة السيّد ابن طاووس رحمه الله، فهو فوق الشبهات، وإنّما لشكّنا في دقة مصادره، ولعلمنا بتزايد التحريف والتصحيف في هذه الفترة المتأخّرة، مع عدم العناية بالتحقيق والتدقيق».[٣]

وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تكون هذه الزيارة معتمداً علميّاً صحيحاً في

---

(١) وللمزيد من الإيضاح حول هذه النقطة المهمّة راجع كتاب أنصار الحسين للعلّامة شمس الدين: ص١٤٥ وما بعدها، ويقول عنها في ص٧٢: «ونحن نعتبرها كوثيقة تاريخية فقط، لأنّ صفتها الدينية غير ثابتة» ولهذا لم يكتفِ بهذه الأسماء بل أضاف عليها.

(٢) أنصار الحسين لشمس الدين: ص١٧٥.

(٣) المصدر السابق: ص١٧٦.

معرفة عدد الشهداء في واقعة الطفّ. نعم يمكن أن تكون مصدراً ثانوياً أو عاضداً للمصدر الأساسي، كما مرّ في زيارة الناحية.

تقديرنا لعدد الشهداء

حسب تتبّعنا وبذلنا للجهد بمقدار ما تبلغه الاستطاعة، وجدنا أنّ عدد الأشخاص الذين فازوا بالشهادة بين يدي ريحانة رسول الله الإمام الحسين بن علي عليه السلام يتراوح عددهم من (١١٢) شهيداً إلى (١٤٥) شهيداً، وهي رواية الإمام الباقر عليه السلام[١] والتي نقلها لنا عمّار الدهني، متضمّناً هذا العدد الشهداء من أهل البيت بما فيهم الحسين عليه السلام ومسلم بن عقيل عليه السلام. واليك بيان ما أجملناه.

التقدير الأول

لا شكّ أنّ رواية الإمام الباقر عليه السلام المتقدّمة لا يمكن غضّ الطرف عنها بشكل كامل مع وجود مؤيّد لها كما سيأتيك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بعد ما بيّناه في مناقشتنا لها فيما تقدّم، حيث انتهينا إلى ضرورة طرح ما يتيقّن الانحراف والتزوير فيه، وأخذ ما عداه وهو الصحيح الذي ورد عن الإمام.

يقول السيّد سامي البدري: «وفي ضوء ذلك كان من الضروري التحقيق في الرواية التأريخية التي ظهرت في هذه الفترة الخطيرة، سواء كانت رواية أبي مخنف أو رواية غيره، وتجزئة الرواية إلى أجزاء، واستبعاد الجزء الذي يلتقي مع الهدف الإعلامي للعباسيّين إن لم يكن لدينا غيرها».[٢]

---

(١) وإن كنّا نميل إلى هذه الرواية وما ذكرته أكثر من الأرقام في المصادر الأخرى.

(٢) الإمام الحسين الظلامة الفاتحة الهادية، للسيّد سامي البدري، فقرة كتاب ابي مخنف حول مقتل الحسين.

ومن الجلي لكلّ ذي عينين أنّ رواية الإمام الباقر عليه السلام هي المصدر الموثوق من جهات متعدّدة، فوجود الإمام نفسه في واقعة كربلاء ومشاهدة ما جرى يعطي لنا صورة عمّا حمله الإمام من معاناة في تلك الحقبة بأدق تفاصيلها، حيث يقول: «قتل جدّي الحسين، ولي من العمر أربع سنوات، وإنّي لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت»[١]. فضلاً عمّا ورد فيه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله لاسيّما رواية جابر وسلامه عليه. إضافة إلى كلّ ذلك ما سمعه الإمام من أبيه زين العابدين، ومن عمّته زينب والهاشميّين الذين حضروا الطفّ مع الحسين عليه السلام.

أولاً: وممّا يؤيّد ما جاء بهذه الرواية من أعداد، ما يلي:

رواية اليافعي في مرآة الجنان حيث قال: «وقتل معه من أصحابه مبارزة (٨٢)[٢]، فإذا أضفنا إلى هذا الرقم شهداء الحملة الأولى والبالغ عددهم (٤٥) شهيداً وهو الوسط بين رقم (٤٠) كما ذكره ابن شهر أشوب و(٥٠) كما ذكرته بقيّة المصادر الأخرى، إضافة إلى شهداء أهل البيت أو ما يعبّر عنهم بشهداء بني هاشم، والبالغ عددهم كما عند المشهور (١٧)، فيكون المجموع (١٤٤)، أو ما يقاربه.

٨٢ + ٤٥+ ١٧ = ١٤٤ وهي رواية الإمام الباقر أو ما يقاربها.

ثانياً: رواية الحصين بن عبد الرحمن، عن سعد بن عبيدة[٣]، حيث يذكر بأنّهم كانوا قريباً من مئة، وهو الرقم الذي قبله الشيخ شمس الدين رحمه الله، ورجّح أنّ

---

(١) طبقات ابن سعد: ٥ ص٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٢) مرآة الجنان لليافعي: ج١ ص١٣١.

(٣) أنصار الحسين: ص٤٦.

هذا الرقم بعد الحملة الأولى، وذلك لرمي عمر الطهوي السهم على الإمام الحسين ووقوعه بين كتفيه، وهذا ما لم يحصل إلاّ بعد نشوب الحرب وحصول الحملة الأولى، فاذا أضفنا إلى هذا الرقم وهو (١٠٠) أو ما يقاربها، عدد من استشهد في الحملة الأولى والذي يتراوح بين (٤٠) إلى (٥٠) والمتوسط بينهما (٤٥)، فستكون النتيجة (١٤٥). ١٠٠ + ٤٥ = ١٤٥

ثالثا: رواية الخوارزمي حيث يقول: «فصل الحسين من مكّة يوم الثلاثاء، يوم التروية، لثمان مضين من ذي الحجّة، ومعه اثنان وثمانون رجلاً من شيعته ومواليه وأهل بيته»[1].

نضيف إليه من التحق به وهو في طريقه إلى كربلاء، وهم قرابة (٢١) رجلاً كما يؤكّد ذلك محمد حسين الأعلمي في دائرة المعارف، ثمّ يذكر بعد ذلك أسماءهم[2].

إضافة إلى ما ذكره ابن طاووس من التحاق (٣٢) رجلاً بمعسكر الحسين عليه السلام في كربلاء قبيل أو في أثناء المعركة.[3]

(١) الخوارزمي في مقتله: ج١ ص٢٢٠.

(٢) دائرة المعارف، محمد حسين الأعلمي: ج٢٣ ص١٩٤.

(٣) ويرفض الشيخ محمد مهدي شمس الدين هذه الرواية التي ذكرها ابن طاووس لسببين رئيسيين هما:
أنّ حدثاً من هذا القبيل يجب أن يلفت نظر الرواة الآخرين فينقلوه لنا لا أن يكتفي به شخص.
أنّ هذا العدد (٣٢) عدد كبير بالنسبة إلى عدد أنصار الحسين القليل، فكان من الطبيعي أن تظهر آثار هذه القوة، ومع عدم ظهورها دليل على عدم وجود مثل هذا الالتحاق. نعم يفسرها على فرض صحتها بأولئك الذين انحازوا ولم يقاتلوا، مثل مسروق بن وائل الحضرمي وغيره.
ويعلّق الشيخ فوزي آل سيف على ذلك بقوله: «ويمكن التعليق على ما ذكر آنفاً بعدم استبعاد هذا ←

وهناك بعض الأسماء لم يذكرها الأعلمي في دائرة المعارف، وهي كالآتي:

١. الطرمّاح بن عدي، حيث التحق بالحسين عليه السلام منذ خروجه من مكّة، وبقي معه إلى أن استشهد بين يديه، كما يؤكّد ذلك الشيخ الطوسي في رجاله: «الطرماح بن عدي... من أصحاب الحسين، وهو في غاية الجلالة والنبالة، ولولا إلاّ مكالماته مع معاوية التي أظلمت الدنيا في عينيه لأجلها، وملازمته لسيّد الشهداء في الطفّ إلى أن جرح وسقط بين القتلى، لكفاه شرفاً وجلالة».[١]

٢. واضح التركي، التحق مع جنادة وعمرو بن خالد ومجمع وابنه كما في إبصار العين للسماوي.[٢]

٣. نافع بن هلال الجملي خرج من الكوفة ولقي الحسين في الطريق، كما في إبصار العين.[٣]

٤. سلمان بن مضارب البجلي، جاء مع ابن عمّه زهير بن القين، كما في

→ الرقم، فإنّ الناظر في روايات المقتل كما تبين لك في المتن، يرى أنّ نصف هذا العدد قد رصدت حركتهم لاقترانها بحدث، ولم ترصد باقي الأسماء لسبب أو لآخر، كما أنّ بعضهم كما يذكر المؤرخون، قد مالوا على الجيش الأموي وهم فيه وقاتلوهم...، فإنّ حالات التحوّل كانت فردية وامتدت من الليلة العاشرة إلى يوم العاشر، وتحوّل عدد ثلاثين من مجموع ثلاثين ألفاً لا يمكن أن يلفت الأنظار أصلاً، خصوصاً في حالات فردية، لا أنّ مجموع الثلاثين قد جاءوا في صورة مجموعة للحسين». من قضايا النهضة الحسينية: ج٢ ص١٩٥.

(١) تنقيح المقال: ج٢ ص١٠٩.

(٢) إبصار العين: ص١١٣.

(٣) المصدر السابق: ص١١٤.

إبصار العين: ص١٣٢.

٥. مجمع بن زياد بن عمرو الجهني، حيث تبع الحسين من منازل جهينة.[١]

٦. عبّاد بن المهاجر بن أبي المهاجر الجهني، تبع الحسين من منازل جهينة.[٢]

٧. عقبة بن الصلت الجهني، تبع الحسين من منازل جهينة.[٣]

فإذا حسبنا رواية الخوارزمي (٨٢) وأضافنا إليها ما جاء في رواية الأعلمي فيمن التحق بالحسين في الطريق إلى كربلاء (٢١)، مضافاً إلى ما جاء في رواية ابن طاووس فيمن التحق بالحسين ليلة العاشر أو يومها (٣٢) رجلاً زائداً الأسماء التي لم يذكرها الأعلمي وعددها (٧)، فستكون النتيجة = ١٤٢.

٨٢ + ٢١ + ٣٢ + ٧ = ١٤٢ وهو العدد الأقرب لرواية الإمام الباقر عليه السلام، علماً أنّ الأعداد التي ذكرت في الروايات لم تؤخذ بشكل إحصائي دقيق، وإنّما كانت نتيجة النظر الذي ربّما تكون فيه زيادة أو نقيصة على الواقع.

التقدير الثاني

والذي يشير من خلال أدلته إلى أنّ أصحاب الحسين الذين جاءوا معه إلى كربلاء بلغ عددهم (١١٢) زادوا عن ذلك قليلاً أم نقصوا قليلاً، بسبب الأخذ أو عدم الأخذ باحتمال تصحيف الأسماء، خصوصاً فيما ذكر في مقتل الفضيل بن

---

(١) إبصار العين: ص١٥٢.

(٢) إبصار العين: ص١٥٢.

(٣) إبصار العين: ص١٥٢.

الزبير على أساس أنّه يمثّل مصدراً تاريخياً مهمّاً في هذا المجال لا يمكن لأيّ باحث عن شهداء كربلاء أن يتغافل عنه مع علمه به، حيث ذكر في مقتله اسمين نحن نرجّح أنّ العبارة التي تستقيم معهما ما تقدّم في حديثنا عن هذا المقتل[1]، وربّما يكون هناك تصحيف فيهما.

فتكون النتيجة مضافاً إلى ما ذكره الفضيل بن الزبير من عدد الناجين:

١٠٥ + ١٠ = ١١٥ عدد أصحاب الحسين

التقدير الثالث

أن نحسب عدد الرؤوس المقطوعة والتي بلغت ٧٨ رأساً، كما عند المجلسي وابن طاووس[2]، ونضيف اليها عدد رؤوس الموالي الذين لم ترفع رؤوسهم على الرماح، بسبب العصبية القبلية من جهة، وعدم الافتخار برفعها على الرماح كما يحصل عند رفع رؤوس الآخرين، مضافاً اليهم عدد ممّن تذكر الروايات أنه لم يقطع رأسه، وهم الحرّ بن يزيد وأخوه مصعب وابنه بكير أو علي وعبد الله الرضيع[3]، مضافاً إلى كلّ ذلك عدد الناجين من معركة كربلاء، فستكون النتيجة كالتالي:

٧٨ + ٢٠ + ٤ + ١٠ = ١١٢ عدد أصحاب الحسين عليه السلام

---

(١) في بداية هذا البحث، وهو ما يتعلق بالفقرة (٤) من الأدلة التي ذكرها العلماء.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٥ ص٦٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ص٦٠.

(٣) للمزيد حول هذه الأسماء وما جرى عليها يراجع: إبصار العين: ص١٦٩؛ وسيلة الدارين: ص١١١ وص١٩٢، واعتقد أن العشيرة كما أبت قطع رأس الحرّ أبت كذلك قطع رأس أخيه وولده، فالملاك في الجميع واحد وإن كان في الحر آكد لأنّه زعيمهم.

الشهيد مسلم بن عوسجة

صحابي جليل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وركن من أركان ثورة الحسين في الكوفة مع مسلم بن عقيل وكذلك في كربلاء، كان شريفاً سريّاً عابداً متنسّكاً كما تصفه الروايات[1]، بذل نفسه الشريفة بسخاء من أجل الإسلام ومن أجل الدفاع عن حرمة الحسين عليه السلام، ولقد حفلت حياة الرجل بالمواقف الكثيرة التي تحولت فيما بعد إلى أسوة يُحتذى بها، سواء أكانت هذه المواقف قبل كربلاء أم بعدها أم فيها، ولهذا نحن نحاول أن نسلّط الأضواء عليها لما لها من تأثير كبير علينا، من أجل أخذ العظة والعبرة والدرس منها، في وقت عزّ فيه وجود القدوات، وكثر فيه المخادعون والدجّالون، وضاع فيه الصالح واختلط بالطالح، ولكن وقبل الدخول إلى هذه الشخصية، نحاول أن نسلّط الأضواء على ما قاله العلماء حول اسمه ونسبه وبعض صفاته.

---

(١) إبصار العين للسماوي: ص٨١.

أقوال العلماء فيه

١. قال النمازي: «من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، كان رجلاً شجاعاً عابداً متنسّكاً، جملة من قضاياه مع معقل مولى ابن زياد (في الكوفة)».[١]

٢. قال الشيخ السماوي: «هو مسلم بن عوسجة بن سعيد بن ثعلبة بن دودان ابن أسد بن خزيمة، أبو حجل الأسدي السعدي، كان رجلاً شريفاً سريّاً عابداً متنسّكاً».[٢]

٣. قال الزنجاني: «قال ابن سعد في طبقاته: وكان صحابياً ممّن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله، وروى عنه الشعبي، وكان فارساً شجاعاً، له ذكر في المغازي والفتوحات الإسلامية».[٣]

٤. قال المامقاني: «جلالة الرجل وعدالته وقوّة إيمانه وشدّة تقواه ممّا تكلّ الأقلام عن تحرير ذلك، وتعجز الألسن عن تقريره، ولو لم يكن في حقّه إلاّ ما تضمّنته زيارة الناحية المقدّسة لكفى».[٤]

٥. قال خير الدين الزركلي: «مسلم بن عوسجة الأسدي، بطل من أبطال الإسلام، شهد يوم أذربيجان وغيره من أيام الفتوحات، وكان مع الحسين بن علي فقصده في الكوفة، فقتل وهو يناضل عنه».[٥]

---

(١) مستدركات علم الرجال: ج٧ ص٤١٤ ح١٤٩١٥.

(٢) إبصار العين: ص٨١.

(٣) وسيلة الدارين: ص١٨٧.

(٤) تنقيع المقال: ج٣ ص٢١٤.

(٥) الأعلام للزركلي: ج٧ ص٢٢٢.

٦. قال عبد الواحد المظفّر: «إذا كانت البطولة عنوان المحاسن ومجمع الكمالات ومحور الفضائل، فلا شكّ أنّ مسلم بن عوسجة الأسدي من أتمّ الرجال في المحاسن التي يتفاخر بأقلّها عظماء الرجال، ويتمادح ببعضها الوجوه والاعيان»[١].

أسرة الشهيد

يرجع نسب الشهيد، كما تقدّم إلى سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، ولم يذكر أهل النسب ولم يتعرّضوا إلى كيفية رجوع الشهيد إلى سعد بن ثعلبة، على أساس ان الفاصل الزمني بين مسلم بن عوسجة وسعد بن ثعلبة كبير، ومن ثم فلابدّ أن يكون بينهما لا أقل من ثلاثة أو أربعة أجداد، ولكنّهم مع ذلك ذكروا أمراً آخر ربّما من خلاله نستطيع أن نميل إلى جهة من أجداده هم الأقرب إلى أن يكون الشهيد راجعاً إليهم.

فقد ذكر أهل الاختصاص لثعلبة هذا، الذي يرجع إليه الشهيد الكربلائي، أبناء متعدّدين، فمن هؤلاء بنو غاضرة بن مالك بن ثعلبة، ولهؤلاء تنسب الغاضريّات لأنّهم سكنوا فيها ومن هؤلاء بنو فقعس والذين يرجعون إلى الحارث بن ثعلبة[٢] ومن هؤلاء بنو ناشرة، وهم الذين يرجعون إلى سعد بن ثعلبة[٣]، ومن هؤلاء بنو صيداوي، وليس صيدا كما يذكر بعضهم، وإليهم يرجع قيس بن مسهر الصيداوي[٤].

---

(١) الأمالي المنتخبة للشيخ عبد الواحد المظفر/ ص١١٨.

(٢) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر كحالة/ باب القاف/ ص٩٢٥.

(٣) نهاية الأرب للنويري ج٢/ ص٣٥٠؛ معجم ما استعجم للبكري ج٢/ ص٥٠٩.

(٤) تنقيح المقال/ هامش صفحة ٣٧٨؛ نهاية الأرب/ ص٤٢٢.

الشهيد من بني ناشرة

وبعد الجهد والعناء في البحث وجدت ـ وهذا ما أميل إليه ـ أنّ الشهيد الكربلائي ربّما يكون من بني ناشرة، لأنّه يلتقي معهم في جدّه الأكبر سعد بن ثعلبة، بينما الأبناء الآخرون يختلفون معه حتى بجده سعد هذا، فبعضهم ينتمي إلى مالك بن ثعلبة، وبعضهم إلى الحارث وهكذا. فمن المرجّح أن يكون أجداد الشهيد هم بني ناشرة دون غيرهم، والله أعلم بذلك في الواقع.

وقد يسألني أحدهم ويقول: ولم كل هذا العناء؟ أهناك ضرورة أن نعرف نسب الشهيد بكلّ دقّة؟ ألا تكفي الرجل مواقفه في كربلاء؟! فلماذا كلّ ذلك؟

وأجيب: أنّ هناك حاجة نفسية توجد عند كلّ من تتعلّق نفسه بالعظماء والكبراء والشخصيّات الفذّة أن يعرف عنها كلّ صغيرة وكبيرة، حتى ولو كان هذا الصغير لا يعني شيئاً عند الناس، ولكنّه يعني شيئاً كبيراً عند من تعلّق بهذه الشخصية.

وربّما ولأجل ذلك نجد أنّ وسائل الإعلام تسلّط الأضواء في بعض الأحايين على بعض الشخصيّات السياسية أو الفنيّة أو العلمية أو غيرها، حتى في طريقة الأكل والنوم والسفر واللبس وهكذا، بل حتى في أدقّ التفاصيل التي تتعلّق بهم، وهذا كلّه ناتج من أنّ الإنسان عندما يحبّ أحداً ويتعلّق به، خصوصاً اذا تحوّل هذا الإنسان إلى قدوة له في حياته، يحاول أن يعرف عنه كلّ شيء.

ومن هنا نقول إنّ معرفة النسب الحقيقي للشهيد الكربلائي وتتبّعه على وجه الدقّة، هو مطلب طبيعي لمن أحبّ تلك الشخصية وتعلّق بها، ومن هنا فإنّ الدقّة

في ذكر النسب خير من أن نذكر النسب ولكن ليس بشكل دقيق، يعني بعبارة أخرى أنّ الإنسان يحبّ أن يرى من يتعلّق قلبه به فعلاً، واقعاً ملموساً، مجسّداً من خلال النسب والموقف، وهذا ما نحاول أن نركّز عليه في بحثنا هذا، وسيأتي في الحديث عن شهداء آخرين من بني أسد بن خزيمة، التعرّض إلى هذه الأسرة العظيمة من جوانب أخرى، تعميماً للفائدة، ولكي يتحوّل هؤلاء الأفذاذ إلى قدوات في كلّ أسرة وفي كلّ قبيلة وفي كلّ بيت.

مواقفه أيام الفتح الإسلامي

عاش مسلم بن عوسجة مع رسول الله وشارك في غزواته وحروبه التي خاضها دفاعاً عن الإسلام، ونشراً للتوحيد في الأرض، وقد بذل مسلم بن عوسجة كلّ غالٍ ونفيس حيث تغرّب عن أهله وعن وطنه، وترك الديار والأحبّة متسلّحاً بالإيمان بالله تعالى والحبّ للإسلام ولنبيّه الكريم، فكان مصداقاً واضحاً من مصاديق المؤمنين الذين جاهدوا وهاجروا وأنفقوا أموالهم وقدّموا أنفسهم في سبيل الله، وبقيت مواقف هذا الرجل مناراً على هذا الطريق وعلى هذا المنهج، لم ينكل ولم يهن ولم يضعف رغم كلّ الفتن والأهواء والمصالح والمخاوف والإغراءات، والتي كانت تعترض طريقه، وقد لزم فيها جادّة الحقّ متمسّكاً بمن رفع رسول الله يده حتى بان بياض إبطيه، علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

فكان الملتزم حقّاً بحقوق هذه الولاية، بحيث سخّر نفسه لخدمة إمامه كما سخّرها لخدمة نبيّه صلى الله عليه وآله، ووقف إلى جانبه في حروبه وقتاله للناكثين والقاسطين

---

(١) وذلك يوم غدير خمّ، حيث قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

والمارقين، وكان الإسلام هو الدافع الذي دفعه إلى كلّ ذلك. فقد آمن به الشهيد الكربلائي أنّه الحلّ الوحيد لكلّ المشاكل التي يعيشها الناس.

فتح سلق آذربيجان

ومن هنا كانت مشاركاته في الفتوح الإسلامية كثيرة، ولكن كان الأهمّ فيها هو فتحه «سلق أذربيجان» سنة عشرين مع حذيفة بن اليمان[1]، تلك المعركة التي تقابل فيها مئات الآلاف من النصارى مع عدد لا يتجاوز الثلاثين ألفاً من المسلمين، ولكنّها كانت تملك إرادة لا تقهر ولا يمكن ان تنكسر أبداً، إنّها إرادة هذا الإيمان المرتبط بالله القوي العزيز، الذي لا يخذل من يتمسّك به ولا يخيب من يلتجئ إليه.

دور مسلم بن عوسجة المتميز في المعركة

ولقد كان لمسلم بن عوسجة في هذه المعركة أثر بالغ في نفوس المسلمين وإشعارهم بقوّتهم وضعف عدوّهم، وذلك حينما زحف اليهم مفرداً وحيداً لا يحمل معه إلاّ كما يحمل كلّ فارس ـ وهو ينزل إلى ساحة المعركة ـ سلاحاً متمثّلاً بالسيف والدرع، ولكنّه سيف الإيمان ودرع الله الحصينة، وعشق الشهادة، ومن ثم أراد هو أن يكون قدوة لهم في عدم الخوف والثقة بالله، والشوق والمحبّة لما أعدّه الله لهم من نعمٍ وخيرات في جنّة عرضها السموات والأرض، وفعلاً نزل مسلم بن عوسجة واذا به يقتل ستة او سبعة من المشركين الأقوياء، لأنّ الذي ينزل ويتحدّى الطرف الآخر في البراز والقتال، لابدّ أن ينزل إليه الشجعان وأصحاب

---

(١) فتوح البلدان: ج٢ ص٣٢٤ ـ ٣٢٥.

البأس منهم، ولكن لا يذكر التاريخ كيف قتلهم؛ هل قتلهم مجتمعين، وهو قادر على ذلك، أم قتلهم واحداً بعد الآخر؟ وهو يمكن أن يكون كذلك، وعلى كلا التقديرين فلقد أبلى الرجل في ذلك اليوم بلاءً حسناً، حتى أنّ أعداءه فضلاً عن أحبائه، شهدوا له هذا الموقف وأُعجبوا به، وصاروا يذكرون لمن لم يحضر هذه المعركة، ومن ثم تحوّل الشهيد الكربلائي إلى قدوة ومثل عظيم يحتذى به.

شبث بن ربعي يشيد بدور مسلم بن عوسجة في المعركة

فها هو شبث بن ربعي، وهو الذي كان قد عاش تلك المعركة وقاتل فيها، ينقل عنه الطبري قوله: «لربّ موقف كريم له في المسلمين».

وهذه نقطة مهمّة أنّ موقف مسلم بن عوسجة في ذلك اليوم كان بدرجة من القوة وبدرجة من التأثير، بحيث أنّ شبث بن ربعي يعترف بأنّ لمسلمٍ من خلال موقفه هذا دَيناً في عنق كلّ مسلم ومسلمة، وقوله أيضاً: «لقد رأيته في سلق أذربيجان قد قتل ستة أو سبعة من المشركين قبل أن تلتام خيول المسلمين»[١].

وهنا العظمة، وهنا الفخر، وهنا الاعتزاز بأن يتقدّم قبل القوم ويقاتل قبل إخوانه المسلمين، يا لها من شجاعة ويا له من إيمان ويا له من عظيم شرف كان يحمله مسلم في جنبات نفسه، ولا غرو أن يذكر له هذا الموقف العظيم بعد أكثر من ١٤٠٠ سنة، وسيبقى هذا الموقف مدوّياً في عقول ونفوس المؤمنين الغيارى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) إبصار العين: ص٨٤.

درس كبير من حياة هذا الشهيد

وهنا وانا أتحدث عن هذا الموقف العظيم لمسلم بن عوسجة، خطرت في ذهني وربما خطرت في أذهان البعض أنّ شبثاً الذي وقف يوم العاشر يقاتل الحسين، كان ممّن اشترك يومها في ذلك الفتح الإسلامي، وكان قد وقف إلى جانب مسلم بن عوسجة لأنّه يقول: «لقد رأيته في سلق أذربيجان» ممّا يدلل على أنّ الرجل كان معه يجاهد في سبيل الله. وربّما ما كان آنذاك ليخطر في ذهن شبث بن ربعي، وهو الذي كان وقتها يحارب من أجل الإسلام، أن سيأتي اليوم الذي سيحارب فيه الإسلام، بل ويقطع أعضاءه وينصر الباطل، لقاء الدنيا وبعض متعها، وخوفاً على نفسه من الموت، ولقد قرأت كتاب (الحسين يكتب قصّته الاخيرة)[1] وهو عبارة عن محاضرات للسيّد الشهيد الصدر، وتعليقة السيّد كاظم الحائري، يقول فيه السيّد محمد باقر الصدر وهو خير ما قرأت في هذا المجال، وكان قدس سره يتحدّث عن شبث بن ربعي: «هو الرجل الذي عاش مع جهاد أمير المؤمنين، الرجل الذي كان يعي مدلول حرب صفّين، وكان يدرك أنّ الإمام علياً في حرب صفّين كان يمثّل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة بدر، ولكنّ الدنيا والانهيار النفسي، ولكنّ النفس الأخير خنقة في البداية»[2].

ويقول أيضاً: «إنّ عبيد الله يبعث إليه ليقاتل الحسين ابن رسول الله، فماذا يكون العذر؟ ماذا يكون الجواب؟ لا يملك أن يعتذر بعذر من الأعذار إلاّ أن يقول: أنا مريض! كلمة باردة جداً على مستوى بروده النفسي، ثمّ يبعث اليه مرّة

---

(١) البحار: ج٤٤ ص٣٨٦.

(٢) الحسين يكتب قصّته الأخيرة: ص٧١ ـ ٧٢.

أخرى ليقول له: المسألة جدّية، لا مرض في هذا المجال؛ إمّا أن تكون معنا وإمّا أن تكون عدوّنا، وبمجرّد أن يتلقّى هذه الرسالة، ويعرف أنّ المسألة جدّية، يقوم شبث بن ربعي ويخرج متّجهاً إلى عبيد الله بن زياد وهو يقول: لبيك»[(١)].

وأعتقد أنّ هذا الدرس عظيم لنا جميعاً، بأن نحذر من الدنيا وأن لا ندعها تؤثّر فينا بالشكل الذي نتحلل بسبب هذا التأثير حتى من مسؤوليّاتنا أمام الله وأمام الناس وأمام هذا الدين العظيم، فهذا شبث بن ربعي لم يكن يوماً ملحداً، بل كان مسلماً، ولقد كان يصلّي ويقرأ القرآن، وكان يصوم ويجاهد في سبيل الله، ومع كل ذلك لم يستطع أن يكبح جماح نفسه من السقوط في تأثيرات الدنيا، فإذا كان الأمر كذلك، علينا أن لا نغترّ بما نصنع من عبادات؛ من صلاة وصيام وغيرهما؛ لأنّ الأهمّ من ذلك كلّه هو أن يكون لهذه العبادة أثر علينا، لأنّ المال والبنين والسلطة والجاه والكرسي وما شاكل ذلك، كلّها هي الاختبار الحقيقي لنجاحنا في عباداتنا أو عدم نجاحنا، وها هو الموقف في كربلاء يكشف عمّن جاهد وصلّى وقرأ القرآن على نحوٍ يريد به وجه الله، ومن قام بذلك ولم يكن مريداً به وجه الله.

فهنيئاً لمسلم بن عوسجة هذا الثبات وتعساً لشبث بن ربعي[(٢)] ومن هم على شاكلته على هذا الخسران في هذه الدنيا.

﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾[(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تنقيح المقال للمامقاني: ج٢ ص٨٠؛ معجم رجال السيّد الخوئي: ج١٠ شبث بن ربعي.

(٣) سورة الإسراء/ آية٢١.

موقفه في الكوفة

لقد كان مسلم بن عوسجة من الذين كانوا يترقّبون الأخبار، ويعيشون همَّ هذه الأمة في كيفية الخلاص من حكّامها وسلاطين الجور فيها، ولكنّهم كانوا صابرين مسلّمين لأمر إمامهم الذي دعاهم إلى التزام بيوتهم ما دام معاوية حيّاً، ولذلك تقول كتب السير: إنّ شيعة أهل البيت، ومنهم الشهيد مسلم بن عوسجة ما إن سمعوا بهلاك معاوية حتى كتبوا إلى الحسين عليه السلام من أجل المجيء لكي يقفوا إلى جانبه حتى آخر نفس من أجل إسقاط النظام الأموي الظالم الذي لم يرتضِ بكل الظلم الذي صنعهُ بهذه الأمة حتى ختم جرائمه شرّ ختمة، بتسليطهم يزيد الكفر والفجور على رقاب هذه الأمة. فكتبوا إلى الحسين كتاباً، وكان بينهم حبيب وسليمان بن صرد الخزاعي ومسلم بن عوسجة والمخلصون من شيعته، بعد أن اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي كما يقول الشيخ المفيد في الارشاد[1]، حيث جاء فيه:

«سلام عليك فإنّا نحرر الله اليك الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العتيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها حقّها، ألخ الكتاب».

ثمّ سرّحوا الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني وعبد الله بن وال.

ومن هنا نفهم أنّ الشهيد مسلم بن عوسجة كان متابعاً للأحداث السياسية عن كثب، ولقد كان الرجل صادقاً في كلماته ولم ينطلق كما انطلق بعضهم

---

(١) الإرشاد للمفيد: ج٢.

من مصالح خاصة وأهواء معيّنة أمثال شبث بن ربعي وحجّار بن أبجر وآخرين، ولذلك ثبت مسلم على موقفه في كلّ الحالات سواء أكانت في الرخاء أم الشدّة، بل جسّدها على ثرى الطف بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وبعد أن دخل مسلم بن عقيل إلى الكوفة سفيراً عن الحسين عليه السلام ومستقرئاً للأحداث له هناك، تقول الرواية أنّ مسلم بن عوسجة كان من أوائل الذين التحقوا به، بل كان موضع سرّه وركن ثورته وحركته الذي يعتمد عليه، وكان مسلم بن عوسجة من الذين تحرّكوا في أخذ البيعة له من أهل الكوفة، وإنّ هذا لشرف عظيم كبير حيث لم يعطِ عليه السلام هذا الوسام إلاّ لجماعة محدودة كانت تعدّ بعدد الأصابع، وهناك نصّ يذكره الشيخ عباس القمّي في كتابه نفس المهموم، يكشف عن عظيم منزلة الشهيد عند مسلم بن عقيل، حيث يقول: «مسلم بن عوسجة وكيل مسلم بن عقيل في قبض الأموال وشراء وبيع الأسلحة وأخذ البيعة».

ولقد كان الشهيد عند حسن ظنّ موكّله فيه، فلقد بالغ في النصيحة وأعطى غاية المجهود، وتفنّن في الدفاع عن حوزة الدين، ولقد تبيّنت الأمور السالفة في عدّة مواقف كان في مقدّمتها اختيار مسلم بن عقيل أن ينزل الكوفة عند دار مسلم ابن عوسجة، كما ينقل الطبري وابن كثير[(١)] وغيرهما.

وإن كان هناك رأي آخر يقول إنّه نزل في دار هاني بن عروة، ورأي ثالث يقول إنّه نزل في دار المختار، كما يذهب إلى ذلك السيّد عبد الرزاق المقرّم في

---

(١) تاريخ ابن كثير: ج٨ ص١٥٢.

كتابه مسلم بن عقيل[١]، وآخرون.

وكذلك حينما عقد مسلم بن عقيل له على ربع مذحج وأسد حينما أراد أن يواجه عبيد الله بن زياد عندما دخل الكوفة، إضافة إلى عدم خروجه من الكوفة حتى آخر مرحلة من مراحل ثورة مسلم بن عقيل، ممّا يعني أنّه كان إلى آخر اللحظات إلى جانبه مدافعاً عنه.

تنبيه حول قصة الجاسوس (معقل)

أودّ أن أشير هنا إلى ما يذكره المؤرّخون حول قصّة الجاسوس الذي بعثه عبيد الله بن زياد إلى مسلم بن عوسجة في مسجد الكوفة، وكيفية كشف الأمر بعد ذلك من قبله وإخبار عبيد الله بن زياد. هذه القصّة التي وصلت إلى درجة كبيرة من الشهرة حتى أنّ الصغير قبل الكبير سمعها أو قرأها.[٢]

وقد يرد في ذهن كلّ من يسمعها ويقرأها جملة من الإشكالات حول كيفية اختراق هذا الجاسوس لمسلم بن عوسجة، والذي حنّكته التجارب والحروب والغزوات بهذه السهولة! ثمّ كيف يطلعه مباشرة على مركز العمليات إن صح التعبير، بحيث يكشف القائد الأكبر ومساعديه وعملهم وكيفية إدارة الثورة في داخل الكوفة؟! واذا كان هذا الأمر يمكن أن نقبله أو نغضّ الطرف عنه مع مسلم بن عوسجة، فكيف بهاني بن عروة فضلاً عن الآخرين، وفضلاً عن سيّدهم ثقة الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام؟

(١) كتاب مسلم بن عقيل للمقرّم: ص٨٠.

(٢) تلخيص قصّة الجاسوس معقل، تاريخ الطبري: ج٤ ص٢٧٠ ـ ٢٧٢.

لا وجود لقصة الجاسوس

يذهب بعض المحقّقين، وهذا ما أميل اليه كثيراً، إلى أنّ هذه القصّة مختلقة لا وجود لها، وكان لواضعها جملة من الفوائد التي يريد ان يجنيها بروايته هذه، والتي أهمّها تصوير أهل البيت ومن ينتسب لهم بالبلاهة، وعدم القدرة على إدارة كفّة البلاد والعباد، وأنّ بني أمية هم أقدر الناس على ذلك؛ فمن جهة يريدون أن يستصغروا أهل البيت وشيعتهم ويقلّلوا من شأنهم، ومن جهة أخرى يرفعوا من شأن بني أمية ويعظّموهم.

ولقد حاول بنو أمية قبل ذلك مثل هذه المحاولات مع علي بن أبي طالب، وأنّه وإن كان رجلاً صالحاً ولكنّه غير قادر على إدارة الحروب وإدارة البلاد، ولذا فالأفضل لهذه الأمة أن يكون عليها من هو قادر على ذلك، وهو معاوية بن أبي سفيان، وخير دليل على ذلك ما ذكره علي بن أبي طالب نفسه في خطبة له كما في نهج البلاغة(١):

«أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الله فتحه الله لخاصة أوليائه إلى أن يقول: يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال، لوددت أنّي لم أعرفكم معرفة والله جرت بذمّ وأعقبت سقماً، قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجرّعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع

---

(١) نهج البلاغة: ج١ ص٦٦ ـ ٦٧.

ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً وأقدم فيها مقاماً منّي؟! لقد نهضت فيهم وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرّفت على الستّين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع».

وها هو واقعنا الذي نعيش فيه خير دليل وشاهد على ما نذهب إليه، حيث يحاول العلمانيون بكلّ ما أوتوا من قوّة أن يصوّروا الإسلاميين ومن يعيشون خطّ الإسلام، بأنّهم أُناس فاشلون غير قادرين على إدارة الحياة السياسية، ومن ثم فالأولى لهم تسليم الأمر إليهم وجلوسهم في المساجد للذكر والصلاة وقراءة القرآن، وهذا لعمرك تسقيط كبير ليس للإسلاميين فحسب، بل تسقيط للإسلام بأكمله، ويبدو أنّ من دسّ رواية الجاسوس معقل، أراد تحقيق نفس الأهداف والنوايا التي حملها بنو أميّة من خلال قريش مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

نعم، قد يعتذر بعضهم[١] عن هذا الاختراق بقوله: إنّ التعرّف على مسلم بن عوسجة لا يحتاج إلى الكثير من العناء، اذ كان رحمه الله وجهاً شيعياً معروفاً، وقد كشف له معقل عن سرّ سهولة تعرّفه عليه حين قال: سمعت نفراً من الناس يقولون هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، فأتيتك لتقبض هذا المال وتدلّني على صاحبك فأبايعه، وإن شئت أخذت البيعة له قبل لقائه، وقد عبّر مسلم عن استيائه من ذلك، حيث قال: لقد ساءتني معرفتك إيّاي بهذا الأمر قبل أن ينمى، مخافة هذا الطاغية، وأنّه ظلّ أيّاماً يجتمع معه في بيته قبل طلب الإذن، وأنّه لم يأذن له حتى أخذ إذن مسلم بن عقيل، وأنّ معقلاً عرّفهم بأنّه مولى لذي الكلاع الحميري في الشام،

---

(١) كما يميل إلى ذلك الشيخ محمد جواد الطبسي في كتابه الركب الحسيني: ج٣ ص٩٣ ـ ٩٤.

والمعروف أنّ الموالي جلّهم لهم علاقة طيّبة بأهل البيت، ومن هنا جرى الذي جرى.

ولكن مع كلّ هذا التخريج، يبقى السؤال قائماً والإشكال متوجّهاً أن يأتي هذا الجاسوس في مدّة وجيزة من الزمن، وفي مرحلة شديد الحساسية، واختراق الجميع بهذه الطريقة السهلة البسيطة، وهم أصحاب التجربة الكبيرة، والذين سمعوا وعلموا وعرفوا أنّ الحرب خدعة، فلابدّ من أخذ الاحتياط كثيراً لذلك!

الخروج من الكوفة

يقول الشيخ السماوي في إبصار العين[1] في أنصار الحسين، «ثمّ إنّ مسلم ابن عوسجة، بعد أن قُبض على مسلم وهاني وقُتلا، اختفى مدّة، ثمّ فرّ بأهله إلى الحسين، فوافاه بكربلاء وفداه بنفسه».

وأغلب الظنّ أنّه اختفى عند قبيلته بني أسد، لأنّهم كانوا أصحاب نفوذ وقوة، ثمّ تمكّن بعد ذلك من الخروج من الكوفة والوصول إلى كربلاء، حيث اللقاء بسيد الشهداء. وهناك من يذهب إلى أنّ مسلم بن عوسجة قد التحق بالحسين في مكّة وهو لم يخرج بعد إلى العراق، وهذا يعني ـ أو أنّ لازمه يعني ـ أنّ مسلم بن عوسجة كان قد خرج من الكوفة قبل يوم ٨ ذي الحجّة يوم شهادة مسلم بن عقيل، وهذا ما لا تساعد عليه القرائن، فإنّ كلّ المؤشّرات تؤكّد بقاء هذا الشهيد لحين اعتقال هاني بن عروة وشهادة مسلم بن عقيل عليه السلام، ممّا يرجّح أن يكون اللقاء قد تمّ في كربلاء مع الحسين.

____

(١) إبصار العين: ص٨٢.

مسلم بن عوسجة يصحب معه زوجته وولده

وتنقل الروايات التي تتحدّث عن خروج مسلم بن عوسجة من الكوفة أنّه لم يكن قد خرج لوحده، بل كان قد صحب زوجته أمّ خلف وولده خلف معه، حيث كتب الشيخ ذبيح الله محلاتي، نقلاً عن عطاء الله الشافعي في روضة الأحباب[١] «**أنّ مسلماً حينما صرع وسمع خلف بمصرع أبيه، اندفع إلى ساحة المعركة، فاعترضه الحسين وأعلمه أنّه إن قتل فإنّ أمّه ستبقى بعده وحيدة، فأراد خلف الرجوع امتثالاً لأمر أبي عبد الله الحسين، واذا بأمّه تعترضه وهي تقول: بني إختر نصرة ابن بنت نبيك على سلامة نفسك، أمّا اذا اخترت سلامتك فلن أرضى عنك ابداً. فبرز خلف وحمل عليهم وهو يسمع أمّه تناديه وتشجعه: أبشر يا ولدي، فإنّك ستسقى من ماء الكوثر. فقتل ٣٠ رجلاً إلى أن سقط على أرض المعركة شهيداً صابراً محتسباً**» وتقول الروايات أنّه لما سقط إلى الأرض أقبلوا إليه واحتزّوا رأسه ورموا به نحو أمّه، فأخذته أمّه واحتضنته ثمّ بكت وأبكت من كان معها، ثمّ أخذت أسيرة مع زينب وبنات رسول الله.

الشهيد في كربلاء

ولقد وصل مسلم بن عوسجة إلى كربلاء والتقى بركب الحسين، وأغلب الظنّ أنّه كان بعد اليوم الثاني من المحرّم، يوم وصول الحسين إلى كربلاء. وهنا بدأت مرحلة جديدة في حياة هذا الشهيد الكربلائي العظيم، حيث المواقف

---

(١) رياحين الشريعة، لذبيح الله محلاتي: ج٣ ص٣٠٥.

العظيمة وحيث التفاني في الدفاع عن الإمام الحسين، معشوقهم الذي انتظروه كثيراً وتحمّلوا الكثير من أجل الوصول اليه. وصل مسلم بن عوسجة ليكون من ضمن اولئك الذين عناهم الحسين بقوله:

«**إني لم أجد أصحاباً خيراً من أصحابي**»[١].

ويروي أبو مخنف في مقتله «**عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي، أنّ الحسين خطب في أصحابه ليلة العاشر من المحرّم قائلاً:** «إنّ القوم يطلبونني، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، ثمّ ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي»[٢]. **فأجابه العباس بن علي: لم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً**».

يقول أبو مخنف:

ثمّ قام مسلم بن عوسجة فقال للحسين: أنحن نخلّي عنك ولمّا تعذر إلى الله في أداء حقك».

وهذه كلمة عظيمة أحببت أن أبيّنها قبل أن استرسل في حديثه رضي الله عنه، فهو يقول بلسان حاله إنّ حقّ الحسين عليه السلام في عنق كلّ مسلم ومسلمة، وهذا الحق لا يعني معرفته فقط، وأنه ابن رسول الله وإمام منصوب من قبل الله تعالى، بل إنّ هذا ربّما عرفه كلّ من عاش مع الحسين، بل ينقل أنّ خولّى بن يزيد الأصبحي، حينما جاء برأس الحسين، جاء به وهو يقول لعبيد الله بن زياد:

---

(١) معالم المدرسين: ج٣ ص٩٠.

(٢) أبو مخنف: ص١٠٩ ـ ١١٠.

إمـــلأ ركـــابي فـــضّةً أو ذَهَبـــا   إنّـــي قَتلـــتُ الـــسيّدَ المحجّبـــا[1]

قَتلـــتُ خَـــيرَ النـــاس أُمّـــاً وأبـــا

فلا تعني مجرّد المعرفة النسبية بالحسين، وأنّـه إمـام معـصوم ومنـصوب مـن قبل الله أنّ الإنسان قد أدّى حقّه، بل إنّ حقّ الحسين كبير وعظيم بالدرجة التـي لا يستطيع الإنسان أن يؤدّيه حتى يراق دمه في سبيل الله من أجله، بل ومع ذلك يبقى يشكّ في نفسه؛ هل أدّى حقّه أم لا؟ كما حصل مع شهيد من شـهداء كـربلاء، ألا وهو سعيد بن عبـد الله الحنفـي حينمـا سـقط إلـى الأرض وجـاءه الحـسين وأخـذ رأسه، قال له: سيّدي يا بن رسول الله، أوفيت؟ إنّه لا يقطع مع كل الـذي لاقـاه أنّـه قد أدّى حقّ الحسين عليه السلام وهكذا نرى مسلم بن عوسجة يقول للحسين: وبم نعتذر وماذا نقـول إلـى الله وإلـى رسـوله إذا قـصّرنا فـي أداء حقّـك الواجـب علينـا، بـأن ننصرك ونقف إلى جانبك حتى يسيل دمنا على الأرض.

وهذا درس عظيم علينا أن نتأمّله كثيـراً ونحـن نعـيش ونقـرأ ونـسمع بواقعـة كربلاء والحديث عن أصحاب الحسين عليه السلام، فـلا نـستكثر عملنـا بعـد ذلـك مهمـا قدّمنا للحسين من خدمة ومن جهد في سبيل تخليد مبادئ ثورته، بعد قول رسول الله له:

«يا حسين، إنّ لك في الجنّة درجة لا تنالها إلاّ بالشهادة».

وهذا درس عظيم لنا جميعاً نستلهمه من حياة هذا الشهيد العظيم.

ثمّ يقول مسلم بن عوسجة رضي الله عنه بعد ذلك: «أما والله، لا أبرح حتـى أطعـن فـي

(١) الشيخ السماوي، إبصار الحسين: ص٨٣؛ أبو محنف: ص١١٠.

صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك»[١].

وهذه أعلى درجات الولاء، بل إنّ الولاء قد تجسّد من خلال هذا الموقف، وبقية المواقف الأخرى العظيمة التي صنعها أبطال كربلاء.

محاولة مسلم بن عوسجة قتل شمر

وممّا ينقل أيضا، كما في إبصار العين للشيخ السماوي: «أنّ مسلماً تمكّن في وقت ما قبل واقعة كربلاء ـ يوم العاشر ـ أن يقتل شمر بن ذي الجوشن، وكان مسلم رامياً ماهراً قد تعلّم الرماية وأتقنها في الحروب السابقة، فرام مسلم أن يرميه، فالتفت إلى الحسين ليأخذ منه الإذن قائلاً:

«سيّدي، إنّ الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبّارين، وقد أمكن الله منه. فقال له الحسين:

«لا ترمه، فإنّي أكره أن أبدأهم بقتال»[٢].

وهنا إشارة أولاً إلى هذا اللعين، وإنّه كأميره وسيّده يزيد بن معاوية، فاسق فاجر متظاهر بالفسق، حيث وصفه العبد الصالح مسلم بن عوسجة بأنّه الفاسق، وثانياً وهو الأعظم في هذا المقام، أنّ الحسين كان يريد السلم لا الحرب، ويريد الجنّة لهم لا النار، وحتى حينما قاتلوه واختاروا الحرب كان عليه السلام يبكي عليهم، لأنّه كان ينطلق من منطلق القرآن والذي كان يقول:

---

(١) إبصار العين/ ص٧٣.

(٢) الشيخ المفيد الإرشاد: ص٢٣٣ ـ ٢٣٤.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾[١].

فلم يكن القتال أمراً محبّباً عند الله ولا عند رسوله، ومع أنّه أمر غير محبوب لما فيه من سفك للدماء وهدر للأموال، بل وتدمير للبلاد والعباد، نجد أنّ القرآن قد أمر المسلمين بأن يقاتلوا:

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾[٢].

فالحرب والقتال قد يلجأ اليه حتى الأنبياء ولكن لا عن رغبة بل إطفاءً للفتنة ودرءاً للمفسدة وحفظاً للدين والحقوق من الضياع، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبذل الجهد ويحاور ويناقش ويدافع بكلّ الوسائل المتوفّرة لديه حتى إذا رأى بأن لا مناص من الحرب عندها يأذن بالحرب ولكن وهو يقول:

«لا تقطعوا شجرة ولا تتبعوا مدبراً... الخ»[٣].

وهكذا كان أمير المؤمنين، حيث بذل الجهود من أجل الصلح وحفظ دماء المسلمين وخصوصاً مع الخوارج، حيث وقف أمامهم بجيشه، وكان قادراً على القضاء عليهم بشكل كامل، فقال: أخرجوا لنا القاتل، وإذا بهم يقولون له: كلنّا قتله[٤]، فلم يجد بدّاً من أن يقاتلهم بعد أن عفا عنهم مرّات ومرّات، وهم يسرحون ويمرحون في داخل الكوفة، فالحسين عليه السلام سار على هذا النهج القرآني النبوي العلوي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٧٤.

(٤) ابو مخنف.

الإسلامي، حيث كان كارهاً للقتال محبّاً للسلام متمنّياً أنّ القوم يرجعون عن غيّهم، وكانت هذه هي أمنية جميع أصحاب أبي عبد الله الحسين، حيث كان الواحد بعد الآخر يخرج فيخطب ويعظ ويدعوهم إلى نصرة الحقّ، وأن يبتعدوا عن الحرب حيث كانوا يذكّرونهم بأنّهم ما زالوا جميعاً أمّة واحدة، على دين الإسلام، وأنّهم ما زالوا يقفون على صعيد واحد، ولكن إذا ما وقعت الحرب فإنّ الأرض التي سوف يقفون عليها سوف تختلف عن الأرض التي سوف يقف عليها المسلمون(١).

ومن هنا نجد أنّ الحسين يقول لمسلم بن عوسجة: «لا ترمه، إنّي أكره أن أبدأهم بقتال» ليرسلها كلمةً خالدة بقيت نهجاً لنا، وطريقاً تسير على وفقه كلّ الأجيال من أبناء هذه الأمّة، وهذا درس عظيم آخر نستلهمه من شهيدنا الكربلائي، لنسير عليه ونجعله أمامنا مرشداً وهادياً إلى الله وإلى صراط مستقيم.

شهادته

لم يقبل هذا الشهيد العظيم أن يتأخّر عن اللقاء بالله ورسوله كثيراً، فقد كان شديد الشوق لنيل الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام، فكان أول شهيد من شهداء كربلاء.

يقول أبو مخنف: «لمّا التحم القتال حملت ميمنة ابن سعد [والتي كان فيها عمر بن الحجّاج الزبيدي]، على ميسرة الحسين والتي كان فيها مسلم بن عوسجة، فقاتل مسلم بن عوسجة قتالاً شديداً لم يسمع بمثله. [ما أعظم هذا الرجل وهو في سنّ الشيخوخة]، فحمل على القوم وهو يقول:

---

(١) ومن أراد المزيد فاليرجع إلى خطبهم (رض) في كتب المقاتل، كأبي مخنف والخوارزمي والمقرّم وغيرها.

إنْ تَسألوا عنّي فإنّي ذو لَبَدْ[1] وإنّ بَيتي في ذُرى بَني أسَدْ
فمَنْ بَغاني حائِدٌ عن الرَشَدْ وكافرٌ بدِينِ جبّارٍ صَمَدْ

ولم يزل يقاتل ويضرب فيهم بسيفه حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، ثمّ عطف عليه مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي، فاشتركا في قتله، مع اشتراك هذين الفارسين ـ يقال: ـ وقعت لشدّة القتال غبرة عظيمة، فما انجلت الغبرة إلاّ ومسلم بن عوسجة صريع على ثرى الطف، فمشى إليه الحسين وبه رمق، فقال له الحسين: رحمك الله يا مسلم، ثمّ قرأ قوله:

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[2] »[3].

وكان حبيب بن مظاهر إلى جانب الحسين فقال لمسلم وقد رأى شفتيه تتمتمان: يا أخي يا مسلم، لو لم أعلم أنّي في الأثر لأحببت أن توصيني بجميع ما أهمّك، فقال مسلم بن عوسجة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: أوصيك بهذا ـ وأشار إلى الحسين عليه السلام ـ أن تموت دونه. إنّ الكلمات ربّما لا يمكن أن تعطي وتصوّر العظيم من المواقف، وهذا هو أحدها، فإنّ القلم تراه يكلّ، واليد تقف، واللسان لا يتكلّم، وهو يرى موقفاً عظيماً كهذا الموقف الذي وقفه فيه مسلم بن عوسجة في حياته وعند مماته. فهنيئاً لك يا مسلم بن عوسجة هذه الشهادة العظيمة بين يدي مولاك الحسين، جمعنا الله وإياكم معه تحت ظلّ رحمته، وفي جنّته، إنّه أرحم الراحمين.

---

(١) معنى ذو لبد: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد ولهذا يعبر عن الأسد بأنه ذو لبدة (لسان العرب مادة لبد).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٣) إبصار العين: ١٠٩.

الشهيد حنظلة بن سعد الشبامي

بين يدي الشهيد: أن من جملة الأمور التي ينبغي علينا أن نعيها ونحن نتكلّم عن شهداء كربلاء، هي أنّ هذا الدين وهذا المذهب لم يُقدَّم إلينا على طبق من ذهب، بل سالت لأجله الدماء الكثيرة، والأرواح، وأُنفقت الأموال، وضُحِّيَ لأجله بكلّ غالٍ ونفيس، وما إلى ذلك مما قد يطول ذكره، وتأريخنا مُلئ بهذه الشواهد الكثيرة على ذلك، بل ربما واقعنا الذي نعيش فيه يؤكّد هذه الحقيقة التاريخية المهمّة[1]، وصدق الشاعر حيث يقول:

الدهرُ آخره شبهٌ بأوّله ... ناسٌ كناسٍ وأيّامٌ كأيّام[2]

وقد يسأل الإنسان، لماذا كلّ ذلك، وما الحكمة فيه؟ فأقول إنّ استذكار هذه القيم والمعاني السامية، خصوصاً فيمن نتحدّث عنهم، ـ ألا وهم شهداء كربلاء الذين لم يكونوا في يوم من الأيام يعيشون في هامش الحياة بل كانوا من

---

(١) وهذا ما نشاهده على صعيد الواقع متمثلاً بالهجمة الشرسة على الإسلام بشكل عام، وعلى مذهب أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص.

(٢) البصائر والذخائر، لأبي حيّان التوحيدي.

الشخصيات الكبيرة، والمهمّة في المجتمع وعلى كل الصُعُد[1] ـ سوف يَهَبُ الكائن البشري قيمةً وجوديةً جديدة، تبعث فيه الأمل كلّما أدلهمت به الخطوب، وشطت به الدروب، فَيهبُّ من جديد للدفاع عن دينه أو وطنه أو عرضه أو ماله أو كرامته، حيث إنّ العاقل يعلم جيّداً أنّه ليس أكرم على الله من أولئك العظماء، فإذا كان أولئك قد ضحّوا بكل ما يملكون، فلم لا يضحي هو بكل ما يملك، ومن ثم يكون ذلك دافعاً ممتازاً للتضحية والفداء.

من هنا، ولأجل الأخذ والتزود من التأريخ وقيمه التي لا تخلو من الفوائد والعبر، دعينا إلى قراءة التاريخ والتفكّر فيه أكثر، يقول سبحانه وتعالى وهو يتحدث عن هذا الأمر بقوله:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[2].

ولقد كانت كربلاء بحقٍّ وصدقٍ، واحدةً من أهمِّ الكنوز التاريخية قيماً وعظةً وعبرةً، ومبادئ سامية، ومعاني خالدة.

﴿ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[3].

(1) لم أجد حسب تتبّعي واحداً من شهداء كربلاء، لا يملك وزناً أجتماعياً أو علمياً أو عسكريا أو جهادياً مُمَّيزاً كما سيتبين ذلك بشكل واضح في طيّات الحديث عنهم (رض).

2. الانعام/ 11.

3. الاحزاب/ 23.

ومن أولئك الأفذاذ شهيدنا حنظلة بن أسعد الشبامي (رض)، وحتى نعيش أجواء هذه المعاني والمواقف الخالدة في حياة هذا الشهيد، بل وحياة أسرته، وبيئته كما سيأتينا، نحاول ان نسلّط الأضواء على ذلك من خلال هذه السطور، ولكن وقبل ان نلج في الحديث عن حياته الشريفة، أود أن أشير إلى ما قاله العلماء في حقّه.

أقوال العلماء في الشهيد

١ـ قال السيد محسن الأمين: «حنظلة بن أسعد بن شبام بن عبد الله بن حاشد ابن همدان الهمداني الشبامي، أستشهد مع الحسين سنة ٦١ هـ، والهمداني نسبةً إلى شبام، بوزن كتاب بطن من همدان» [١].

٢ـ قال أبو مخنف: «جاء حنظلة بن أسعد الشبامي إلى الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء، وكان الحسين عليه السلام يرسله إلى عمر بن سعد أيام المهادنة» [٢].

٣ـ قال العلاّمة المامقاني: «هو حنظلة بن أسعد بن جسم بن عبد الله الهمداني الشبامي، وما في جملة من كتب الرجال منها: رجال الشيخ رحمه الله من أبدال الشبامي بالشامي يعتبر سهو من قلم الناسخ أو قلمه قدس سره، فإنّ الرجل همداني شبامي كوفي وليس بشامي وشبام هي من همدان» [٣].

٤ـ قال الشيخ السماوي: «كان وجهاً من وجوه الشيعة، ذا الفصاحة والبلاغة،

---

١ . أعيان الشيعة ٦ : ٢٥٨ .

٢ . مقتل أبي مخنف: ١١٩ .

٣ . تنقيح المقال للعلامة المامقاني ٤ : ٤٠١ ـ ٤٠٢ .

شجاعاً قارئاً للقرآن، وله ولد يدعى علياً له ذكر في التأريخ» [١].

٥ـ قال المحقق الاسترابادي: «حنظلة بن أسعد الشبامي، وشبام طائفة في الكوفة، منهم عبد الجبار بن العباس الشبامي من أهل الكوفة وهو من أصحاب الحسين بن علي وقتل معه في كربلاء».

الاختلاف في اسم الشهيد ونسبه

ذكر أغلب من تحدث عن الشهيد الكربلائي أنّ اسمه كان «حنظلة بن أسعد الشبامي» نعم ورد في رجال الشيخ الطوسي أسمٌ آخر وهو «أسعد بن حنظلة الشبامي» [٢]، وأغلب الظن أنه كان سهواً من قلمه الشريف كما احتمله السيد الأمين حيث قال: ولم يذكر المؤرخون في أصحاب الحسين من اسمه أسعد بن حنظلة بل فيهم حنظلة بن أسعد الشبامي كما يأتي، وليس لحنظلة ولد اسمه أسعد بل له ولد اسمه علي، فالظاهر أنه وقع اشتباه من الشيخ هنا حيث قلب حنظلة بن أسعد إلى أسعد بن حنظلة» [٣].

وفي نفس هذا السياق تحدث العلامة المامقاني رحمة الله تعالى بقوله: «لم أقف فيه إلا على عدِّ الشيخ رحمهُ الله إيّاه في رجاله من أصحاب الحسين عليه السلام، ولا يخفى أنّه ليس له ذكر في شهداء الطف، ولا ابناً لحنظلة بن أسعد قتيل الطف ـ الآتي ذكره ـ لأنّ له إبناً يدعى: علياً، له ذكر في التأريخ، ولا أباً لحنظلة ذاك: لأنّ

١. إبصار العين: ١٠١.

٢. رجال الشيخ الطوسي: ١٠٠.

٣. أعيان الشيعة ٦: ٢٥٨.

أباه أسعد بن جشم بن عبد الله بن شبام الهمداني كما يأتي»[١].

وقد احتمل بعضهم اتحاد اسم الشهيد حنظلة بن أسعد الشبامي مع اسم شهيد آخر من شهداء الطف وهو «سعد بن حنظلة التميمي»، كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله في كتابه القيّم أنصار الحسين حيث يقول: «سعد بن حنظلة التميمي: ذكره ابن شهراشوب، وبحار الأنوار، وقد استظهر التستري في قاموس الرجال: أنّ هذا هو حنظلة بن أسعد الشبامي المتقدم ذكره، واستدل بأنّ ابن شهراشوب لم يذكر حنظلة المتفق عليه وهو الشبامي، ونرجحّ أنّ سعداً هذا غير حنظلة ذاك لأنّ غير ابن شهر آشوب قد ذكر سعداً وهو محمد بن أبي طالب الهاشمي في مقتله كما نقل ذلك المجلسي في البحار، وأنّ ذاك شبامي من عرب الجنوب، وهذا تميمي من عرب الشمال، والتصحيف في هذه الحالة بعيد جداً»[٢].

وأما نسبة الشهيد إلى شبام فهو المشهور عند الفريقين، نعم نسبه بعضهم إلى الشيباني[٣]، والى الشام كما أشار إلى ذلك السيد التفريشي في نقد الرجال بقوله: «حنظلة بن الاسعد الشامي»[٤]، وعلق القهباني في ذيل الترجمة بقوله: الشبامي - نسخة بدل، وفي نقدالرجال نقلاً عن رجال الشيخ، الشامي، وفي جامع الرواة نقلاً عن رجال الشيخ، الشامي، وفي بعض النسخ: أسعد الشبامي قبيلة في اليمن من

١. تنقيح المقال ٩: ٢٨٣.

٢. أنصار الحسين للعلاّمة شمس الدين: ١٠٠.

٣. أنصار الحسين للعلاّمة شمس الدين: ٩٦.

٤. نقد الرجال ٢: ١٧٥

همدان، ومثله في الوسيط المخطوط من نسختنا.

والصحيح: الشبامي، بدليل أنّ في اليمن قبيلة باسم الشبامي ولا توجد قبيلة أو مكان في اليمن باسم الشامي»[1].

معنى شبام: أمّا شبام التي ينتمي إليها الشهيد الكربلائي، وهي شبام حضرموت، أوكما يعبّر عنها «شيكاغوا الصحراء»، هي واحدة من أربع مدنٍ سُمِّيت بهذا الاسم (شبام)، وهي شبام كوكبان، وشبام سخيم، وشبام حضرموت، وشبام حراز[2].

وهذه المدينة يبدو أنّها تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ويرجع بعضهم أصلها إلى الملك شبام [3]، وهو الذي أنشأها، كعاصمة اقتصادية لمملكة حضرموت، وفعلاً كانت ملتقى القوافل التجارية، حيث كانت تعجّ بالوان من المنتجات المهمة، وفي مختلف المجالات.

أمّا نفس كلمة شبام فلم يكن لها معنى مستقلّ كما يؤكّد على ذلك علماء اللغة.

نعم، يذهب بعضهم إلى أنّ هذه الكلمة يعود معناها إلى شياه، ومعناه الحّد[4]، على أساس أنّ هذه المدن كانت حدّاً لمدن اليمن القديمة، كحضرموت.

---

١. تنقيح المقال ٩: ٢٨٣.

٢. معجم البلدان ٣: ٣١٨.

٣. كتاب الإكليل في النسب للهمدان: ٣٩.

٤. معجم البلدان ٣: ٣١٨.

وهناك من يجعل أصل الكلمة يعود إلى (شبم) وهو البرد[١]، وعلى كل التقادير، فهي مدينة عربية ترجع إلى همدان، وأنا أعتقد أن المهمّ ليس هذا، وإنّما المهمّ هو الذي جرى وحصل لهذه المدينة حينما جاء الإسلام، حيث أخذت القبائل العربية تفد على رسول الله صلى الله عليه وآله بحفاوة كبيرة وإكبار، ومنها قبيلة شبام حيث أعلنت إسلامها وقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا لهم، وبعث عليهم زياد بن لبيد البياضي والياً عليهم من قبله [٢]، فجاء هذا الصحابي الجليل واتّخذ شبام عاصمة ومقرّاً له.

ومن هذه المدينة انطلقت جملة من الثورات، كثورة عبد الله بن يحيى الكندي، سنة ١٢٨ هـ[٣]، على الحكم الأموي الظالم، حيث استطاع ان يستولي على الحكم في قبا والمدينة سنة ١٣٠ هـ، ولكن الثورة لم تستمرّ، حيث قتل آخر المطاف[٤]، وهناك ثوارت أخرى خرجت من هذه المدنية سواء في العصر الأموي أو العباسي ضد الظلم والظالمين.

دور قبيلة شبام في صفين

لقد تميّزت قبيلة شبام بدورٍ مُميَّز جداً في واقعة صفين، حيث قدموا الدماء رخيصة في نصرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حتى ورد (وكما سيأتي بعد ذلك) في كتب التأريخ، أنّ ما من بيت في هذه القبيلة إلا وقدّم شهيداً أو أكثر في صفين.

١. لسان العرب، مادّة شبم: ٢١٨٩.

٢. الإصابة رقم (٢٨٦٦).

٣. نتف من تاريخ حضرموت ١ : ٢١٦.

٤. نتف من تاريخ حضرموت ١ : ٢١٦.

يقول نصر بن مزاحم في كتابه «وقعة صفّين»، عن عمر قوله: «حدّثني عبد الله بن عاصم القائشي قال: لمّا مرّ عليٌّ بالثوريّين « يعني ثوّار همدان» سمع البكاء، فقال: ما هذه الأصوات؟ قيل هذا البكاء على من قتل في صفّين فقال علي عليه السلام أما إنّي أشهد لمن قتل صابراً محتسباً بالشهادة» ثمّ مرّ على حيٍّ آخر من همدان، وهم الفائشيون[1] فسمع الأصوات فقال مثل ذلك، ثمَّ مرّ بالشباميين، فسمع رنةً شديدة وصوتاً مرتفعاً عالياً، فخرج إليه حرب بن شرحبيل الشبامي[2]، فقال عليٌّ: أيغلبكم نساؤكم، ألا تنهونهن عن هذا الصياح والرنين؟ قال: يا أمير المؤمنين، لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قدرنا على ذلك، ولكن من هذا الحي ثمانون ومائة قتيل، فليس من دار إلا وفيها بكاء، أمّا نحن معشر الرجال فإنا لا نبكي، ولكن نفرح لهم ألا نفرح لهم بالشهادة؟ فقال علي عليه السلام: رحم الله قتلاكم وموتاكم. وأقبل يمشي معه وعلي راكب، فقال له علي عليه السلام: إرجع.

ووقف ثم قال له: ارجع، فإن مشي مثلك فتنة للوالي ومذلة للمؤمنين.

ثمّ مضى حتى مر بالناعطيين[3]، فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن

---

١. الفائشيون: بطن من همدان القحطانية ينسبون إلى مالك بن زيد بن كهلان (الإنساب: ٤١٨، الاشتقاق: ٤٢٠).

٢. يقول الشيخ محمد تقي التستري: وكان من وجوه قومه، كان من التابعين وقوله له عليه السلام في خبره «أمّا نحن معاشر الرجال فلا نبكي ونفرح لهم بالشهادة » يدلُّ على حسن حاله نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ١٠ : ٣١٢.

٣. يقول ابن منظور: ناعط: بطن من همدان/ لسان العرب: ج١٤/ مادة نعط وروي«حتى حدّ بالناعطيين وجلهم عثمانية ... فلما نظروا إلى عليّ عليه السلام أبلسوا» تاريخ الطبري ٥ : ٦٢.

مرثد[١]، فقال: ما صنع عليّ والله شيئاً، ذهب ثمّ انصرف في غير شيءٍ.

فلمّا نظر إليه أمير المؤمنين أبلس فقال عليّعليه السلام: وجوه قوم ما رأوا الشام العام.

ثم قال لأصحابه: قوم فارقتهم آنفاً خير من هؤلاء، ثم قال:

أخوك الذي إن أحرضتك ملمة ... من الدهر لم يبرح لثبك واجماً

وليس أخوك بالذي إن تمنعت ... عليك أمور ظل يلحاك لائما

ثمّ مضى، فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفة[٢].

وواضح من خلال هذا النصّ، أنّ قبيلة الشهيد الكربلائي كان لها دور كبيرٌ في نصرة الإمام أمير المؤمنين في صفّين، بل يستطيع الإنسان أن يقول، إنّ دورها كان متميّزاً، بحيث إنّ هذا التميّز أدّى بهم إلى أن لا توجد دار من ديارهم إلاّ وفيها شهيد وجريح في معركة العز والكرامة، والذي بلغت النظر في هذا النص هو قول حرب (حارب) بن شرحبيل الشبامي: أمّا نحن معاشر الرجال، فلا نبكي عليهم، ولكن نفرح لهم.

وهذا وعيٌ عميق وعظيم وبصيرة ثاقبة، بحيث يصل الأمر إلى عدم البكاء على شهدائهم، وإن كان البكاء في حدِّ ذاته جائزاً [٣]، ولكنه أراد ان يعبّر عن مدى ارتباطه هو وقومه بالإمام أمير المؤمنين، والإمام قدّر لهم هذه المزّية، ولهذا

---

١. عبد الرحمن بن مرثد (يزيد) من بني عبدي من الناعطيين/ وقعة صفّين/ تحقيق عبد السلام هارون: ٥٣٢.

٢. وقعة صفّين لنصر بن مزاحم/ تحقيق عبد السلام هارون: ٥٣٢.

٣. علماً أنّ الإمام لم يمنع من البكاء وإنما منع ارتفاع الأصوات والرنين كما مرّ في العبارة السابقة.

أجابه بقوله: «رحم الله قتلاكم وموتاكم».

وأنا أفهم من هذه العبارة أنّ المقتول غير الميّت، فالذي يسقط في ساحة المعركة بحدٍّ سيف أو ضربة رمح يُعبّر عنه بالمقتول، وأمّا الذي يموت حتف أنفه فهو الميت، فكأنّ الإمام يريد أن يقول بأنّ من قاتلوا معي وقتلوا كانوا يملكون درجات عالية من البصيرة والوعي، ومن لم يقاتل معي منكم ومات حتف أنفه، كان يحمل نفس هذه البصيرة وهذا الوعي، وبعبارة أوجز إنّكم جميعاً من أهل البصائر، فرحم الله قتلاكم وموتاكم، حتى حينما انصرف إلى غيرهم وجد بعض من نصره، ولكنّه كان يعيش ردة فعلٍ ملفتة للنظر ناتجة عن ضعف إيمانٍ وتذبذبٍ في المواقف، قال معلقاً بقوله: قوم فارقتهم آنفاً، خير من هؤلاء» ثمّ قال:

أخوك الذي إن أحرضَتْكَ مُلِمّةٌ — من الدهر لم يَبْرح لثبك واجماً

وليسَ أخوكَ بالّذي إنْ تمنّعَتْ — عليك أمور ظل يلحاك لائما

قرأت بخط أبي علي البرداني قال: والمشارق بطن من همدان، وهم أخوة شبام الذين قتل يوم صفين ثمانمائة، فلما رجع علي إلى الكوفة سمع النوح عليهم فقال:

مررت على شبام فلم تجبني — وعز علي مالقيت شبام

جدُّ الشهيد الكربلائي

من أجداد الشهيد الكربلائي القريبين إليه، إن لم يكن هو جدّه الأول الذي يلقب بـ «شبام» واسمه سعيد، وكنيته أبو دويلة، كما يؤكّد على ذلك عبد الرحمن ابن عبيد الله السقاف في كتابه « معجم بلدان حضرموت» والذي ينصّ هو وغيره

بأن «شباماً كان ملكاً على ربيعة وتغلب، فقتله بضع الأراقم من بني تغلب غدراً، فانتقم له ولده دويلة»[1].

ويقال إنّ «دويلة بن سعيد بن اسعد بن جشم الحاشدي الهمداني الشبامي، شاعر جاهلي، سيد شبام ورئيسها وصاحب ايامها ووقائعها، كان أبوه ملكاً على ربيعة وعلى أحياء تغلب وقد قتلته غيلة نفر من حي الأراقم التغلبيين، فاستطار الشر بين هذا الحي من تغلب وبين قبيلة شبام الهمدانية، فسرعان ما هبَّ دويلة الشاعر منادياً بثارات أبيه المقتول، فأجابه قومه من شبام واجتمعت إليه خيول قبائل آخرى من همدان.

ورغم ان منازل اعدائه تبعد عن منازل قومه مسيرة شهر إلا أن ذلك لم يقعده عن طلب الثأر لأبيه وتحقق له النصر والظفر على حي الاراقم ونظم في ذلك شعراً وصف فيه إعداده لتلك الحرب»[2].

والدليل على ما ذكرناه هو ما ذكره الهمداني في كتابه الإكليل في أنساب اليمن وهو يتحدث عن أنساب اليمن وعن خصوص بني جشم حيث يقول: «فأولد أسعد بن جسم بن حاشد عبدَ الله، فأولد عبد الله شباماً، وهو سعيد، بطن من همدان»[3].

وكذلك ما ذكره الزنجاني في وسيلة الدارين بقوله: «وقال ابن الكلبي: ولد

---

١. كتاب الإكليل في أنساب اليمن للهمداني ١٠ : ١٠٨، معجم بلدان حضرموت للسقاف: ٢٥٩.

٢. بغية الطلب لابن النديم ١٠ : ٤٧٦٢.

٣. الإكليل في أنساب اليمن للهمداني ١٠ :١٠٨.

أسعد بن جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان عبد الله، وهو شبام، بطن من همدان، وشبام جبل سكنه بنو عبد الله منهم حنظلة بن أسعد الشبامي، الذي قتل مع الحسين عليه السلام»[١].

وبما أنّ نسب الشهيد الكربلائي هو «حنظلة بن أسعد بن شبام «سعيد» بن عبد الله بن أسعد بن حاشد الهمداني»[٢].

فمن ثم يكون دويلة الذي جمع هو وابوه تحتهما شبام وقبائل همدان هو من اعمام الشهيد الكربلائي، والذي يقول المهلهل فيه وفي أبيه:

والحارثان كلاهما ومحرِّقُ وأبو دويلة ملك آل شبام

من هنا نعرف عظمة شخصية هذا الشهيد، والسر في إرسال الحسين عليه السلام له رسولاً من قبله إلى عمر بن سعد كما سيأتي، حيث كان ينتمي إلى البيوتات العريقة في التأريخ، والتي كانت لها بصمات واضحة على الحياة في الجاهلية والإسلام، وربّما اتضحت الصورة أكثر، وسوف تتّضح أكثر فأكثر ونحن نتحدّث عن شهداء كربلاء، وستثبت تلك المقولة التي تنصّ على أنّ أصحاب الحسين عليه السلام كانوا جميعاً من سادات المجتمع والمبرّزين فيه، ونحن نعلم كذلك أنّ للبيت والأسرة والعشيرة والبيئة التي يعيشها الإنسان تأثيراً كبيراً على بناء شخصيته، ومن هنا نجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله يوصينا بقوله: «تخيّروا لنطفكم فإنّ العرق دسّاس»، مما يعني أنّ المتولّد والناشئ، من هذه الجهة سوف يكون عنده استعداد

---

١. وسيلة الدارين: ١٣٤.

٢. إبصار العين للسماوي: ١٠١.

كبير للخير إن كان الآباء كذلك، واستعداد للشرّ إن كانوا عكس ذلك.

وهذا ما تجسّد واضحاً في سيرة هذا الشهيد، وغيره من الشهداء الذين كان لهم دور كبير في التأريخ، وأبوا إلاّ أن تكون لهم القدح المُعلَّى في تأريخ الإسلام بشكل عام، وفي تأريخ أهل البيت عليهم السلام بشكل خاصّ، وهاهي مواقف شبام في حروب عليّ عليه السلام واضحةٌ، فليس غريباً أن يقف الشهيد الكربلائي هذا الموقف الذي هو امتداد لمواقف قومه واسرته، وهذا ما سوف نشير إليه ونحن نتحدّث عن مواقفه في كربلاء.

ولد الشهيد الكربلائي

لقد تحدّث الكثير من العلماء عن الشهيد الكربلائي وذكروا أنّ له ولداً يسمى «علياً»، يقول الشيخ السماوي: «وله ولد يدعى علي له ذكر في التأريخ»[١].

ولئن أغفل التأريخ غفلةً أو تغافلاً أخبار هذا الولد ومآثره الجليلة تبعاً لأبيه رضي الله عنه، فلقد أبت الحقائق ان تختفي بالكامل مهما بذل الظالمون والمبطلون الجهود من أجل طمسها واخفاء معالمها، ولقد كانت واحدة من هذه المآثر الجليلة هي تمدُّ العلماء له راوياً ثقةً يروي عنه الخاصة والعام.

ولد الشهيد يروي خطبة زهير بن القين

روى أبو مخنف عن علي بن حنظلة بن أسعد الشبامي عن كثير بن عبد الله الشعبي قال: «لما زحفنا قبل الحسين عليه السلام خرج إلينا زهير بن القين على فرسٍ له

---

١. إبصار العين: ص١٠١.

ذنوب، وهو شاك في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله، نذار لكم إنّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن الآن أخوة على دين واحد وملّة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وكنتم أمة، إنّ الله ابتلانا وإيّاكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وآله لينظر ما نحن وانتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا سوء عمل سلطانهما كله، إنّهما يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتّلان أماثلكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدي واصحابه وهانئ بن عروة واشباهه، قال فسبوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد وابيه وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير فقال لهم زهير :عباد الله ولد فاطمة عليها السلام أحقّ بالودّ والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيذكم بالله ان تقتلوهم، فخلوا بين هذا الرجل وبين يزيد، فلعمري إنّه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام، قال: فرماه شمر بسهم وقال له: أسكت أسكت الله نأمتك، فقد أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال زهير: يابن البوال على عقبيه، ما إيّاك أخاطب أنّما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم، فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، قال زهير: أفبالموت تخوفني؟ والله للموت معه أحب اليّ من الخلد معكم، قال: ثم أقبل على الناس رافعاً صوته: وصاح بهم: عباد الله لا يغرنكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمد قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم

وذبّ عن حريمهم قال فناداه رجل من خلفه: يا زهير إنّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ، فذهب اليهم»[١].

شبهة أن الحسين عليه السلام لم يقتل والقاء شبهه على الشهيد حنظلة

لقد وردت في بعض المصادر «كما سنشير إلى ذلك» بعض الروايات والكلمات التي زعمت أنّ الحسين عليه السلام لم يقتل وأنّه أُلْقي شبهه على الشهيد حنظلةبن أسعد الشبامي (رض)، وعليه فالحسين لا يزال حياً.

وقد اعتمدوا في دعواهم وزعمهم هذا على مجموعة من الأدلة الواهية (كما سنبين ذلك في مقام الردّ عليها)، والادلة هي كما يلي:

١ـ قول الامام الصادق: «حنظلة ففدى كاسمه لأنه فدى مولانا الحسين بنفسه ففداه مولاه بالضد، والقتل والدّم واقع بالضدّ»[٢].

قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[٣].

حيث فهموا من هذه الآية الكريمة أو هكذا أرادوا أن يفهموها ويفهموها إن صح التعبير، أنّ الله آلى على نفسه وجزم بشكل قاطع أن لا يسلّط كافرا على

---

١. تاريخ الطبري ٣: ٣١٩ ـ ٣٢٠.

٢. رواها الدكتور الطريحي في طيّات بحثه حول «الحسين بين التأليه والتشويه» والذي القاه في قاعة خاتم الأنبياء في الحضرة الحسينية في ١٧ سنة ٢٠١٠.

٣. النساء/ ٥٦.

مؤمن فينتهك حرمته، ويستبيح دمه ولاشك ولاريب أن يزيد مشمول بهذه الآية الكريمة، حيث أعلن كفره أمام الناس بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[١]

والحسين عليه السلام في نفس الوقت كان يمثل الإيمان في أعلى درجاته وأبعاده واتجاهاته، فكيف يمكن أن يسلّط يزيد عليه، فينتهك حرمته، ويستبيح دمه، ولأجل ذلك جرى عليه ما جرى على عيسى بن مريم عليه السلام، حيث رفعه الله عز وجل إليه ولم يجعل لليهود عليه سبيلا، والحسين ليس أهون عند الله من السيد المسيح لاسيما إذا كان الملاك فيهما واحداً.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [٢] حيث رفع الله سبحانه وتعالى ـ كرامة لأبراهيم عليه السلام واسماعيل ـ الذبح عن اسماعيل وعوّضه عن ذلك الذبح بكبش عظيم، ومحمد صلى الله عليه وآله وولده الحسين عليه السلام، أعظم كرامة ومنزلة وقدراً من إبراهيم واسماعيل عليه السلام، فما جرى هناك لاشك سوف يجري هنا.

ولقد أشار إلى ما ذكرناه بشكل واضح وصريح سرور بن القاسم الطبراني[٣]

---

١ .اللهوف في قتلى الطفوف: ١٨٠ .

٢ . الصافات/ ١٠٧ .

٣ . هو سرور بن القاسم الطبراني أبو سعيد الملقب بالميمون شيخ العلويين في اللاذقيّة، ورئيس الطريقة المعروفة عندهم بالجنبلائية، ولد في طبريا وإليها نسبته وانتقل إلى حلب فتفقه بفقه العلويين أصحاب الخصيبي والجنبلائي، وصنّف كتاباً في مذهبهم، ثم رحل إلى اللاذقية والتف حوله من فيها منهم واستمر إلى ان توفي ودفن بها على شاطئ البحر في مسجد الشعراني. بحوث في الملل والنحل ٨: ٤٢١ جعفر السبحاني.

وهو يتحدث عن يوم عاشوراء: «وهو اليوم الذي روت فيه العامة وظاهرية الشيعة وزعمت أنّ فيه مقتل مولانا الحسين منه السلام تعالى الله عما يقول الظالمون المفترون ويظنه الملحدون علواً كبير، وذلك أنّ يزيد بن معاوية لعنه الله أمر شمر ابن ذي الجوشن الضبابي لعنه الله بعد مسير مولانا الحسين منه السلام من المدينة إلى الكوفة، فسار إليه بالجيش وكانت الواقعة بكربلاء على شاطئ العلقمي، وما جرى من القتل والسبي وتسيير الرأس إلى يزيد بن معاوية لعنه الله تعالى واظهر مولانا الحسين منه السلام الغيبةفيه جلّ من لا يغيب والقى شبهه على حنظلة بن اسعد الشبامي، وكانت سيرته تقارب سيرة السيد المسيح على ذكره السلام وما أظهره من القتل والصلب، وكذلك اعتقدت كافة العامة من المسلمين وظاهرية الشيعة أنّ القتل صحيح، وطابقوا النصارى في القول، فأوقع الله فيهم الحيرة والشك، وقد أخبر الله سبحانه في كتابه عن قوله:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾[1].

ثم قال ردّاً عليهم وعلى كافتهم:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[2].

لأنّ سيّدنا الحسين منه السلام هو المسيح والمسيح هو الحسين، والاسماء من آدم في النبوة والرسالة والإمامة إلى القائم على ذكره السلام، أشخاص السيد محمد منه السلام واسماؤه، وكذلك ظهر في القبة المحمدية بالخمسة الأسماء،

---

(١) الانعام/ ٩.

(٢) النساء/ ١٠٧.

بمحمد وفاطمة والحسن والحسين ومحسن والخمسة محمد، وكان الحسين شخصاً من اشخاص السيد محمود، وقال أبو عبد الله الخصيبي شرّف الله مقامه في رسالته: وشاء المعنى ان يظهر بغير الصورة المرئيةوهي الانزع البطين أزال الحسين وظهر كمثل صورته وكان الميم في ذلك الوقت هو الحسين منه السلام، ثم قال أزال الحسن وهو المعنى للحسين وظهر بمثل صورته وكان الميم علي بن الحسين منه السلام والسيد الحسين على ذكره السلام على ما قدمت هوالسيد المسيح وهو داخل في عدد الأسماء التي هي الإسم [(١)].

وقد أشار الخصيبي[(٢)] إلى هذا المعنى كاملاً في ديوانه في أكثر من قصيدة منها:

سلام على أرض الحسين وحضرتهْ	**سلام على أرواح أنوار فطرتهْ**
سلام على النور المضيء بكربلا	**بدار سلام الله في جنب جيرتهْ**
سلام على من عظمّ الله قدره	**ورفّعَه في القدس معْ خير خيرتهْ**
بموضع معراج النبي محمد	**وبقعة موسى والمسيح وربوتهْ**

(١) جزء من بحث القاه الدكتور الطريحي في قاعة خاتم الأنبياء في الحضرة الحسينية تحت عنوان «الحسين بين التأليه والتشويه» في ١٧ سنة ٢٠١٠ م .

٢ . ترجمة (الحسين بن حمدان)

قال النجاشي : «الحسين بن حمدان الخصيبي (الحصيني) الجنبلائي، أبو عبد الله، كان فاسد المذهب ، له كتب، منها: كتاب الأخوان، كتاب المسائل ، كتاب تاريخ الأئمة ، كتاب الرسالة تخليط» وقال الشيخ: «الحسين بن حمدان بن الخصيب، له كتاب أسماء النبيصلى الله عليه وآله والأئمةعليهم السلام» وقال ابن الغضائري: «كذّاب فاسد المذهب ، صاحب مقالة ملعونة لا يلتفت إليه» وقال ابن داود: «مات في شهر ربيع الأول سنة ٣٥٨ هـ». معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ٦ : ٣٣٨١ .

سلام على من حجّب الله شخصه واظهر للاعداء شبهاً كصورتهْ
كعيسى وهُوْ عيسى ولا فرق بينهم ولاشك فيه انه من سريرتهْ
وقد ظن أهل الشك والزيغ أنهم يرونه مشهوراً بأحسن شهرتهْ
وقالوا قتلناه وما كان قتله ولا صلبوه بل شبيهاً لرؤيتهْ
كذاك حسيناً شبهّوه بكربلا كما شبهوا عيسى سواءً كسيرتهْ
وحاشا حسيناً ابن بنت محمد ضياءً عليّاً نوره وسط غرَّتهْ
من السيف ان يصدا به أو يناله وحاشاه ان يدعى قتيلاً بحسرتهْ[1]

ويقول في موضع آخر:

وباكياً يبكي على ربه لستُ بحمد الله من حزبهِ
وكلما ناحت له خلّة على الذي فرّط في جنبهِ
يبكي على المقتول في كربلا لا خفف الله عن كربهِ
معتذراً من سوءِ أفعاله وغدره أعظم من ذنبهِ
قلت لا تبك على ذاك الذي لم تطمع الأعداء في غلبهِ
ظنوا ظنوناً كلها باطل من قتله كان ومن سلبهِ
وهكذا عيسى جرى أمره وما رواه القوم من صلبهِ
ولم يكن قتلاً ولا صلبةً لكنه شُبّه في لزبهِ
والقتل والصلب على جانٍ بارزٍ يا بؤساه في حربهِ
فإنّ جهلتم ويلكم شخصه فمن نفيل جا ومن لذ به
ومن صهّاك ثم من حنتم زوجة خطّابٍ وفي حقبهِ

---

١. ديوان الخصيبي: ٦٥ ـ ٦٦.

واسمـــــــه أبلـــــــيس لا غـــــــيره	في ســـــــالف الـــــدهر وفي حقبـــــهِ
فجـــــوّدوا يـــــا أخـــــوتي لعنـــــه	جـــــود الخـــــصيبي علـــــى سَـــــبَّهِ[١]

ويقول صاحب كتاب «الهفت الشريف» فيما يزعمون أنّه للمفضِّل بن عمر الجعفي: في الباب الأربعين: قال المفضل: «أخبرني يا مولاي، عن قصة الحسين كيف اشتبه على الناس قتله وذبحه كما اشتبه على من كان قبلهم في قتل المسيح؟

قال الصادق: يا مفضل هذا سر من أسرار الله أشكله على الناس فعرفوه خاصةأوليائه وعباده المؤمنون المختصون من خلقه... إنّ الإمام يدخل في الإبدان طوعاً وكرهاً ويخرج منها إذا شاء طوعاً وكرها كما ينزع أحدكم جبته وقميصه بلا تكلف ولا ريب، فلما اجتمعوا على الحسين عليه السلام ليذبحوه، خرج من بدنه ورفعه الله إليه، ومنع الأعداء منه، وقد سخط سخطة جبار عنيد، ولا تقوم بعظمته السموات والأرض والجبال، انه قادر سبحانه ان يعاجلهم العذاب، ولكنه حليم ذو بأس لا يخشى القوة ، ولا خلف لوعده، ولا معقب لحكمه كما وصف سبحانه ، انه يقول ما يشاء ويظهر في حجاب ما يشاء، وإنما يعجل من يخاف الفوت.

فاما الله إذا أراد ان يخلق شيئاً يقول له كن فيكون، فإنّه تعالى لا تعجل العقوبة وان الحسين لمّا خرج إلى العراق وكان الله محتجباً به وصار لا ينزل منزلاً صلوات الله عليه إلا ويأتيه جبرئيل فيحدثه حتى إذا كان اليوم الذي اجتمعت فيه العساكر عليه واصطفت الخيول لديه وقام الحرب، حيئنذ دعا مولانا الحسين جبرئيل، وقال: يا أخي من أنا؟ قال: أنت الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم

١. ديوان الخصيبي: ٨٥

والمميت والمحيي، انت الذي تأمر السماء فتطيعك والأرض فتنتهي لامرك والجبال فتجيبك والبحار فتسارع إلى طاعتك وانت الذي لا يصل اليك كيد كائد ولا ضرر ضار.

قال الحسين: يا جبرئيل. قال جبرئيل: لبيك يا مولاي قال الحسين: أفترى هذا الخلق المنكوس تحدثهم انفسهم أن يقتلوا سيدهم لضعفهم، ولكنهم لن يصلوا إلى ذلك، ولا إلى احد من أولياء الله، كما أنهم لن يصلوا إلى عيسى والى أمير المؤمنين علي، ولكنهم عملوا ذلك ليحل عليهم العذاب بعد الحجة والبيان.

قال الحسين: يا جبرئيل انطلق إلى هذا الملعون الضال الجاحد المنكوس، وقل له: من تريد ان تحارب؟ قال فانطلق جبرئيل في صورة رجل غريب مجهول، فدخل على عمر بن سعد وهو جالس على كرسيه بين قواده وحراسه وأبوابه، فخرق صفوفهم حتى وصل إليه ووقف بين يديه.

فلما نظر إليه عمر بن سعد ارتاب منه، وارتعب وقال له: من أنت؟ قال جبرئيل: أنا عبد من عبيد الله جئت أسألك عمن تريد ان تحارب؟ قال: أريد ان أحارب الحسين بن علي، وهذا كتاب عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أقتل الحسين بن علي وأوجه إليه رأسه واعتزل العسكر.

فقال له: ويحك تقتل رب العالمين وإله الأولين والآخرين وخالق السموات والأرض وما بينهما»[1].

---

١. كتاب الهفت الشريف المزعوم للمفضل بن عمر الجعفي: ٩٦ ـ ٩٨. تحقيق وتقديم د. مصطفى غالب دار الأندلس ـ بيروت.

ويقول في موضع آخر: «وكان الحسين بن علي أكرم على الله من أن يذيقه الحديد على أيدي الكفرة، وحاشا أن يذيقه حرّ الحديد، وان عند الله من لطف التدبير ما يتلطف بأوليائه، وينقذهم من أهل عداوته، ويهلك أعداءه وأعداء أوليائه بالحجة البالغة، وأنه عز وجل عادل لا يجور، وحليم لا يميل، ولقد فعل الله سبحانه بالحسين فعلة لم يفعلها بالمسيح ولا بزكريا ولا بيحيى ولا بأحد من الأنبياء.

وأن الذبح في الظاهر كان إلى اسماعيل الذي فدّى بذبحٍ عظيم، هو الحسين الذي هو عينه واسمه ونسبه، وليس بينهما فرق كأنهما واحد، ولقد ذبح في الظاهر أكثر من الف مرة على ما يتوهمون أهل الكفر، وإنما الحسين مثله كمثل المسيح»[١] إلى أن تقول: «يا مفضل ما نقول شيعتي في ذلك؟ قلت، يا مولاي: يروى عن جابر عن الباقر في قوله: « وفديناه بذبح عظيم»[٢]، أن اسحاق هو الحسن والحسين هو اسماعيل ... قال المفضل والله يا مولاي اشفيتني وأذهبت عني كل همّ وغم، قال الصادق: ان الله تعالى شفاءٌ لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين والباطن هو شفاء للصدور، قلت الحمد لله على ذلك.

فقال يا مفضل هذا سبب ذبح الكبش، ألم أخبرك بتفصيل اليوم الذي اجتمعوا على قتل الحسين. قلت : نعم. ثم البا والسلام»[٣].

---

١ . كتاب الهفت الشريف المزعوم للمفضل بن عمر الجعفي: ٩٣ ، تحقيق د. مصطفى غالب.

٢ . الصافات/ ١٠٧ .

٣ . كتاب الهفت الشريف المزعوم للمفضل بن عمر الجعفي: ٩٠ ، تحقيق د. مصطفى غالب.

ولاشك ولاريب لكل من يقرأ هذه الأحاديث وكلمات من تقدم يتلمس الغلو ظاهراً واضحاً لكل ذي بصيرة وبصر، مهما حاول البعض تأويل بعض الكلمات التي وردت في هذه النصوص المتقدمة.

الرد على هذه الشبهة

وعليه فإن هناك جملة من الروايات التي جاءت عن طريق أهل البيتعليهم السلام لردّ مثل هذه الشبهات التي يبدو أنها بدأت بعد مصرع الحسينعليه السلام واستمرت حتى زمان الغيبة الصغرى كما سيتبين لك ذلك .

ومن هذه الروايات....

١ـ رواية الإمام الرضاعليه السلام: فقد روى صاحب عيون أخبار الرضاعليه السلام: «قال : قلت للرضاعليه السلام إنّ في سواد الكوفة قوماً يزعمون أن الحسينعليه السلام لم يقتل وأنّه ألقي شبهه على حنظلة بن أسعد الشبامي وأنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم، ويحتجون بهذه الآية:

﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[1].

فقال كذبوا عليهم غضب الله ولعنته وكفروا بتكذيبهم لنبي الله في إخباره بأنّ الحسين بن علي سيقتل، والله لقد قتل الحسين وقتل من كان خيراً من الحسينعليه السلام أمير المؤمنين والحسن بن علي، وما منا إلا مقتول وإني والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني أعرف ذلك بعهد معهود إليّ من رسول اللهصلى الله عليه وآله أخبره به جبرئيل عن رب العالمين.

١. النساء: ١٤١.

وأمّا قول الله «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» فإنّه يقول ولن يجعل الله لكافرٍ على مؤمن حجة، وقد أخبر الله عز وجل عن كفار قتلوا النبيين بغير الحق ومع قتلهم إيّاهم أن يجعل الله لهم على أنبيائه سبيلاً من طريق الحجة»[١].

وهناك إضافة إلى هذا التفسير الذي ذكره الإمامعليه السلام تفسير آخر يذكره صاحب تفسير الأمثل بأن الآية يمكن ان تكون شاملة حتى في خصوص التسلط العسكري وما في شاكلته، ولكن مع تعليق مهم من قبله أحببت إيراده لأهميته، يقول الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره، لهذه الآية الكريمة:

«وما نشاهده من انتصار للكافرين على المسلمين في الميادين المختلفة، إنما هو بسبب ان المسلمين المغلوبين لم يكونوا ليمثلوا في الحقيقة المسلمين المؤمنين الحقيقيين، بل إنهم مسلمون نسوا آدابهم وتقاليدهم الإيمانية وتخلوا عن مسؤولياتهم وتكاليفهم وواجباتهم الدينية بصورة تامة، فلا كلام عن الإتحاد والتضامن والأخوة الإسلامية بهم ، ولا هم يقومون بواجب الجهاد بمعناه الحقيقي كما لم يبادروا إلى اكتساب العلم الذي اوجبه الإسلام وجعله فريضة على كل مسلم ودعا إلى تحصيله وطلبه من الولادة حتى ساعة الوفاة حيث قال النبي: «أطلب العلم من المهد إلى اللحد».

ولما اصبحوا هكذا استحقوا ان يكونوا مغلوبين، وقد استدل جمع من الفقهاء بهذه الآية على أن الكفار لا يمكن ان يسلطوا على المسلمين المؤمنين من

---

١. عيون أخبار الرضا: ١: ٢٢٠.

الناحية الحقوقية والحكمية، ونظراً للعمومية الملحوظة في الآيةلا يستبعدون أن تشمل هذا الأمر أيضاً»[1].

٢ـ رواية الإمام زين العابدين هم: كفار ومباحو الدم:

روى المجلسي في بحاره تحت باب: أنّ مصيبته صلوات الله عليه كانت من أعظم المصائب، وذلّ الناس بقتله، وردّ قول من قال أنه عليه السلام لم يقتل ولكن شبّه لهم. جلمة من الروايات منها رواية الإمام زين العابدين عليه السلام، وهي رواية طويلة نذكر محل الحاجة منها:

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له (يعني زين العابدين): يابن رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف سمت العامة يوم عاشوراء يوم بركة؟ فبكى عليه السلام ثم قال: لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد ، فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم ، وأنّه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن، إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه، حكم الله بيننا وبينهم.

قال: ثم قال عليه السلام: يابن عم وان ذلك لأقل ضرراً على الإسلام وأهله مما وضعه قوم انتحلوا مودتنا وزعموا أنهم يدينون بموالاتنا ويقولون بإمامتنا: زعموا أن الحسين لم يقتل وأنّه شبه للناس أمره كعيسى بن مريم، فلا لائمة إذاً على بني أمية ولا عتب على زعمهم، يابن عم من زعم ان الحسين لم يقتل فقد كذب رسول الله وعلياً وكذب من بعده من الأئمة عليهم السلام في إخبارهم

---

١ . تفسير الأمثل ٣: ٤٩٩.

بقتله، ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم، ودمه مباح لكل من سمع ذلك منه»[١].

٣ـ رواية الإمام المهدي: كفر وتكذيب وضلال:

فقد ذكر محمد بن يعقوب الكليني عن اسحاق بن يعقوب قال : سألت محمد بن عثمان العمري ان يوصل لي كتاباً قد سُئلت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان «أمّا ما سئلت عنه خير مما أتاكم وأمّا ظهور الفرج فإنّه إلى الله وكذّب الوقاتون، وأمّا قول من زعم ان الحسين لم يقتل فكفر وتكذيب وضلال[٢]...»[٣].

٤ـ رد العلامة المجلسي:

ذكر المجلسي (رحمه الله) في بحاره باباً بهذا العنوان (العلة التي من أجلها لم يكف الله قتلة الأئمةعليهم السلام ومن ظلمهم عن قتلهم وعلّة ابتلائهم صلوات الله عليهم أجمعين)[٤].

ولاشك أن المجلسي في ذكره لهذا الباب أراد أن يردّ على شبهة عدم قتل الحسينعليه السلام، بشكل خاص، وما يرد في نفس الموضوع عن أئمة أهل البيتعليهم السلام بشكل عام، وللمثال سوف اذكر رواية واحدة ذكرها المجلسي تحت هذا الباب،

١ . بحار الأنوار ٤٤ : ٢٧٠ .

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ص١٧٦.

(٣) وهذا يعني ان هذه المسألة استمرت حتى إلى زمان الغيبة الصغرى، ويبدو أنها لم تكن بالمسألة الهيّنة البسيطة، حتى عبّر عنها إسحاق بن يعقوب بأنها مسائل أشكلت عليّ لكثرة من سأل عنها وأراد جوابها فتأمل.

٤ . بحار الأنوار ٥٣ : ١٨٠ .

والطبرسي في الاحتجاج، والصدوق في علل الشرائع وكمال الدين وهي:

محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قدس الله روحه مع جماعة فيهم علي بن عيسى القصري فقام إليه رجل فقال له: أريد ان أسألك عن شيء فقال له: سل عما بدا لك فقال الرجل: أخبرني عن الحسين بن علي عليهما السلام أهو وليّ الله؟ قال: نعم، قال: أخبرني عن قاتله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهل يجوز ان يسلّط الله عدوه على وليه؟ فقال له أبو القاسم قدس الله روحه: أفهم عني ما أقول لك ، إعلم أنّ الله عز وجل لا يخاطب الناس بشهادة العيان، ولا يشافههم بالكلام، ولكنه عز وجل بعث إليهم رسولاً، من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، فلو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم، ولم يقبلوا منهم، فلما جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق قالوا لهم: أنتم بشر مثلنا فلا نقبل منكم حتى تأتونا بشيء نعجز أن نأتي بمثله، فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه، فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها، فمنهم من جاء بالطوفان بعد الانذار والاعذار فغرق جميع من طغى وتمرد، ومنهم من ألقي في النار، فكانت عليه برداً وسلاما، ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة وأجرى في ضرعها لبناً، ومنهم من خلق له البحر وفجر له من الحجر العيون، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً فتلقف ما يأفكون، ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بأذن الله عز وجل وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، ومنهم من انشق له القمر وكلّمه البهائم مثل البعيروالذئب وغير ذلك.

فلما أتوا بمثل هذه المعجزات، وعجز الخلق من أممهم عن أن يأتوا بمثله كان من تقدير الله عز وجل ، ولطفه بعباده وحكمته، أن جعل انبياءه مع هذه المعجزات في حالٍ غالبين، وفي أخرى مغلوبين ، وفي حالٍ قاهرين، وفي حالٍ مقهورين، ولو جعلهم عز وجل في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار. ولكنه عز وجل جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين، وفي حال العافيةوالظهور على الاعداء شاكرين ويكونوا في جميع احوالهم متواضعين، غير شامخين ولا متجبرين، وليعلم العباد أنّ لهم عليهم السلام إلهاً هو خالقهم ومدبرهم، فيعبدوه ويطيعوا رسله وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم، وادعى لهم الربوبية، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

قال محمد بن إبراهيم بن إسحاق: فعدت إلى الشيخ أبي القاسم بن الحسين بن روح قدس الله روحه من الغد وأنا أقول في نفسي: أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأني فقال لي: يا محمد بن إبراهيم لان أخرّ من السماء فتخطفني الطير، أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحب اليّ من أن أقول في دين الله تعالى ذكره برأيي ومن عند نفسي، بل ذلك عن الأصل، ومسموع عن الحجة صلوات الله عليه»[1].

---

(1) بحار الأنوار ٤٤ : ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، علل الشرائع ١ : ٢٣٠، كمال الدين ٣ : ١٨٤، الاحتجاج: ص٢٤٣.

ولا ننسى بأن هذه وامثالها بأعتقادي هي من جملة التشويهات المقصودة من قبل أعداء الإسلام وأهل البيت عليهم السلام، في تخريب وتحريف إن صح التعبير صورة هذا اليوم العظيم في نفوس المؤمنين، فهناك من فرح وسُرَّ فيه لروايات ما أنزل الله بها من سلطان، وهناك من شوهه من الداخل بادعاء عدم قتل الحسين عليه السلام.

وقت وصول الشهيد إلى كربلاء

لقد وصل الشهيد حنظلة بن أسعد الشبامي (رض) إلى الحسين عليه السلام، في يوم وصوله عليه السلام إلى كربلاء والذي صادف في اليوم الثاني من محرّم سنة ٦١ هـ، وصل الشهيد إلى الحسين عليه السلام بعد رحلة شاقة استطاع من خلالها ان يتخلص من بين فكيّ عبيد الله بن زياد الذي صار ينهش بها كل من يشمَّ منه رائحة الولاء للحسين فضلاًعن التفكير في الخروج والوصول إليه، يقول السيد الزنجاني في وسيلة الدارين: «وقال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: جاء حنظلة بن أسعد الشبامي إلى الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء»[١].

الشهيد حنظلة رسول الحسين إلى ابن سعد

ما إن وصل الشهيد (رض) إلى كربلاء في اليوم الثاني من محرم، حتى أرسله الحسين عليه السلام، رسولاً من قبله إلى ابن سعد فيما عرف عند ارباب التأريخ بأيام الهدنة، يقول السيد الزنجاني في وسيلة الدارين: «وكان الحسين يرسله إلى

(١) وسيلة الدارين: ١٣٥.

عمر بن سعد للمكالمة أيّام المهادنة»[١].

ومما لاشك فيه ولاريب أن اختيار الحسين عليه السلام للشهيد حنظلة رسولاً من قبله إلى ابن سعد يدلل وبشكل واضح على مدى العقل الراجح والإيمان الثابت للشهيد بل والخبرة الاجتماعية العالية لاسيما في مجتمع مهم كمجتمع الكوفة حيث يحمل في جنباته الكثير من القبائل والبيوتات المهمة.

وقديماً قالوا: «ارسل حكيماً ولا توصه»[٢]، وفي هذا يقول الزبير بن عبد المطلب ابياتاً منها:

إذا كنت في حاجةٍ مُرسِلاً ... فأرسل حكيماً ولا توصهِ
وإن باب أمر عليك التوى ... فشاور لبيباً ولا تعصهِ[٣]

ويقول آخر:

إذا أرسلت في أمرٍ رسولاً ... فأفهمه وأرسله حكيماً[٤]

ويقول آخر:

إذا كان الرسول كذاً بليداً ... تكسّرت الحوائج في الصدورِ
فأرسل من إذا لحظتهُ عيني ... حكى لك طرفه ما في ضميري[٥]

ويقول الدنيوري: «ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها، الكتاب يدل على

(١) وسيلة الدارين: ١٣٥.

(٢) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١ : ٩٩.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥)نفس المصدر.

عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل هاديها»[١].

ولقد وعى الشهيد حنظلة فكر الحسين عليه السلام ونهضته واطّلع على ما يريد بنحوٍ لا يقبل الشك والترديد، حتى صار محل اعتماد الحسين عليه السلام ولا يتصور أحد أن مهمة الشهيد تقتصر على بعث الرسالة إيصالها إلى ابن سعد فقط، بل إن مهمته لأكبر من ذلك فقد تحتاج الرسالة إلى توضيح بعض فقراتها وقد تحتاج إلى بيان رأي الحسين عليه السلام في بعض المسائل لاسيما إذا دخل القوم معه في حوارٍ أو نقاش، وهو أمر متوقع في حالات كهذه.

وهذه لعمري منزلة عظيمة وكبيرة ان يكون المعصوم واثقاً من إنسانٍ بحيث يلتقي فهم المعصوم ، وهو فهم السماء، مع فهم اصحاب الحسين عليه السلام ، وهذا يعني انّهم رضوان الله عليهم كان هواهم هوى الحسين، ورأيهم رأي الحسين، وفكرهم فكر الحسين، ومنهجهم منهج الحسين، بل إن التأريخ لا يذكر لنا موقفاًواحداً كان فيه – معاذ الله – أنصار الحسين عليه السلام يملكون رأياً مخالفاً لرأي الحسين، بل العكس هو الصحيح، حيث نجد أنّهم وصلوا إلى درجة التسليم إلى المعصوم[٢] في كل الأمور، وهذا يمثل اعلى درجات الولاء، هذا مع رفعة شأنهم وعلو منزلتهم الاجتماعية فقد كان الرجل يملك منزلة اجتماعية كبيرة يستطيع من خلالها ان يجالس كبار القوم في جيش ابن سعد ويتحدّث معهم، خصوصاً في ظروف حسّاسة كالظروف التي كان فيها الحسين عليه السلام،

(١) كتاب المجالسة وجواهر العلم للدينوري: حديث ٢٤١٢.

(٢) كما تشير الآية الكريمة : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ سورة النساء: ٦٥.

ولكن ويا للأسف، لا يذكر لنا التأريخ شيئاً عمّا جرى في تلك المراسلات، وهذه واحدة من مظلوميّات كربلاء.

أسماء رسل الحسين عليه السلام وسفراءه

وختاماً نذكر أسماء بعض الشهداء الذي قاموا بدور الرسول والناقل لكلمات الإمام الحسين وتوجيهاته وهم خمسة شهداء، ما عدا الشهيد حنظلة (رض).

١ـ مسلم بن عقيل، رسول الإمام إلى اهل الكوفة.

٢ـ سليمان بن رزين (بن أبي رزين)، وكان رسول الإمام إلى رؤساء الاخماس في البصرة.

٣ـ عبد الله بن يقطر، وكان رسول الإمام إلى مسلم بن عقيل أو العكس.

٤ـ قيس بن مسهِّر الصيداوي، رسول الإمام إلى مسلم بن عقيل من بطن ذي الرمة (الرقة).

٥ـ عمرو بن قرضة الأنصاري، رسول الإمام إلى عمر بن سعد أيّام المهادنة.

الشهيد حنظلة قارئا للقرآن

جاء في الروايات، وكما يذكر المؤرخون جميعاً وهم يتحدثون عن هذا الشهيد، أنّه «كان قرائاً للقرآن» فقد ذكر السماوي في إبصار العين وهو يترجم للشهيد قوله: «كان وجهاً من وجوه الشيعة، ذا لسان وفصاحة، شجاعاً قارئاً للقرآن»[1].

---

١ . إبصار العين للشيخ السماوي: ١٠١ .

وهذه الفقرة تعني الكثير، حيث تفيد أنّ الأنصار كانوا من عشّاق كتاب الله، بل ومن معلميِّه وموصلي آياته إلى الناس، ولا ننسى جميعاً في ليلة العاشر من المحرّم عندما باتوا تلك الليلة يقرأون القرآن، عشقاً وحبّاً لتلاوته وتدبّراً لآياته، وما أحوجنا نحن في هذا اليوم، ان نعي هذه الحقيقة الحسينية العاشورائية، وهي أن الحسيني الحقيقي، هو ذلك الذي يحمل الولاء الحسيني في قلبه، وفي نفس الوقت يحمل القرآن في قلبه متمثلاً بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يقول: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تظلّوا من بعدي أبداً؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[1]، وسيأتينا إن شاء الله في بقيّة الإجزاء لهذه الموسوعة، ونحن نتحدث عن أصحاب الحسين عليه السلام، أنّ هذه الصفة، أعني صفة حمل القرآن وتجسيده قولاً وعملاً، كانت صفة عامة لهم، ولا ننسى في نهاية الحديث ان برير بن خضير الهمداني كانوا يعبرون عنه بأنّه من شيوخ القراء في مسجد الكوفة، وهي علاقة مهمة وأساسية سوف نسلّط الأضواء عليها ونحن نتحدث عن الشهيد رضي الله عنه.

خطبة الشهيد حنظلة في كربلاء

ليس كل من صحب الحسين عليه السلام واستشهد بين يديه، كان ممن أوتي فرصة الحديث والوعظ لجيش عمر بن سعد، فقط حدّثنا التأريخ أن جماعة تميزوا دون غيرهم في هذه المنقبة المهمة.

وكان من جملة هؤلاء الشهيد حنظلة بن أسعد الشبامي، والذي خطب خطبة

---

١. الحاكم في المستدرك ٣ : ١٠٩ ، ينابيع المودة: ٢٥، الصواعق المحرقة: ١٥٠.

عظمية احتوت جملة من المفاهيم المهمة نحاول ان نسلّط الأضواء عليها بعد ذكر الخطبة كاملة.

يقول أبو مخنف في مقتله: «وجاء حنظلة بن أسعد الشبامي، فقام بين يدي الحسين عليه السلام: فأخذ ينادي: يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب:

﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ * وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ ﴾[1].

يا قوم لا تقتلوا حسيناً عليه السلام، فيسحتكم الله بعذابٍ:

﴿ وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرى ﴾[2].

فقال له الحسين عليه السلام: «يا بن أسعد ـ رحمك الله ـ إنّهم قد استوجبوا العذاب حيث ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحقّ، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا أخوانك الصالحين.

قال: صدقت، جعلت فداك! أنت أفقه منيّ وأحقّ بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بأخواننا؟ فقال عليه السلام: رحُ إلى خير من الدنيا وما فيها وإلى مُلك لا يبلى، فقال السلام عليك أبا عبد الله، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك وعرّف بيننا وبينك في جنته، فقال عليه السلام: آمين، آمين»[3].

---

١. غافر/ ٣٠ ـ ٣٣.

٢. طه/ ٤١.

٣. مقتل أبي مخنف: ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

وقفات مع خطبة الشهيد

أولاً: جاء في الروايات أنّ الشهيد بقي مع الحسين عليه السلام حتى لم يبقَ معه من أصحابه إلا أثنان وهما عمرو بن سويد بن أبي المطاع الخثعمي وبشر بن عمرو الحضرمي، وكان بين الفينة والأُخرى يستأذن الحسين عليه السلام من أجل ان يتحدث مع القوم، علّه يكون سبباً في هداية واحد منهم، ومن ثم ينتسله من نار جهنم، وهذا إ، دلّ على شيء فانما يدلّ على وعي عميق وكبير لمسؤوليته الشرعية والتي ينبغي على الإنسان المبلّغ والداعية إلى الله عزّ وجل أن لا يتنازل عنها بأيّ حال من الأحوال، مهما ادلهمت الخطوب حيث يتوجب عليه أن يوصل صوته إلى كلّ من يسمعه، كما تحرك على اساس ذلك شهيدنا الكربلائي وهو يعيش آخر ساعة من حياته على الثرى، حتى يتحول إلى قدوة يمشي خلفها كل كربلائي حسيني بالشكل الذي لا يدع اليأس يدخل إلى جوفه أبداً، بل ويظل يعيش الأمل في أن يستنقذ ما يمكن له استنقاذه.

والقرآن الكريم ربما يعطينا درساً هامّاً في هذا المجال، حيث يقول في آية من آياته الكريمة:

﴿ وَإِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً قالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1]

وقد جاءت هذه الآية الكريمة في قصة أصحاب السبت وملخصها أن الله أمر أهل قرية يسكنها اليهود بعدم صيد الحيتان يوم السبت وأبيح لهم في باقي أيام

---

١. الأعراف/ ١٦٤.

الأسبوع، فوسوس لهم الشيطان بأن ينصبوا شباكهم يوم السبت فإذا ما جاء يوم الأحد أخذوا ما حملته شباكهم من السمك.

عند ذلك انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام.

يقول الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل: «عندما واجهت هذه الجماعة من بني اسرائيل هذا الامتحان الكبير الذي كان متداخلاً مع حياتهم تداخلاً كبيراً، انقسموا إلى ثلاث فرق:

الفريق الأول: وكانوا يشكلون الأكثرية، وهم الذين خالفوا هذا الأمر الالهي.

الفريق الثاني: وكانوا على القاعدة ، يشكلون الأقلية، وهم الذين قاموا تجاه الفريق الأول بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفريق الثالث: وهم الساكتون المحايدون الذين لم يوافقوا العصاة، ولا قاموا بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وهنا يذكر الباري عز وجل حواراً دار بين العصاة وبين الذين نهوهم عن ارتكاب هذه المخالفة «وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً» «فأجابهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر: بأننا ننهى عن المنكر لأننا نؤدي واجبنا اتجاه الله تعالى وحتى لا نكون مسؤولين تجاهه، هذا مضافاً إلى أننا نأمل ان يؤثر كلامنا في قلوبهم، ويكفوا عن طغيانهم وتعنتهم «قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون» ويستفاد من الجملة الحاضرة أن هؤلاء الواعظين كانوا يفعلون ذلك بهدفين:

الأول: أنهم كانوا يعظون العصاة حتى يكونوا معذورين عند الله والآخر: عسى ان يؤثروا في نفوس العصاة، ويفهم من هذا الكلام أنهم حتى مع عدم احتمال التأثير، فانهم كانوا لا يحجمون عن الوعظ والنصيحة في حين أن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروطان باحتمال التأثير».

وهذا هو عين ما صنعه الشهيد حنظلة بن أسعد الشبامي في كربلاء حينما وقف حتى آخر اللحظات وهو يتحدث معهم ويوعظهم ولسان حاله يقول لكل من يعترض عليه «معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقّون».

وكم عشنا قصصاً وقرأنا قصصاً وسمعنا قصصاً لأناس لم يكن أحدٌ يتصوّر أنّهم سيؤثرون في يوم ما بالموعظة، وإذا بها تغلب كيانهم بشكل كامل، فتحولوا إلى أناسٍ صالحين، وبعضهم صار من أعاظم الدعاء إلى الله، ولماذا يذهب الإنسان بعيداً، ففي نفس تلك الواقعة تأثر جماعة من جيش عمر بن سعد بمواعظ الحسين واصحابه، وانتقلوا إلى صفِّ أبي عبد الله واستشهدوا بين يديه.

ثانياً: اختيار الشهيد حنظلة لهذه السورة «أعني سورة المؤمن أو ما يعرف بمؤمن آل فرعون» من جانب، وتذكير الحسين عليه السلام لزهير بن القين حينما خطب في أهل الكوفة بقوله: «لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت وابلغت لو نفع النصح والإبلاغ»[١].

ليجعلنا أمام حقيقة مهمة ألا وهي وحدة التشخيص ووحدة الطرح من قبل المعصوم وأصحابه.

---

(١) أدب الطف: ج١ ص١٢١.

فيما أن المعركة التي يقفون فيها في يوم عاشوراء تمثل في واقعها صراعاً بين الحق والباطل والهدى والضلال ناسب أن يُطرح خطاب مؤمن آل فرعون مع قومه، والذي كان محوره الحقيقي ومضمونه الأساس حق وباطل وهدى وضلال.

ولقد وقف مؤمن آل فرعون مناصراً للحق ومدافعاً عنه بكل ما يملك وما تنازل عن مبدئه قيد أُنملة بل وقف ناصحاً وواعظاً ومذكراً «يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب»، وكأنه يريد أن يذكّرَهم بأن هؤلاء الذين تحزّبوا واجتمعوا وتآمروا على قتل الأنبياء تعرضوا لهزيمة منكرة واهلكوا من قبل الله، وها هو رسول الله يقف بعد انتهاء معركة بدر مخاطباً كل الطغاة والمتكبرين «الذين وقفوا أمامه وحاولوا قتله» وقال لهم: «يا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا فلان ويا فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً، لقد كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وخذلتموني ونصرني الناس»[(١)].

«يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب» قاله مؤمن آل فرعون وطبقّه الشهيد على واقعه وعلينا أن نعيشه ونطبقه على واقعنا، فإيّانا ثم إيّانا أن نكون في خندق معادٍ للحق واهله، إيّانا ثم إيّانا أن نتحول إلى حربٍ لله ورسوله، إيّانا ثم إيّانا أن نكون مطيّة تصل الطغاة من خلال ظهورنا إلى اهدافهم فنكون كمن باع دينه بدنيا غيره.

«**ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التنادِ**» لقد حاول الشهيد تبعاً لمؤمن آل

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج١ ص٦٣٩.

فرعون أن يستعمل أعظم الالفاظ وأعمق المعاني لإيصال الهداية لمن يتحدث معهم عسى ان يكون ذلك دافعاً ومحركاً لهم في تدبر كلماته وتعقّل الفاظه ومن ثم نجاتهم من النار وفوزهم بالجنة.

وفي ظل هذا السياق وهذا النسق الذي تحرك على اساسه الشهيد حنظلة « جاء النداء المذكّر بالآخرة وعذابها وأهوالها وكأنهم كالمنكرين للبعث الذي لا يحسبون له حساباً»[١]، إنّه يوم التناد، حيث تنادي الأم ابنها فلا يستجيب لها، وينادي الابن أُمّه فلا تستجيب له، وينادي الأخ اخاه فلا يستجيب له، وينادي التابع المتبوع فلا يستجيب له، وينادي الضعفاء الأقوياء فلا يستجيبون لهم.

يا قومِ إني أخاف عليكم أهوال هذا اليوم العظيم، فارحموا أنفسكم من عذابه وسكراته من خلال الاستجابة لنداء العقل والدين في الوقوف إلى جانب الحق والعدل أمام الباطل والجور.

ثالثاً: لقد طبق الشهيد حنظلة المفاهيم القرآنية على مصاديقهم الواقعية، فهذا مؤمن آل فرعون يخاطب قومه بالآية المتقدمة وهذا حنظلة بن أسعد يخاطب أصحاب عمر بن سعد بنفس الآية الكريمة، وهذا يعني بعبارة آخرى تطبيق القرآن على العترة الطاهرة والتي لا تختلف في عطائها ووظيفتها عن عطاء ووظيفة الأنبياء، ومن هنا نجد أن الشهيد حنظلة بدل أن يقول «ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذابٍ وقد خاب من افترى» وهي كلمة السحرة الذين وقفوا إلى جانب موسى عليه السلام وسألته، دفاعاً عنه وعن مبادئه، تلك الكلمة التي قالوها أمام

١. تفسير التحرير ٢٤ : ١٣٦.

عشرات الآلاف من الناس المضلّلة، فأراد حنظلة أن يطبقها على الحسين عليه السلام وهو يدافع عن رسالة جده صلى الله عليه وآله وقد قالها مدّوية أمام كل تلك الآلاف المؤلفة من الناس المغرّر بهم الذين جاؤوا لقتال أبي عبد الله الحسين عليه السلام، قال: «يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذابٍ وقد خاب من افترى» ولكنهم بدل أن يتأثّروا بها، إذا بهم يرمونه بالسهام، ورحم الله الشاعر حيث يقول:

لم أنسه إذ قامَ فيهم خاطباً ... فإذا هُمُ لا يملكون خطابا

فغدوا حيارى لا يرون لوعظهِ ... إلاّ الأسنّة والسهامَ جوابا

رابعاً: قول الحسين عليه السلام، للشهيد حنظلة: «إرجع يابن أسعد فإنّهم قد استوجبوا العذاب حينما ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحقن ونهضوا اليك يستبيحوك وأصحابك فكيف بهم الآن وقد قتلوا أخوانك الصالحين»[(١)].

وهنا يشير الإمام الحسين عليه السلام، في حديثه هذا إلى مفهوم قرآني إيماني، ألا وهو عقوبة ردّ الحقّ بعد معرفته، وكأن الحسين عليه السلام يريد ان يذكرّ الشهيد بدعوة نوح إلى قومه وكيفية مواجهتهم له، يقول القرآن الكريم متحدثاً عن نوح عليه السلام ودعوته لقومه:

﴿ قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاَّ فِراراً * وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً ﴾[(٢)].

---

(١) أعيان الشيعة ٧ : ٢٦ للسيّد محسن الأمين.

(٢) إبصار العين: ١٠١ ، تاريخ الطبري ٣ : ٣٢٩ ، الارشاد ٢ : ١٠٥ .

وبعد كلّ هذا البيان والمعرفة التي واجهوها بمنتهى القسوة والتحجر وردّ الحق الذي جاءهم به نوح عليه السلام جاءت العقوبة الإلهية.

﴿ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفَّاراً ﴾[1]، وقوله ﴿ فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[2].

وهكذا حينما تحدث القرآن الكريم عن أهل الكتاب وردّهم الحق بعد ما عرفوه وما ترتب على ذلك من عذاب وحساب.

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ ﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾[4].

---

(١) نوح/ ٥ ـ ١٠.

(٢) نوح/ ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) القمر/ ١٠ ـ ١٢.

(٤) آل عمران/ ١٩.

كل هذا وغيره ليرشدنا إلى هذه الحقيقة القرآنية الحسينية العاشورائية التي ذكرها الحسين عليه السلام للشهيد حنظلة أن ردّ دعوة الحق لابد أنها سوف تترك آثارها عليهم إن عاجلاً كما حصل في نفس اليوم العاشر من المحرّم لبعضهم [(١)] وإن آجلاً حينما سلط الله عليهم غلام ثقيف فسقاهم كأساً مصبّرة بحيث لم يدع قاتلاً إلا وقتله، قتلة بقتلة كما ذكر ذلك الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرم «اللهم احبس عنهم مطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف، يسقيهم كأساً مصبرة فانهم كذبونا وخذلونا وانت ربنا عليك توكلنا واليك المصير، والله لا يدع واحداً منهم إلا انتقم لي منه قلتة بقتلة، وضربة بضربة وإنه لينتصر لي ولأهل بيتي واشياعي» [(٢)].

خامساً: قول الشهيد حنظلة «صدقت يا أبا عبد الله، سيّدي افلا نروح إلى الجنّة؟» [(٣)].

وما أعظمها من كلمة! وما أعظم قائلها هذا الذي اشتاق إلى الجنّة بدرجة كبيرة جداً، بحيث إنّه أصبح لا يطيق البقاء في هذه الدنيا، وخصوصاً بعد أن فارق الأحبة والأعزّة من أصحاب الحسين! إنها ميزة مهمة للشهيد بل ولجميع شهداء

---

(١) أمثال ابن حوزة التميمي حينما قال للحسين يا حسين تعجلت بالنار قبل يوم القيامة فدعا عليه الحسين عليه السلام وقال اللهم حزه إلى النار فاضطرمت به فرسه في جدول، فوقع فيه وتعلقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض ونفر الفرس فأخذه، يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات. معالم المدرستين ٣: ١٠٠، نقلاً عن تاريخ الطبري.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢: ٧، اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٦.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٧.

الطف (رض)، منها هو برير بن خضير يمازح عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري فقال له: «دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل، فقال له برير: والله لقد علم قومي أنّني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ولكن والله إني لمستبشر بما نحن لاقون، والله إنّه ليس بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم الساعة»[(١)].

وهكذا كان الشهيد حنظلة يتوق إلى الجنة والى حورها ونعيمها الدائم لاسيّما في ظل رضا الله الأكبر:

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[(٢)].

لقد كان الشهيد يريد أن يدخل الجنة بسرعة ليلتحق بركب من مضى قبله، ولكنه في نفس الوقت يريد أن يدخل الجنة بإذن الحسين عليه السلام ولهذا نجده ليسأل الحسين عليه السلام مثل هذا السؤال الذي يتضمن في حقيقته طلب الإذن من الحسين عليه السلام في النزول إلى المعركة والدخول إلى الجنة، سيدي أفلا نروح إلى الجنة؟.

وقت شهادة الشهيد حنظلة

لقد اختلفت الروايات في وقت شهادة حنظلة (رض)، والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يرى بأن الشهيد (رض) قد التحق بالرفيق الأعلى بعد شهادة

---

١) معالم المدرستين ٣ : ٩٥.

(٢) القمر / ٥٥.

الفتيين الجاريين، يقول أبو مخنف في مقتله: «وجاء الفتيان الجابريان: سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع وهما ابنا عمٍّ وأخوان لامٍّ، فأتيا حسيناًعليه السلام فدنيا منه، وهما يبكيان، فقالعليه السلام: أي ابني أخي، ما يبكيكما؟ فوالله، أنا لأرجو أن تكونا قريري عين عن ساعة« قالا: جعلنا الله فداك ، لا والله ما على انفسنا نبكي ولكنّا نبكي عليك، نراك وقد أحيط بك ولا نقدر على ان نمنعك، فقالعليه السلام: فجزاكما الله ـ يا ابني أخي ـ بوجدكما من ذلك ومواساتكما إيايّ بأنفسكما أحسن جزاء المتّقين».

ثم استقدم الفتيان الجابريان يلتفتان إلى حسينعليه السلام، ويقولان: السلام عليك يا بن رسول الله، فقالعليه السلام: «وعليكما السلام ورحمة الله» فقاتلا حتى قتلا.

وجاء حنظلة بن أسعد الشبامي فقام بين يدي حسينعليه السلام فأخذ ينادي...»[١].

القسم الثاني: يرى أن الشهيد (رض)، قد التحق بالرفيق الأعلى بعد شهادة برير بن خضير يقول السيد المقرّم في مقتله: «ولما رجع كعب بن جابر إلى اهله عتبت عليه امرأته النوار وقالت: أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيّد القراء [٢]،

لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً... إلى يقول ونادى حنظلة بن أسعد الشبامي: ياقوم...»[٣].

القسم الثالث: وهي التي ترى ان شهادته (رض)، كانت بعد شهادة عمرو بن

(١) مقتل أبي مخنف: ٢٣٤ ـ ٢٣٥/ تحقيق الشيخ اليوسفي.

(٢) تعني به الشهيد برير بن خضير الهمداني حيث كان يعرف من شيوخ القراء في مسجد الكوفة.

(٣) مقتل الحسين للمقرّم: ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

خالد الصيداوي وقبل شهادة زهير بن القين، يقول ابن نما في مثير الأحزان: «وبرز عمرو بن خالد الصيداوي[1]، فقاتل فقال لهعليه السلام: «تقدم فإنا لاحقون بك عن ساعة» فتقدم فقتل وجاء حنظلة بن أسعد الشامي[2]، فوقف بين يدي الحسينعليه السلام يقيه الرماح والسهام والسيوف بوجهه ونحره ثم التفت إلى الحسين فقال أفلا نروح إلى ربنا ونلحق؟ فقال: رح إلى ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، فقاتل قتال الشجعان وصبر على مضض الطعان حتى قتل وألحقه الله بدار الرضوان، وتقدم زهير بن القين...»[3].

الشهيد يدعو والحسين يؤمّن له

ما إن أذن الحسين للشهيد أن ينزل إلى ساحة المعركة حتى أخذ وجه حنظلة يشرق نوراً ويتلألأ فرحاً بما هو قادم عليه من نعيم لا يبلى ورضاً من رب الأرض والسما، ولكنه مع كل هذه النعم، طلب أمراً آخر من الله عز وجل وأمّن الحسين لطلبه، لقد قال حنظلة للحسينعليه السلام في آخر كلماته: «السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك وعلى أهل بيتك، وعرّف بيننا وبينك في الجنّة فقال الحسين: آمين آمين»[4].

وهذه الكلمات لاشك أن الشهيد أراد من خلالها أن لا يكون في الجنّة إلا

---

(١) والصحيح الصيداوي بدل الصيدائي كما عند مشهور العلماء.

(٢) والصحيح الشبامي بدل الشامي كما بيّنا ذلك في بداية الحديث عن الشهيد (رض).

(٣) مثير الأحزان لابن نما الحلي ٣: ١٢.

(٤) إبصار العين: ١٠١.

مع الحسين عليه السلام وأهل بيته عليه السلام، وأن يعَرّف الله تعالى بينه وبين الحسين عليه السلام في الجنّة، وهذا غاية المسؤول ونهاية المأمول أن يجلس المحبوب إلى جانب حبيبه، وهكذا لم تمضِ إلا مدّة وجيزة من الزمن بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة حتى تعطّفوا عليه فقتلوه في دوحة الحرب فسقط مضرجاً بدمائه إلى جانب إخوته وأحبته، وهو وإن كان قد حوى الفخر كل الفخر بموقفه هذا، ولكنّه أزاد على الفخر فخراً، وعلى العزّ عزّاً، وعلى الرفعة رفعةً بتسليم الإمام صاحب الزمان عليه في زيارة الناحية بقوله: «السلام على حنظلة بن أسعد الشبامي ورحمة الله وبركاته»[1]، ونحن بدورنا نسلّم على الشهيد بعيون عبرى وصدور حرّى وقلوب ملؤها الاشتياق إلى شخصه الكريم وولائه العظيم ونسأل الله سبحانه وتعالى الذي أكرمه بهذا المقام ان يكرمنا بالسير على خطاه ورحمة الله وبركاته.

---

١. المزار للشهيد الأول: ١٥١.

الشهيد كردوس التغلبي رحمه الله

صحابي جليل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقائد كبير محنّك في جيش علي بن أبي طالب عليه السلام، عرف عنه الثبات مع الحقّ مع شدّة الفتن وكثرة المنعطفات، والتي تزلزلت فيها أقدام قوم وثبتت فيها أقدام قوم آخرين، وعرفوا الحقّ فمالوا إليه، إمامهم ووليّهم علي أمير المؤمنين، وبعده الحسن، وبعده الحسين عليهم السلام ومن جملتهم الشهيد كردوس، وقد عدّه الرجاليون والمؤرّخون من جملة الرواة الثقاة، إضافة إلى كونه رئيساً مطاعاً في قومه، وهذه كلّها نقاط مشرقة في حياة هذا الرجل نحاول أن نسلّط عليها الأضواء علّنا نكون موفّقين في اتّباع سيرته واقتفاء أثره.

اسم الشهيد

هو كردوس يقول ابن منظور في لسان العرب في مادّة كردس: «الكردوس فِقرة من فقرِ الكاهل، وكلّ عظم ضخم فهو كردوس، وكلّ عظم كثير اللحم عظمت نحضته كردوس، وقالوا: الكراديس رؤوس العظام، واحدها كردوس،

وكلّ عظمين التقيا في مفصل فهو كردوس»[١] فمعنى كردوس على ما تقدّم يعني القوي الضخم، فكأنّ الشهيد كان اسماً على مسمّى، حيث عرف بشجاعة متميّزة، وقدرة فائقة على مقارعته للأبطال وثباته في ساحات القتال وعدم اكتراثه بالأسنّة والنبال.

الاختلاف في اسمه

اسم كردوس محلّ اتّفاق فيما أعلم عند من ترجم له إلاّ ما شذّ، نعم ورد في أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين[٢] أنّه ذكر اسم كردوس، وهو المعتمد عنده، ولكنّه في نفس الوقت وضع بين قوسين (كرش) وطبيعي لابدّ من وجود دليل اعتمد عليه في ذلك وإن لم نطّلع عليه، من اختلاف النسخ أو ما شاكل ذلك، ولكن ما ذكره الشيخ شمس الدين رحمه الله لم يذكره آخر، ومن ثم يكون عندنا اتّفاق، أو لا أقلّ شبه اتّفاق عند الفريقين في أنّ اسم الشهيد هو كردوس دون غيره من الأسماء.

اسم والد الشهيد

وأما اسم أبيه فقد وقع الاختلاف فيه كثيراً، فقد ورد أنّ اسمه زهير، وهذا محلّ اتفاق عند علمائنا، كما في إبصار العين للسماوي[٣]، وابن شهر آشوب[٤] في

---

(١) لسان العرب: ج٦ ص١٩٥.

(٢) أنصار الحسين: ص١٠٧.

(٣) إبصار العين: ص١٥١.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٢٦٧.

المناقب، ووسيلة الدارين[١] وغيرهم.

أمّا عند الآخرين فقد ذكروا اسماءً أربعة، حيث ذكر البخاري في التاريخ الكبير ما نصّه: «كردوس بن عباس التغلبي، قاله أشعث بن سوار، وقال زائدة بن منصور: كردوس بن هاني التغلبي، وقال سليمان بن حرب، عن شعبة، عن عمر بن مرّة، عن أبي وائل، عن كردوس بن عمرو: وكان يقرأ الكتب»[٢].

حيث ذكر كما تقدّم أنّ اسم الأب مختلف فيه، بين عباس و هانئ و عمرو، كما هو واضح.

وأمّا الاسم الرابع وهو قيس، فقد ذُكر مع الأسماء الثلاثة الأولى مجتمعة، في تعجيل المنفعة لابن حجر، حيث قال:[٣] «كردوس بن قيس قاصّ العامّة بالكوفة، عن رجل بدري له صحبة. وعنه عبد الملك بن ميسرة، أظنّه الذي قبله، يعني الثعلبي، وكان ذكر أنّه اختُلف في اسم ابيه، فقيل: عباس، وقيل: عمرو، وقيل: هانئ».

ونفس هذا الذي ذكره ابن حجر في تعجيل المنفعة، ذكره في كتابه الآخر تهذيب التهذيب (مَنْ اسمه كدام وكردوس وكرز) قال: «كردوس بن العباس الثعلبي، ويقال ابن هانئ الثعلبي، ويقال ابن عمرو الغطفاني، ويقال إنّهم ثلاثة، روى عن الأشعث بن قيس وحذيفة وابن مسعود بن شعبة وأبي مسعود الأنصاري

---

(١) وسيلة الدارين: ص١٨٥.

(٢) التاريخ الكبير: ص٥٥٧.

(٣) تعجيل المنفعة: ج١ ص٣٥١ (٩٠٧).

وأبي موسى الأشعري وعائشة، وروى عنه عبد الملك بن عمير وأبو وائل وزياد بن علامة والحارث بن سليمان الكندي وأشعث بن أبي الشعثاء وأشعث بن سوار وابن عون ومنصور بن المعتمر وآخرون»[١].

وبعد ما تقدّم من اختلافهم في اسم أب الشهيد وما ذكروه، نود أن نثير حوله ما يلي:

شخصية واحدة أم شخصيات متعددة؟

إنّهم وإن اختلفوا في اسم أبيه ولكنّهم يشيرون في طيّات كلماتهم إلى أنهم شخصية واحدة وليست شخصيّات متعدّدة، حيث وجدت بعد البحث والتمحيص وبذل الوقت أنّ كلّ ما يذكروه في كتبهم من روايات حول واحد من هؤلاء الثلاثة يكون متطابقاً في الغالب، ممّا يؤيّد أنّ المُتحدّث عنه واحد لا غير.

فمثلاً حينما يتحدّثون عن أنّه كان قاصّاً في الكوفة، فهذا الوصف قد ذكروه في ترجمة كردوس بن العباس وكردوس بن عمرو وكردوس بن قيس، حيث ينقل صاحب كتاب الآداب الشرعية[٢]، يقول: «حدّثنا هشام، حدّثنا شعبة، عن عبد الملك بن مسيرة: سمعت كردوس بن قيس، وكان قاص العامّة في الكوفة» ثمّ يقول: «أخبرني رجل من أصحاب بدر، أنّه سمع النبيﷺ يقول: لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحبّ إليّ من أن أعتق أربع نسمات»[٣].

(١) تهذيب التهذيب: ج٨، ص٣٨٧.

(٢) الآداب الشرعية: ج٢ ص١٥٩.

(٣) نفس المصدر.

وصفة القاصّ في الكوفة وردت كذلك في كردوس بن عمرو، حيث ينقل البزّاز في روايته في البحر الزخّار[1] من طريق روح بن عبادة قال: «أخبرنا شعبة قال: أخبرنا عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت كردوس بن عمرو قال: سمعت رجلاً من أهل بدر، قال شعبة: أراه علي بن أبي طالب، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لأن تفصّل المفصّل أحبّ إليّ من كذا باباً» قال شعبة: فقلت لعبد الملك: أيّ مفصّل؟ قال: القصص، ثمّ قال البزّاز: ولا نعلم روى كردوس بن عمرو عن علي إلاّ هذا الحديث».

وقد ذكر ابن حبّان في الثقات ما يشعر أنّ كردوس بن عمرو كان قاصّاً، حيث يقول: «كردوس بن عمرو الثعلبي، كنيته أبو نعيم، وكان يقرأ الكتب ويحكي عن الإنجيل والتوراة، روى عنه أبو وائل، وقد قيل: كنيته أبو وائل»[2].

والمتعارف عليه أنّ الحكايات التي تحكى في تلك الحقبة إنّما كانت عبارة عن حكايات وقصص اليهود والنصارى في الإنجيل والتوراة، ومن ثم تكون هذه الرواية التي تتحدّث عن كردوس بن عمرو هي بمضمونها نفس تلك التي تتحدّث عن كردوس بن قيس، أمّا كردوس بن العباس وكردوس بن هانئ التغلبي فقد ذكرهما البخاري في تاريخه الكبير، وعلق عليهما بأنّ كردوساً كان قاصّ الجماعة، وهو الكوفي، ثمّ بعد ذلك ذكر كردوس بن عمر الذي عبر عنه بالذي يقرأ الكتب، وهذا نصّ كلامه: «كردوس بن عباس التغلبي، قاله أشعث بن سوار، وقال زائدة بن منصور: كردوس بن هانئ التغلبي، وقال محمد بن بشّار، عن أزهر

---

(١) البحر الزخّار: ج٣ ص١٣٠.

(٢) الثقات لابن حبّان: ح٥١٣٩.

ابن عون قال: رأيت كردوساً التغلبي وكان قاصّ الجماعة، وهو الكوفي، وقال سليمان بن حرب، عن شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي وائل، عن كردوس بن عمرو: وكان يقرأ الكتب». [١]

وممّا تقدّم يتبيّن أنّ صفة القاصّ التي ذكروها للشهيد الكربلائي، تارة يطلقونها لكردوس بن قيس كما في الآداب الشرعية، وتارة أخرى لكردوس بن عمرو كما في البحر الزخّار، ومرّة لكردوس بن العباس وكردوس بن هانئ كما يفهم ذلك من البخاري في تاريخه، ممّا يعني أنّهم يتحدّثون عن شخصية واحدة، غاية ما في الأمر اختلفت الروايات في اسم الأب، إمّا لاختلاف النسخ أو لسبب آخر ربما لا نعرفه.

ومن أجل هذا صار بعضهم حينما يتحدّث عن الشهيد يترك الحديث عن اسم أبيه والاختلاف فيه، ويكتفي بكردوس التغلبي، لشهرته.

يقول أبو حاتم: «أمّا علي بن المديني فجعل كردوس بن عمرو على حدة وكردوس بن هانئ على حدة وكردوس بن العباس على حدة، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن ذلك (يعني عن أنهم شخصيّات ثلاثة وليست واحدة) فقال: فيه نظر، وقال الدوري، عن ابن معين: كردوس التغلبي مشهور» [٢].

وأخيراً ذكر ابن الأثير في أسد الغابة بعد ذكر الاختلاف في ذكر الأب، هل هو عمرو أم غيره: «قلت: أخرج أبو موسى حديث من أحيا ليلتي العيدين، في هذه

---

(١) التاريخ الكبير: ص٥٥٧.

(٢) تهذيب التهذيب: ص١٣١٠ (من اسمه كدام وكردوس وكرز).

الترجمة، وأفردها عن ترجمة كردوس بن عمرو، وهذا الحديث قد أخرجه أبو نعيم في ترجمة كردوس بن عمرو، فدلّ ذلك على أنّهما واحد، فلا أعلم من اين علم أبو موسى أنّهما اثنان وقد جعلهما أبو نعيم واحداً، ولم يذكر إلاّ الأول، لاسيّما وهذا الاسم ممّا تقلّ به التسمية».[1]

نسب الشهيد كردوس

أمّا النسب الذي يرجع اليه، فمشهور العلماء عند الفريقين يذهب إلى أنّه تغلبي، فقد ذكره ابن سعد في الطبقات بالتغلبي[2] وكذلك البخاري في التاريخ الكبير[3] وابن حِبّان في الثقات[4] والمزّي في تهذيب الكمال[5] وآخرون.

نعم، هناك من ذهب إلى أنّه ثعلبي، ولكن هذه النسبة إمّا تذكر بعد ذكر النسبة الأولى (بقليل) مثلاً، فتكون ضعيفة وغير متبنّاة، بخلاف النسبة الأولى.

وإما أنّ تذكر في البداية، كما ذهب إلى ذلك البعض، مثل الذهبي في الكاشف[6] حيث ذكره أولاً ثمّ ذكر بعد ذلك مباشرة: ويقال التغلبي.

ومع ذلك فإنّ من تبنّى أنّه ثعلبي جماعة قليلة في قبال التغلبي الذي ذهب إليه مشهور العلماء، هذا كلّه في خصوص المدرسة الثانية.

---

(١) أسد الغابة، باب الكاف ـ كردوس.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ص١٨٣.

(٣) التاريخ الكبير، باب الكاف (١٠٣٥).

(٤) ابن حبّان في الثقات: ج١ ص١٩٧.

(٥) تهذيب الكمال للمزّي: ص١١٤٤.

(٦) الكاشف: ٤٦٥٢.

وأمّا على أساس علماء مدرسة أهل البيت فقد أجمعوا على أنّ نسبه هو التغلبي، إلاّ اللهمّ ما ذكره صاحب الهامش على كتاب نقد الرجال، للسيد مصطفى الحسيني بقوله: في نسختي (م) و(ت) الثعلبي[١]. ممّا يقوي في النفس أنّ الثعلبي إنّما هي تصحيف عن التغلبي، وبما أنّ الشهيد قد اتّفق على أنّ اسمه كردوس ونسبهُ التغلبي كما تقدّم، فقد ارتأينا ذكره بـ«الشهيد كردوس التغلبي» فقط.

قبيلة الشهيد

لقد كانت قبيلة بني تغلب منجبة للأبطال والفرسان والشعراء والأدباء، ولقد عرفت بين العرب بأنّها قبيلة عزيزة الجانب، أبيّة عصيّة لا يكبح جماحها إلاّ متسلّط بجبروت، وكانت تحمل في نفس الوقت أنفة وفخراً كبيرين نتيجة لما كانت تملكه من تاريخ عظيم من البطولات والأمجاد ولهذا كلّه كانت اذا ما أرادت أن تنزل في مكان ما، لا تهاب أحداً ولا تخشى من شيء، حيث كانت تنزل حيثما هطل المطر، كلّ ذلك لعزّتها ومنعتها وقوة بأسها.

وقد اشتهر من قبيلة تغلب جماعة منهم كليب الذي كان يحمي مواقع السحاب، وأخوه البطل المهلهل، وكلثوم بن مالك أفرس العرب، والأخطل والقطامي، وكعب وعمير أبناء جعيل والعتابي في الاسلام[٢]. فضلاً عن عمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند، وهو نار على علم، حيث عرفه كلّ صغير وكبير، لشعره

---

(١) نقد الرجال: ج٤ ص٤٢٧٤.

(٢) مجلة النبأ (عدد٥٧) شهر صفر ١٤٢٢هـ أيار ٢٠٠١م (مقال: من أعلام الشيعة سيف الدولة الحمداني).

ولبأسه وقوته وسداد رأيه، حيث مَلّكه قومه وعمره ١٥ سنة، ولقد كان من فخر هذه القبيلة أن قال عمرو بن كلثوم في معلّقته الرائعة:

وإنّا الحاكمون بما أردنا	**وإنّا النازلون بحيث شينا**
وإنّا النازلون بكلّ ثغرٍ	**يخاف النازلون به المنونا**
إذا ما الملك سام الناس خسفاً	**أبينا أن نقرّ الخسف فينا**
ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا	**فنجهل فوق جهل الجاهلينا**
ملأنا البرّ حتى ضاق عنا	**وموج البحر نملؤه سفينا**
اذا بلغ الفطام لنا رضيعٌ	**تخرّ له الجبابر ساجدينا**
لنا الدنيا ومن أمسى عليها	**ونبطش حين نبطش قادرينا**

وينقل أن هذه القصيدة كانت تزيد على الألف بيت، «وكانت بنو تغلب يعظّمونها ويرويها صغارهم وكبارهم، لما حوته من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة ألفاظها وحفظها»[١].

ومع كونهم من صميم العرب إلاّ أنّهم كانوا قد تأثّروا بالروم والمسيحية، حتى عرفت هذه القبيلة بأنّها من القبائل المسيحية، واستمرّوا على ذلك حتى جاء الإسلام، كما يؤكّد على ذلك ابن قيّم الجوزية.[٢]

فعبّر عنهم في الروايات بأنّهم نصارى العرب، إضافة إلى آخرين أمثال نصارى نجران، وهؤلاء لم يدخل منهم الكثير في الإسلام بل دخل منهم القليل، وينقل أنّهم جاءوا إلى رسول الله في عام وفود القبائل العربية في السنة التاسعة

(١) أشعار الشعراء الستة للأعلم الشنتمري: ص٩٨.

(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم الجوزية: ص٢٦.

للهجرة أو العاشرة، حيث يقول ابن سعد في الطبقات[1]: «إنّ ستة عشر رجلاً من بني تغلب مسلمين ونصارى، وفدوا إلى رسول الله عليهم صُلب الذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث، فصالح رسول الله صلى الله عليه وآله النصارى على أن يقرّهم في دينهم على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم».

وإنّما اشترط رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم ذلك لأنّ النصارى كانوا يغسلون أولادهم في الماء بعد ولادتهم، بل وحتى الحوامل، ويعتقدون بذلك أنّهم سوف يتطهّرون من إثم آدم وبنيه، لأنّ هذا الماء هو الماء الذي ولد فيه عيسى عليه السلام، وتسمى هذه العملية عند المسيح بالتعميد.

وهنا يقف القرآن الكريم موقفاً حازماً مبيّناً لهم أنّ هذه العملية لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تعطي الطهارة للإنسان، لأنّ الطهارة أمرٌ معنوي يأتي للإنسان من داخله، من خلال تفاعله مع قيم السماء وأخلاق الرسالة، ولو غمس الإنسان نفسه بالماء الأصفر الذي يعدّوه في حوض ألف مرّة، بل في جميع المياه ولو كانت مياه البحار والمحيطات، فإنّ هذا سوف لا يزيل أيّ شيء من النجاسات الخُلُقيّة عن نفس هذا الإنسان وعقله وقلبه.

ومن ثم فإنّ التطهّر بالطريقة التي يؤمنون بها هو ضرب من الخرافة وسخافة للعقل البشري، وذلك أن التخلّص من كلّ موروثه الذي يحمله خلال دقائق في الماء هو أمر غير عقلائي. يقول القرآن الكريم:

﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ

(١) الطبقات: ج١ ص١٤٣.

وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾[1].

ويقول الشيخ الطبرسي في كتابه مجمع البيان، في تفسير هذه الآية: «صبغة الله مأخوذة من الصبغ، لأنّ بعض النصارى كانوا إذا ولد لهم مولود غمسوه في ماء لهم يسمونه المعمودية، يجعلون ذلك تطهيراً له، فقيل صبغة الله، أي تطهير الله لا تطهيركم بتلك الصبغة» ثمّ يقول «وإنّما سمّي الدين صبغة لأنّه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة»[2].

ويقول الطبري في تفسيره: «يعني تعالى ذكره بالصبغة، صبغة الإسلام، وذلك أنّ النصارى إذا أرادت أن تنصّر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أنّ ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنّه صبغة لهم في النصرانية، فقال الله تعالى ذكره اذ قالوا لنبيه محمد وأصحابه المؤمنين به:

﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ ﴾.

قل لهم يا محمد: أيّها اليهود والنصارى، بل اتّبعوا ملّة إبراهيم صبغة الله التي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٦ ـ ٣٨.

(٢) مجمع البيان: ج١ ص١٣٨.

هي أحسن الصبغ، فإنّها هي الحنيفية المسلمة، ودعوا الشرك والضلال عن محجّة هداة»[١].

ومن هنا نعرف أنّ ما طلبه رسول الله صلى الله عليه وآله منهم كان لا يؤثّر على أهل النصرانية ولا على اختيارهم لها، وإنّما كان الموضوع ينصبّ على رفع مستوى عقولهم ومستوى تفكيرهم في جزئية صغيرة كانوا يتمسّكون بها في حياتهم.

نعم وردت في بعض الروايات أنّ النبي صلى الله عليه وآله صالحهم على أن لا ينصّروا أبناءهم، أو بتعبير آخر أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، كما في الرواية التي يذكرها ابن كثير في البداية والنهاية «أنّهم كانوا ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث فصالح رسول الله صلى الله عليه وآله النصارى على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، وأجاز المسلمين منهم»[٢] وهذه الرواية وأمثالها في التعبير لا يمكن قبولها لأسباب منها:

١ـ إنّ ذلك يخالف نصّاً صريحاً واضحاً في القرآن الكريم يقول:

﴿لَاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٣].

وما يذكرونه في هذه الرواية فيه اكراه لهذه الفئة في عدم تنصير أبنائهم، ومن ثم هم لابدّ أنّ يقبلوا من أجل أن يعيشوا، فتنتهي بهم الحال إلى دخول الإسلام، ولكن لا بشكل اختياري وإنما جبري مفروض عليهم، وهذا ما لا يقرّه

(١) تفسير الطبري، تفسير آية: ١٣٨.

(٢) البداية والنهاية ج٥، هامش ص١٠٨، وفيه (يضيّعوا) بدل (يصبغوا) وهو تصحيف.

(٣)سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

الإسلام أبداً.

٢ـ لو صحّت هذه الرواية لكان بنو تغلب قد تحوّلوا جميعاً إلى الإسلام ولم يبق لهم في المسيحية ذكر، وهذه الفرضية لا يمكن قبولها، لأنّ المؤرّخين يجمعون على أنّ بني تغلب بقوا على نصرانيتهم إلى مدّة ليست بالقليلة، ربّما استمرت طيلة الحقبة الأموية[١] وجزءاً من الحقبة العباسية إلى أن حصل الانقلاب الطبيعي بحكم معيشتهم مع المسلمين وتأثّرهم بهم بشكل تدريجي، حتى آمنوا اختياراً لا اضطراراً.

ولهذا كلّه وغيره قلنا بأنّ مثل هذا التعبير لا يقبل في هذه الرواية، ويقبل ما جاء في الرواية الأولى لأنّه موافق للقرآن والسنّة وأحداث التاريخ والواقع، ولقد ذكر الطبرسي تأييداً لما ذكرنا في تفسير الآية: ١٣٨ من سورة البقرة قوله: «أخذ العهد من بني تغلب أن لا يصبغوا أولادهم، أي لا يلقّنونهم النصرانية، لكن يدعونهم حتى يبلغوا فيختاروا لأنفسهم ما شاؤوا من الأديان»[٢].

نعم رووا نفس هذه الرواية عن عمر أنّه صالح بني تغلب في حياته على أنّ لا ينصّروا صبيانهم، وأن يدفعوا ضعف ما يدفعه المسلمون من الصدقة، حيث ينقل ابن حزم في المحلّى[٣] عن طريق هشيم، «عن المغيرة بن مقسم، عن السفّاح ابن المثنى، عن زرعة بن النعمان أو النعمان بن زرعة أنّه كلّم عمر في بني تغلب

(١) خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي: ص١٤١٥.

(٢) تفسير الطبرسي، تفسير آية: ١٣٨.

(٣) المحلّى لابن حزم: ج٢ م(٧٠١).

وقال له: إنّهم عرب يأنفون من الجزية، فلا تعن عدوّك بهم، فصالحهم عمر على أنّ اضعف عليهم الصدقة واشترط عليهم أن لا ينصّروا أبناءهم».

والكلام في هذه الرواية هو عين الكلام عن الرواية السابقة حيث ذكرت تنصير الأبناء فضلاً عن الحكم في تضعيف الصدقة من قبل عمر عليهم، وهذا ما تفرّد به عمر ولم يقل به أحد قبله، حيث خالف صريح القرآن بقوله:

﴿حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [1].

وخير ما قرأت في ردّ حديث عمر المتقدّم هو قول ابن حزم في المحلى: «هذا كلّ ما موّهوا به، وهدموا به أكثر أصولهم، لأنّهم يقولون لا يقبل خبر الآحاد الثقات التي لم يجمع عليها فيما إذا كثرت فيه البلوى، وهذا أمر تكثر فيه البلوى ولا يعرفه أهل المدينة وغيرهم، فقبلوا فيه خبراً لا خير فيه، وهم قد ردّوا بأقلّ من هذا خبر الوضوء من مسّ الذكر، ويقولون لا يقبل خبر الآحاد الثقات اذا كان زائداً على ما في القرآن أو مخالفاً له، وردّوا بهذا حديث اليمين مع الشاهد وكذبوا ما هو مخالف لما في القرآن، ولا خلاف للقرآن أكثر من قوله تعالى:

﴿حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

فقالوا: هم إلاّ بني تغلب فلا يؤدّون الجزية ولا صغار عليهم، بل يؤدّون الصدقة مضاعفة عليهم، فخالفوا القرآن والسنن المنقولة كافة بخبر لا خير فيه، وقالوا: لا يقبل خبر الآحاد الثقات اذا خالف الأصول، وردّوا بذلك خبر القرعة في الأعبد الستة، وخبر المصراة، وكذّبوهما مخالفين للأصول بل هما أصلان من كبار

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

الأصول، وخالفوا هاهنا جميع الأصول في الصدقات، وفي الجزية بخبر لا يساوي بعرة، وتعللوا بالاضطراب في أخبار الثقات، وردّوا بذلك خبر لا تحرم الرضعة ولا الرضعتان وخبر قطع إلاّ في ربع دينار فصاعداً، وأخذوا هاهنا بأسقط خبر وأشدّه اضطراباً، لأنه يقول مرّة عن السفّاح بن مطرف، ومرّة عن السفاح بن المثنى، ومرّة عن داود بن كردوس أنّه صالح عمر على بني تغلب، ومرّة عن داود بن كردوس عن عبادة بن النعمان أو زرعة بن النعمان أو النعمان بن زرعة أنّه صالح عمر، ومع شدّة الاضطراب المفرط فإنّ جميع هؤلاء لا يدري أحد من هم من خلق الله تعالى؟

وكم قضيّة خالفوا فيها عمر ككلامه مع عثمان في الخطبة ونفية الزنا، وإغرامه في السرقة قبل القطع، وغير ذلك.

وقد صحّ عن عمر بأصحّ الطرق ـ من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن الحكم بن عيينة، عن إبراهيم النخعي، عن زياد بن حدير قال: أمرني عمر بن الخطاب أن آخذ من نصارى بني تغلب العشر، ومن نصارى أهل الكتاب نصف العشر، قال أبو محمد: فكما لم يسقط أخذ نصف العشر من أهل الكتاب الجزية عنهم، فكذلك لا يسقط اخذ العشر من بني تغلب أيضاً الجزية عنهم، وهذا أصحّ قياس لو كان شيء من القياس صحيحاً فقد خالفوا القياس أيضاً، ثمّ لو صحّ وثبت لكانوا قد خالفوه، لأنّ جميع من رووه عنه أولهم عن آخرهم يقولون كلّهم: إنّ بني تغلب قد نقضوا تلك الذمة فبطل ذلك الحكم، ورووا ذلك أيضاً عن علي عليه السلام فخالفوا عمر وعليا والخبر الذي احتجّوا به والقرآن والسنن، في أخذ

الجزية من كلّ كتابي في أرض العرب، وغيرها كهجر واليمن وغيرهما فعل الصحابة والقياس، ونعوذ بالله من الخذلان»[1].

فقد ثبت فيما تقدّم أنّ في هذه الرواية وأمثالها من المخالفات ما لا يمكن بأيّ حال من الأحوال قبوله، نعم ربّما تكون الرواية التي رواها ابن الشهيد الكربلائي داود بن كردوس هي الأقرب إلى الواقع، والمتماشية مع حكم رسول الله في أن لا يصبغوا أولادهم، وأن يأخذ منهم الجزية لا الصدقة.

وبهذا يقول السيد مرتضى العسكري في معالم المدرستين، وهو يتحدّث عن خطبة لأمير المؤمنين ذكرها بعد تولّيه الحكم بعد الخلفاء الثلاثة، وشكواه بأنّهم خالفوا سنناً لرسول الله فأخذ الإمام في الحديث عنها بشكل مفصّل، وإنّه حاول أن يرجع الأمور إلى سابق عهدها، كما هي في زمن رسول الله، فكان أن عدّد فيما عدّد «**وسبيت ذراري بني تغلب**»[2].

يقول في الهامش عن عبارة الإمام التي ذكرها «لأنّ عمر رفع عنهم الجزية، فهم ليسوا بأهل ذمة، فيحلّ سبي ذراريهم، كما روي ذلك عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «إنّ بني تغلب من نصارى العرب، أنفوا واستنكفوا من قبول الجزية، وسألوا عمر أن يعفيهم عن الجزية ويؤدّوا الزكاة مضاعفة، فخشي أن يلحقوا بالروم، فصالحهم على أن صرف ذلك على رؤوسهم وضاعف عليهم الصدقة»[3].

---

(١) المحلّى: ج٢ مسألة (٧٠١).

(٢) معالم المدرستين: ج٢ ص٣٥٣.

(٣) الهامش رقم: ٨ معالم المدرستين: ج٢ ص٣٥٣.

بنو تغلب ودولة الحمدانيين

والعجيب في هذا الأمر أنّ هذه القبيلة التي كانت عصيّة وأبت الدخول في الإسلام إلاّ قليلاً منها تحولت بعد ذلك وبشكل طوعي إلى قبيلة طابعها العامّ هو الإسلام، وليس هذا فقط، بل والولاء لأهل البيت، حيث عرفوا بعد ذلك بأنّهم من الشيعة، بل واستطاعوا أن ينشئوا دولة عرفت بدولة الحمدانيين أو ما يعرف بالدولة الحمدانية في الموصل وحلب.

وبالاتّفاق ينتسب الحمدانيون إلى تغلب حينما تحوّلوا في نهاية القرن الثالث إلى مسلمين، ويذكر حسن إبراهيم حسن في كتابه(١) «إنّه: اضطرّ قسم كبير من بني تغلب إلى الهجرة، فهاجروا إلى البحرين، وبقي جزء منهم في الجزيرة وبلاد العراق، وهذا القسم هو الذي قاد لواء اليقظة الفكرية والسياسية في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع، والذي ترأس هذه اليقظة هم بنو حمدان من تغلب».

ولا يشكّ كذلك أحد في أنّ هذه الدولة كانت شيعية موالية لأهل البيت عليهم السلام، ولقد ظهر مثل هذا الأمر واضحاً من خلال هجرة العلماء الشيعة اليها، إضافة إلى أنّ سيف الدولة ضرب على سكّة الدينار لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، علي وليّ الله، فاطمة، حسن، حسين، وجبرئيل.

ويقول ابن النديم(٢): «كان الحمدانيون شيعة ولكن في غير غلوّ، وكان سيف الدولة نفسه يتشيّع، فغلب على أهل حلب التشيع».

---

(١) تاريخ الإسلام: ج٣ ص١٢٢.

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب لابن النديم: ج١ ص١٣٤.

ويقول المتنبي:

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له ... خير الخلائق والأنام سميّ

أو ما ترى صفّين كيف أتيتها ... فانجاب عنها العسكرُ الغربيّ

فكأنّه جيش ابن حربٍ رُعْتَهُ ... حتى كأنّك يا عليّ عليّ(١)

حين كان اسم الخليفة الحمداني علي بن أبي الهيجاء، وكان شيعياً يطرب اذا شُبِّهَ بعلي بن أبي طالب.

ثمّ أنّ أبا فراس الحمداني، الشاعر الكبير المعروف، كان يدلّل في شعره على أنّه شيعي واثنا عشري، مع أنّ الذي ربّاه وهو طفل وعلمه من خلال اختيار معلّم له، هو سيف الدولة الحمداني.

وربما من هنا بالذات نستطيع أن نفسر وجود التشيّع في حلب وفي مصر(٢)، كذلك كما يؤكّد على ذلك دائرة المعارف الشيعية(٣)، وكذلك كتاب حلب والتشيّع.(٤)

ولقد كان للدولة الحمدانية الدور الكبير في ازدهار الثقافية الإسلامية في حلب وغيرها، من خلال نبذ التعصّب المذهبي، وتشجيعهم على العلم والفكر، وبخاصة من قبل سيف الدولة، والتضحيات والمواقف المشرّفة التي كانت للحمدانيين في تصدّيهم للروم.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) من خلال الدولة الكبيرة التي أقيمت هناك والتي سمّيت بالدولة الفاطمية، تيمّناً بالزهراء.

(٣) دائرة المعارف الشيعية: ج٤ ص٥٧.

(٤) ص٨٧.

مواقف الشهيد في صفّين

الموقف الأول: ونلمح للشهيد موقفاً عظيماً كبيراً يدلّ على وعي وبصيرة نافذين، حيث كانت الأمور واضحة والمحجّة بيّنة عنده، فنلمح له موقفاً في وقت عصيب في فتنة كبيرة، وذلك حينما رفعت المصاحف من قبل جيش معاوية بن أبي سفيان من خلال مكيدة عمرو بن العاص الشهيرة، وما أن رفعت المصاحف فوق الرماح حتى انقسم القوم إلى قسمين قسم ماجوا وقالوا: اكلتنا الحرب وقتلت الرجال، وقال قوم آخرون: نقاتل على ما قاتلناهم عليه بالأمس، ولكن كان أصحاب هذا القول هم الأقلّ، ثمّ رجعت حتى هذه القلّة عن قولها ومالت إلى الموادعة، وعندها قام أمير المؤمنين وقال: «إنّه لم يزل أمري معكم على ما أحبّ، إلى أن أخذت منكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوّكم فلم تترك، وإنّها فيهم أنكى وأنهك، ألا إنّي كنت بالأمس أمير المؤمنين، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهيّاً، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون» فأيّ غيور لا يشعر في قلبه الحسرة والأسف حين سماعه لهذه الكلمات وهو يرى الشخصية الأولى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله تعيش كلّ هذا الحزن والإحباط بعد فشل مشروعه الكبير الذي أراد من خلاله حفظ كرامة الأمّة واسترداد عزّتها وهيبتها ومجدها، وإذا بها لا تقبل إلاّ الهوان ولا ترضى إلاّ بالذل وهي تجنح إلى السلام المهين مجبرة وقد مدّت يد الصلح إلى يد طالما قطعت أوصال الاسلام إربا إربا، وهم يعلمون ذلك، ولكن ويالالأسف كانوا لا يحملون إرادة كافية تجعلهم يقفون موقف الصلب المدافع، واذا بعلي بن أبي

طالب يجلس وفي ذلك الوقت بالذات وهو يرى التخاذل قد وصل إلى أعلى درجاته ممّا دعاه إلى الرضوخ للأمر الواقع فقد أكلت الحرب وأخذت الكثير، ولم يعودوا قادرين حتى على رفع السيف فضلاً عن المقاتلة به، وبعد أن جلس أمير المؤمنين متألّماً قام رؤساء القبائل، يقول ابن مزاحم، في قعة صفّين:

خطبة الشهيد كردوس في صفين

فأمّا ربيعة، وهي الجبهة العظمى، فقام نيابة عنها الشهيد الكربلائي العظيم كردوس بن هاني فقال: «أيّها الناس، إنّا والله ما تولّينا معاوية منذ تبرّأنا منه، ولا تبرّأنا من علي منذ توليناه، وإنّ قتلانا لشهداء وإن أحياءنا لأبرار، وإنّ علياً لعلى بيّنة من ربّه ما أحدث إلاّ الانصاف، وكلّ محقّ منصف، فمن سلّم له نجا ومن خالفه هلك»[1].

وهذا النصّ الكريم من الشهيد الكربلائي يبيّن نقاطاً مهمّة في ظرف هامّ ومهمّ، حيث يتحدّث عن الولاء للحقّ والبراءة من الباطل، وإنّ هذا المفهوم العظيم قد اختمر في ذهنه وراح يطبّقه في حياته ضمن ما يرى من مصاديق، وها هو يرى الحقّ الذي يقول عنه رسول الله «**علي مع الحقّ، والحقّ مع علي**»، وينادي ويستغيث من أجل نصرته، فيقف إلى جانبه، ويرى الباطل متمثّلاً بمعاوية والذي جاء يريد أن يفتك، هو ومن قبله أبوه وبنوه من بعده، بالإسلام، بل ونبيّ الإسلام.

ويأبى الشهيد إلاّ أن يقف مع الحقّ ضدّ هذا الباطل، وقد كشف الشهيد عن

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ص٤٨٥.

مدى وعيه لهذا المبدأ ومدى تشخيصه لمصاديقه الخارجية بقوله: «إنّا ما تولّينا معاوية منذ تبرّأنا منه» وهذه إشارة إلى البراءة من الباطل ومن أهله والمنتسبين اليه حتى ولو رفعوا شعار الحقّ ظاهراً ليموّهوا على الناس.

ثم أشار بقوله «**وما تبرّأنا من علي منذ أن تولّيناه**» إلى مبدأ الولاية التي أُمرنا بالتمسّك بها مهما كانت الظروف والأحوال، لأنّ بها وفيها ومن خلالها يحفظ الإسلام والدين بمبادئه وقيمه التي أراد الله أن ينشرها بين الناس، وقد شخصت هذه الولاية من قبل الشهيد الكربلائي في صفّين بعلي بن أبي طالب ومن بعده بالحسن المجتبى ومن بعده بالحسين الشهيد بكربلاء حيث انتهت حياته بين يديه.

ثم يقول: «**وإنّ قتلانا لشهداء**» لأنّهم أصحاب الحقّ، وأصحاب الحقّ دائماً هم الشهداء عند ربّهم حتى لو لم يستشهدوا، فإنّهم الأبرار الصدّيقون.

ثمّ يؤكّد على حقيقة مهمّة وهي قوله «**وإنّ علياً على بيّنة من ربّه**» يعني أنّ علياً لم يتحرّك لهوى ولم يتحرّك بدوافع عصبية أو جاهلية أو لوجود حسّاسية بينه وبين معاوية، وإنّما هي مواقف الإسلام ومواقف الرسالة التي وقفها قبل علي رسول الله صلى الله عليه وآله في تصدّيه للمشركين والمنافقين، ومصداقاً لقوله تعالى على لسان النبي صلى الله عليه وآله:

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾[1].

ومن ثم فإنّ حركة علي لا تريد لهذه الأمة إلاّ تحقيق العدالة وحفظ

(١) سورة هود، الآية: ٢٨.

الحقوق، ولذلك يقول «**ما أحدث إلاّ الإنصاف**» وبما أنّ كلّ محقّ منصف، فإذاً هو لا يبالي بالجموع، وعلينا نحن كذلك أن لا نبالي بكثرة أهل الباطل اذا كنا نعيش الوعي والبصيرة، فلماذا إذاً كلّ هذا الخذلان.

ثمّ يختمها بقوله: «فمن سلّم له نجا، ومن خالفه هلك وفي الآخرة عذاب الله والخزي»

حضور الشهيد كردوس الاجتماعي

ولا شكّ أنّ الشهيد الكربلائي بوقوفه نيابة عن ربيعة وهي القبيلة العصيّة وصاحبة المنعة ليكشف وبشكل قاطع مدى حضوره الاجتماعي الكبير بين قومه، بل في المجتمع ككلّ. فلمّا بلغ معاوية مقالة كردوس لقومه تألّم ألماً شديداً، لعلمه أنّ ربيعة لها دور كبير في القتال، حتى أنّه لينقل عن معاوية قوله: «ما لقيت من أحد ما لقيت من ربيعة» وهنا ينقل التاريخ لنا أبياتاً من الشعر تكشف عن صلابة هذا الرجل ودوره في صفّين:

لن يهلك القوم ان تبدى نصيحتهم ... إلّا شقيقٌ أخو ذهلٍ وكردوس

وابن المعمّر لا تنفكّ خطبته ... فيها البيان وأمر القوم ملبوس

أمّا حريثٌ فإن الله ضلّله ... إذ قام معترضاً والمرء كردوس

طأطأ خضينٌ هنا في فتنةٍ جمحت ... إنّ ابن وعلة فيها كان محسوس

منّوا علينا ومنّاهم وقال لهم ... قولاً يهيج له البزل القناعيس

كلّ القبائل قد أدى نصيحته ... إلّا ربيعة رغم القوم محبوس[1]

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ص٤٦٨.

وقال شاعر آخر وهو النجاشي:

إنّ الأراقم لا يغشاهم بوسٌ ... ما دافع الله عن حوباء كردوس

نمته من تغلب الغلبا فوارسها ... تلك الرؤوس وأبناء المرائيس

لن تدركوا الدهرَ كردوساً وأسرته ... أبناء ثعلبة الحادي وذو العيس

ويقول خالد بن المعمر:

شقيقٌ وكردوس ابن سيّد تغلب ... وقد قام فيها خالد بن المعمّر[١]

٢ـ وهناك موقف آخر للشهيد في صفّين يكشف عن مدى حبّه للإمام وتمسكه به مهما كانت الظروف، وذلك في الوقت الذي قام فيه عمرو بن العاص وتكلم وقال: إنّ هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية في الخلافة، فإنّه وليّ عثمان والطالب بدمه وأحقّ الناس بمقامه، فقال أبو موسى: مالك قد غدرت وفجرت، إنّما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال عمرو: إنّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنّعه بالسوط، وحمل على شريح ابن عمرو فقنّعه بالسوط، وقام الناس فحجزوا بينهم فكان شريح يقول: ما ندمت على شيء ندامتي إلاّ أكون ضربت عمرواً بالسيف بدل السوط ولكن أتى الدهر بما أتى به. والتمس أصحاب عليعليه السلام أبا موسى فركب ناقته ولحق بمكّة، وكان ابن عباس يقول: قبّح الله أبا موسى، لقد حذّرته وهديته إلى الرأي فما عقل، يقول نصر: ورجع عمرو إلى منزله في دومة الجندل فكتب إلى معاوية:

---

(١) نفس المصدر.

أتتــــك الخلافــــة مزفوفــــةً هنيئــــاً مريئــــاً تقــــرّ العيونــــا

فلمّا سمع الشهيد كردوس بذلك قام مغضباً وقال أبيات تـدلّ علـى حرصـه على الإسلام والإمام:

ألا ليت من يرضى من الناس كلّهم بعمــرو وعبــد الله في لجّــةِ البحــر

رضـينا بحكـم الله لا حكـم غـيره وبــالله ربّــاً والــنبيّ وبالــذكر

وبالأصــلع الهــادي علــيٍّ إمامنــا رضينا بذاك الشيخ في العسر واليسر

رضــينا بــه حيّــاً وميتــاً وإنّــه إمام هدىً في الحكم والنهي والأمرِ

فمــن قــال لا قلنــا بلــى إنّ أمــره لأفـضل مـا نعطـاه في ليلـة القـدر

ومــا لابــن هنــدٍ بيعــةٌ في رقابنــا ومــا بيننــا غــير المثقّفــةِ الــسمر

وضــربٌ يزيــل الهــام عــن مــستقرّه وهيهـات هيهـات الرضـا آخـر الـدهر

أبــت لــي أشــياخ الأراقــم ســبّه أُســبّ بهـا حتـى أُغيّـب في القـبر[1]

ويا لها من أبيات عظيمة قد حوت علماً ومعرفة وتجربـة وسـلوكاً وشـجاعة في أعلى مستوياتها، فهنيئاً للشهيد وعيه، فإنّ أمثـال هـؤلاء هـم الـذين حفظـوا لنـا الإسلام ونقلوه الينا صحيحاً معافى، وهؤلاء هم القدوات التي دعينـا للاقتـداء بهـم والسير على نهجهم، ولهذا وفّقه الله إلى أن يكون أحد الشهداء العظام فـي معركـة الطفّ العظيمة، وما أحوجنا في وقتنا هذا إلى أن نعيش الوعي والبصيرة في مذهبنا وديننـا ونحـن نـرى ونـسمع ونقـرأ ونلمـس الخنـاجر تتـرى فـي خاصـرة المـوالين والمسلمين من داخلنـا وخارجنـا لتـسقيط هـذا المـذهب العظـيم وتـدمير الإسـلام وتشويه صورته.

---

(١) وقعة صفين/ ص٥٤٨.

ما أحوجنا إلى أن نكون على قدر المسؤولية فنبذل قصارى جهدنا كلٌّ بحسبه؛ العالم بعلمه، والمؤمن بسلوكه، والشابّ بوعيه، والمرأة بالتزامها، وهكذا، ولا نسقط تحت تأثير شبهات هؤلاء المغرضين الذين يتربّصون بنا وبأمّتنا الدوائر، أولئك الذين يصدق عليهم أنّهم خفافيش الظلام التي لا يمكن أن تعيش في النور أبداً.

إنّنا في الوقت الذي نستذكر سيرة هذا الشهيد العظيم في صفّين، إنّما نريد أن نوصل رسالة إلى كلّ المنصفين، بل والغيارى جميعاً مفادها أنّكم إذا ما أردتم أن تكونوا من المؤمنين، من ذوي البصائر فعليكم أن تفهموا هذا الشهيد وتقرأوه جيّداً، وتعرفوا ما قدّم من أجل نصرة الحقّ حتى تتأسّوا به.

الموقف الثالث: ولنسمع له نصّاً آخر قاله في صفّين: «يا أهل العراق لا يهدّئنّكم ما ترون من رفع المصاحف فإنّها مكيدة» يقول لهم شخّصوا كما شخصت أنا الموقف بدقّة، وانظروا بعين البصيرة لا البصر، ستجدون أنّها لعبة ومكيدة منهم لأنّهم لا يعرفون من القرآن شيئاً، ولو علموه ووعوه لما قاتلونا وما خالفونا.

مع الشهيد في رواياته

لقد حوت كتب المسلمين الكثير من الروايات التي نقلها لنا الشهيد الكربلائي، وفي علوم شتّى، ممّا يدلّل على مدى اطّلاعه وحفظه، وهنا نذكر هنا بعض تلك الروايات:

أولا: ينقل ابن سعد في الطبقات[١] عن كردوس التغلبي، عن زوجة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه سمعها قالت: «إنّ آل محمد لم يشبعوا ثلاثة أيّام متوالية من طعام برّ حتى مضى النبي إلى سبيله». وفي رواية أخرى «أنّه كان يأتي على آل محمد شهر لا نخبز فيه. قلت: يا أمّ المؤمنين، ممّا كان يأكل رسول الله؟ فقالت لنا: إنّما هو التمر والماء».

هكذا كان رسول الله وهكذا كان أهل بيته مثله، لأنّهم أكثر الناس معرفة به واتّباعاً له، كان رسول الله يجعل نفسه يعيش أدنى مستوى يمكن أن يعيشه إنسان مسلم في مجتمعه، فيواسيه بجوعه وعطشه، ولذلك نجد أنّ النبي قد حمل آلام الناس وآمالها لأنّه عاش معهم وعاش كلّ ما يحسّون ويشعرون به، فكان يتقطّع ألماً على كلّ فقير وجائع ومحتاج ومسكين ويتيم، ولقد قال في حقّ اليتيم: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار إلى إبهامه وسبابته**»[٢]. وقد تعلّم أهل بيته ذلك منه، فقد ربّاهم المصطفى صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على هذا ودرجوا عليه، فخرجوا إلى الدين وهم أكثر الناس مواساةً وإحساناً للفقراء والجائعين، كانت العيون تنام وعيونهم ساهرة من أجل أن يوصلوا لقمة العيش لمن لا يملك خبزاً يسدّ به رمقه ورمق أولاده، ولا أراك تحتاج إلى ذكر قصص علي عَلَيْهِ السَّلَامُ والحسن والحسين وزين العابدين وبقية الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في هذا المجال، والتي ملأت كتب الفريقين في خروجهم عليهم السلام ليلاً وحمل الأكياس المملوءة بالطعام إلى فقراء المدينة وغيرهم.

---

(١) ابن سعد في الطبقات: ص١٨٣.

(٢) صحيح مسلم: ج١٤ ص٢٤٧.

فهذه الرواية من الشهيد الكربلائي تحملنا مسؤولية الشعور بالآخرين، وان لا نغمض جفوننا وحولنا أكباد جائعة تحنّ إلى لقمة من الخبز، وكذلك تحمّل المسؤولية الكبرى قائد الأمة وتدعوه إلى أن يعيش أحوال الفقير وآلامه؛ حينما ينظر اليه يشعر بالألم والحسرة، يستشعر الفقير أنّ هناك من يواسيه ويبذل الكثير من أجله، ولقد قال علي عليه السلام كلمته الرائعة حينما سأله الأحنف بن قيس حينما رآه قد ختم الكيس الذي فيه كسيرات من خبز الشعير: لم تختمه يا أمير المؤمنين؟ قال: «أخشى أن يضع عليه أحد هذين الغلامين الحسن والحسين شيئاً من السمن فقال: سيدي، أمحرّم عليكم هذا؟ قال: لا، ولكن هكذا ينبغي على أئمّة المسلمين أن يساووا ضعاف رعيّتهم حتى لا يتبيّغ بالفقير فقره».[1]

ثانياً: ينقل الدارمي في سننه[2] قائلاً: أخبرنا يزيد بن هارون، حدّثنا شعيب عن كردوس عن عبد الله قال: «إنّ للقلوب لنشاطاً وإقبالاً، وإنّ لها لتولية وإدباراً، فحدّثوا الناس ما أقبلوا عليكم».

هذه الرواية التي رواها لنا الشهيد الكربلائي، عن صحابي مثله وعى مفاهيم الشريعة، وهضم أحاديث رسول الله، فأخذت تخرج من فمه كالدرر والجواهر، ففي الحديث قاعدة تربوية عظيمة المعاني والآثار في مجال التعليم والوعظ والإرشاد، حيث تشير إلى أنّ هذه القلوب التي تحملها تعيش إقبالاً على الله وتوجّها اليه، فتحصل نتيجة لذلك حالة نشاط وحيوية يعيشها ويشعر بها الإنسان،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١١ ص٣٢.

(٢) سنن الدارمي: ص٤٤٨.

فينطلق من خلالها للعبادة وللقراءة وطلب العلم، بل وحتى للوعظ وللإرشاد، وللتبليغ عن الله ورسوله؛ وقد تعيش القلوب حالة من حالات الإدبار والتولّي، ويحصل نتيجة لها ضعف في النشاط الحيوي للإنسان، فتراه يفتر في عبادته وعلمه ووعظه وتبليغه ودعوته إلى الله سبحانه وتعالى.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ حالات الإدبار والتولية التي تعيشها قلوبنا أحياناً، إنّما هي من أجل تنبيهنا إلى نعمة وسعادة التوجّه والإقبال وأهمّيته، والتي مرّت بنا ولم نعرف قدرها لأنّ السعادة لا تعرف إلاّ إذا فُقدت فتأتي الحكمة الإلهية التي تريد أن تعرّفنا حلاوة التوجّه ولذة الإقبال من خلال فقدانها أحياناً، وكلنا يشعر بوجدانه أنّه كلّما كان إقبال قلبه أكثر، كان نشاطه الروحي أكثر.

وهنا تأتي القاعدة التربوية التي تقول: إنّك ينبغي عليك أنّ تستغلّ هذه الفرصة وهذا الإقبال في نفسك فتستفيد منها استماعاً وإلقاءً، واذا حصل أن صار العكس، فعليك أن لا تكلّف نفسك أكثر ممّا تتحمّل، ولكن اصبر حتى تزول ثمّ عد إلى حركتك من جديد، لتجعل منها وقت راحة لتستعدّ للحركة القادمة.

وهذا ما يحتاجه الداعي والمربّي في حركته، ويفيدنا هذا الحديث كذلك أنّ المربّي والداعي الذي يجد إقبال الناس عليه، هنا يأتي فيقول له عليك أن تستثمر هذا الإقبال بأن تقبل عليهم وتحدّثهم ولا تتركهم، وتقدّم لهم ما يعود عليهم بالفائدة في دينهم ودنياهم، وإذا رأيتهم أدبروا فأوقف كلّ شيء حتى تعالج نقاط الضعف التي رأوها فيك، والشهيد الكربلائي حينما يروي لنا هذا الحديث فإنّما يكشف لنا عن نفائس العلوم والنظريات في شتّى المجالات، والتي

تحتاج منّا إلى بذل الجهد والوقت لاستخراجها والتزوّد منها.

ثالثاً: روى الشيخ الصدوق وابن حجر[١]، عن كردوس، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من أحيا ليلتي العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» وهذا الحديث ورد في كتب الفريقين في فضل ليلة النصف من شعبان، وكذلك ليلتي العيد، بل ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ علياً كان يعجبه أن يفرّغ نفسه أربع ليال من السنة؛ أول ليلة من رجب، وليلة النحر، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان»[٢].

فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّ في ليلتي العيد وصبيحتيهما تتمّ عملية قطف الثمرات وأخذ الجوائز، بعد العمل الشاقّ الذي قدّمه المؤمنون في صيام شهر رمضان وفي أداء مراسيم الحجّ وأعماله، حتى ورد في الروايات عن سعيد بن أوس الأنصاري عن أبيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطريق فنادوا اغدوا يا معشر المسلمين إلى ربٍّ كريمٍ يمنّ بالخير ثمّ يثيب عليه الجزيل، لقد أُمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربّكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى منادٍ ألا إنّ ربّكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهو يوم الجائزة، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة»[٣].

(١) ثواب الأعمال: ص٧٧، الاصابة: ج٥ ص٥٨٠.

(٢) فضائل الأشهر الثلاثة، للشيخ الصدوق: ص٤٦.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ج١ ص٢٢٦.

ومن هنا نعرف أنّ إحياء هاتين الليلتين إنّما هو إشارة إلى أنه ينبغي للانسان المؤمن أن يعيش حالة الترقّب لما سوف يؤول اليه أمره عند الله، فهل يكون من أصحاب اليمين وممّن ستكون جائزته الجنّة والعتق من النار أم لا؟ وهذا بحدّ ذاته يدعو الإنسان إلى أن يعود إلى الله ويلتمس منه غفران الذنوب التي لم تغفر، والتجاوز عن التقصير الذي مضى، هذا كلّه في خصوص هاتين الليلتين، وأما ليلة النصف من شعبان، فقد ورد في بعض الروايات أنّ التقدير للإنسان من رزق وأجل وعطاء وما شاكل ذلك، كلّه يكتب له ويقدّر من خلال لية النصف من شعبان، وأمّا في ليلة القدر فيكون فيها الإمضاء[1]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على فضل هذه الليلة وارتباط مصير كلّ فرد منا فيها بشكل كامل، ومن ثم لا ينبغي التهاون فيها وعدم الاهتمام بها، وعليه فينبغي على كلّ فرد منّا أن يستثمر كلّ ساعة فيها، بل وكلّ دقيقة، من أجل تقديم الأفضل، من أعمال عبادية وإخلاص وتوجّه، حتى يكون ذلك ذخيرة صالحة له؛ للتقدير الذي يتناسب معها، ومثل هذا الأمر لا يتمّ إلاّ من خلال إحيائها ومن هنا يتّضح أهمّية الحديث الذي ورد عن الشهيد الكربلائي في التأكيد عليها كما تقدّم.

رابعاً: روى ابن كثير في تفسيره[2] عند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ ﴾[3].

(١) وللمزيد يراجع كتاب إقبال الأعمال، للسيّد ابن طاووس الحسيني: ج٣ ص٤٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ص٥١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥١.

عن الشهيد الكربلائي، عن ابن مسعود قوله: مرّ الملأ من قريش على رسول الله وعنده خبّاب وصهيب وبلال وعمّار فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء؟ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير معك تبعاً لهؤلاء؟ أطردهم فلعلّك إن طردتهم أن نتّبعك، فنزل قوله تعالى:

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ ﴾.

وورد في رواية أخرى، عن الشهيد، عن ابن مسعود قوله: فنزلت:

﴿ وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [1].

هكذا ينقل الينا الشهيد الكربلائي كيف عانى رسول الله من قومه، كيف أرادوا له أن يترك الفقراء والمساكين ويتوجّه اليهم فقط لأنّهم أصحاب الأموال والجاه والحظوة ولكنّه أبى إلاّ أن يبقى معهم ويثبت من أجلهم، وباعتقادي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لو سمع قولهم وطرد تلك الثلّة المؤمنة واتّجه إلى أصحاب الغنى والأموال، لما كانت عقيدته لتأخذ كلّ هذا المدى وتعطي كلّ هذا الأثر.

ويبدو أنّ هذا هو المنهج نفسه الذي قد اتّبعته الأقوام السابقة مع أنبيائها، حيث ينبّئنا القرآن بخبرهم ويقول عن لسانهم:

﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ [2].

وهذا دليل على أنّ الأنبياء ما كانوا ليتّبعهم سوى من عاش الألم والمعاناة

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٧.

في حياته، وأمّا المترفون فكانوا يقفون بوجوههم، لخوفهم على جاههم وسلطانهم الفارغ من كلّ محتوى إنساني؛ يقول القرآن الكريم:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾[1].

وكأنّ الحديث الذي رواه لنا الشهيد الكربلائي يريد أن يقول لنا جميعاً: لا تستوحشوا من قلّة أتباع الحقّ ولا تحتقروهم، فهم الذخيرة الحقيقية في السماء والأرض، وهم اللبنة الأساسية لتغيير المجتمعات، وأمّا غيرهم فزَبَدٌ لا قيمة له.

خامساً: روى الشهيد الكربلائي قال: أخبرني رجل من أهل بدر أنّه سمع النبيصلى الله عليه وآله يقول: «لئن أقعد في مثل هذا المجلس أحبّ إليّ من أن أعتق أربع رقاب» قال شعبة: أيّ مجلس تعني؟ قال: كان قاصّاً[2].

الشهيد خطيباً وواعظاً

لقد ذكر كل من ترجم لهذا الشهيد وتحدّث عنه أنّه كان قاصّاً في الكوفة، ومعنى ذلك أنّه كان واعظاً وخطيباً، ولا ريب أنّ من يتصدّى للوعظ والإرشاد واعظا به في مسجد الكوفة، أو الكوفة بشكل عامّ، لابدّ أنّه قد امتلك من الخصائص النفسية والعلمية والثقافية ما يؤهّله لأن يقوم بهذا النشاط الاجتماعي الكبير، فضلاً عن التزامه وورعه وتقواه، وقد عبّرت عنه الروايات بأنّه كان يقرأ الكتب (يعني للأديان السابقة) على أساس أنّه كان بالأصل مسيحياً مثقّفاً، ثمّ

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٤.

(٢) مسند أحمد: ج٣ ح١٥٣٣٥.

تحوّل إلى الإسلام، وبقي على طريقته في طلب العلم ونشره، حيث تحوّل بعد دخوله الإسلام إلى منبر لنشر العلوم الإسلامية والأخلاقية.

سادساً: روى الشهيد الكربلائي عن رسول اللهﷺ قوله: «لا يقتطع رجل مالاً إلاّ لقي الله يوم القيامة وهو أجذم»[١]، وهذه الرواية تشير إلى حرمة الأموال وخطرها في نفس الوقت، حيث إنّ اقتطاع جزء بسيط من مال الآخرين يعني إنّك ستلقى الله أجذم، يعني أنّ هناك جزءاً من جسمك وجسدك سيقطع عوضاً عن ذلك المال الذي اقتطعته من أخيك بلا وجه حقّ، ولقد وردت في هذا الحديث قصّة ذكرها المؤرخون قال المزي في تهذيب الكمال «حدثنا كردوس التغلبي عن الأشعث بن قيس الكندي، وهي أنّ رجلاً من كندة ورجلاً من حضرموت اختصما إلى النبي في أرضٍ باليمن، فقال الحضرمي: يا رسول الله، أرضي اغتصبها أبو هذا (وهو يشير إلى الكندي) فقال للكندي: ما تقول؟ قال: أقول: إنّ أرضي في يدي ورثتها من أبي. فقال للحضرمي: هل لك بيّنة؟ قال: لا، ولكن يحلف بالذي لا إله إلاّ هو، ما يعلم أنّها أرضي اغتصبها أبوه، فتهيّأ الكندي للحلف، عندها قال رسول اللهﷺ: "لا يقتطع الرجل مالاً إلاّ لقي الله به أجذم" فردّها الكندي»[٢]. وممّا يستفاد من الحديث أنّ البيّنة على المدّعي، واليمين على المدّعى عليه اذا أنكر.

وبه استدلّ من يقول إنّه اذا اعترف المدّعي أنّه لا بيّنة له لم يقبل دعواه بعد

---

(١) المزي في تهذيب الكمال: ص١٠٢١.

(٢) تهذيب الكمال للمزي: ص١٠٢١.

ذلك، ورد بأنّه ليس فيه حجّة على ذلك، لأنّ الأشعث لم يدّع بعد ذلك أنّ له بيّنة، وفيه ـ أي وفي الحديث ـ: أنّ للحاكم أن يطلب من المدّعى عليه عند عدم البيّنة وإن لم يطلبه صاحب الحقّ، لأنّ النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أمره بالحلف، وفيه كذلك: إبطال مسألة الظفر، لأنّه ردّده بين البيّنة واليمين، فدلّ على عدم الأخذ بغير ذلك.[1]

سابعاً: روى الشهيد الكربلائي عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّه قال: «يوم عرفة اليوم الذي يعرف فيه الناس»[2].

يوم عرفة هو اليوم التاسع من شهر ذي الحجّة، وهو يوم الوقوف بأرض عرفات، وهو أحد مناسك الحجّ، وللإنسان أن يقول عرفة، كما له أن يقول عرفات، لأنّها جمع عرفة.

وقد اُختلف في تسميته إلى أقوال، منها: أنّه من العرف بمعنى الرائحة الزكية، لأنّ فيها تصبح رائحتها منتشرة بشكل كبير لكثرة الذبح.

ومنها أنّ العباد يتعرّفون على ربّهم بالطاعات والعبادات.

ومنها الصبر، لأن العِرْف المعروف هو الصبر.

ومنها أنّ الله بعث جبرئيلعَلَيْهِالسَّلَامُ إلى إبراهيمعَلَيْهِالسَّلَامُ فحجّ به حتى اذا أتى عرفة قال: عرفت، وكان قد أتاها مرّة قبل ذلك. ومنها أنّ آدم وحواء تعارفا بعد الهبوط إلى الأرض عليه.

ومنها قول الشهيد الكربلائي؛ «لأنّ الناس يجتمعون به فيتعارفون، وفي

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، باب الخصومة في البئر والبقاء فيها.

(٢) تهذيب الكمال للمزي: ص١١٤٤.

الرواية عن أهل البيتعليهم السلام أنّ جبرئيل قال لإبراهيمعليه السلام: هناك اعترف بذنبك واعرف مناسكك، فلذلك سمّيت عرفة».[1]

أبناء الشهيد

لم تحدّثنا الروايات عن عدد أبناء الشهيد، ولكنّهم ذكروا بأنّ للشهيد ولداً كبيراً اسمه داود، ويبدو أنّه كان من الشخصيّات المهمة والعلمية في حياة أبيه، ولقد ترجم له جملة من العلماء والمحدّثين، حتى أنّهم يروون أنّه قال: كنت أنا الوسيط في الصلح الذي جرى بين الخليفة الثاني عمر وبين بني تغلب (قبيلة الشهيد الكربلائي) حينما أرادوا أن يلحقوا بالروم.[2]

شهادته

لقد بقي الشهيد بعد رسول الله يعيش على مضض، وهو يرى بأمّ عينيه كيف يُغتصب حقّ أصحاب الحقّ الإلهي، ومن وصّى بهم رسول الله ويُبعدون عن أماكنهم التي وضعهم الله بها. وليس هذا فقط وإنّما تجهّز الناس من أجل القضاء عليهم، حتى وصل الأمر إلى سيّد الشهداء فأصبحت الدنيا لا تساوي عنده شيئاً إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد.

ولئن أحجم التاريخ عن ذكر مواقف كردوس وحركته في داخل الكوفة مع مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وغيرهما، فإنّ الأحداث والمواقف التي حملها لنا التاريخ عن الرجل في موقفه مع الحسينعليه السلام في الطفّ، لا تدع لنا مجالاً

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص١٩٦.

(٢) رواه البيهقي: ج٩ ص٢١١ ح١١٥١٩.

للشكّ في أنّ الشهيد كانت له بطولات رائعة وصولات عظيمة، ولكنّ التاريخ قد أسدل الستار عليها، ولقد بقي الشهيد في داخل الكوفة متخفّياً عن أعين الظالمين، مطارداً من مكان إلى مكان، إلى أن وصل الحسين إلى كربلاء، فتسلّل اليه ليلاً ومعه أخواه قاسط وعبد الله، ولم يلبثوا حتى تقدّموا بين يديه، واذا بهم شهداء مضرّجين بالدماء في الحملة الأولى، ولئن كانت الشهادة بين يدي الحسين شرفاً فلقد حاز هؤلاء الشهداء على شرف مضاعف حينما جاءهم التسليم من قبل الإمام المهدي في زيارته للشهداء قائلاً: «السلام على قاسط وكردوس ابني زهير التغلبي ورحمة الله وبركاته».

الشهيد بشر بن عمرو الحضرمي الكندي عليه السلام

لقد تميّزت حياة هذا الشهيد العظيم بجملة من الخصائص نحن بأمسّ الحاجة اليها خصوصاً في هذا الزمن الذي كثرت فيه الأعذار الزائفة والحجج الواهية التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي يراد من خلالها التخلّي عن التكليف الشرعي، كما سيتبيّن ذلك لنا في طيّات حديثنا عن الشهيد.

واحدة من هذه الخصائص التي تميّز بها هذا الشهيد الكربلائي دون غيره، هو أنّه بقي هو وسويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي آخر رجلين مع الحسين، من أصحابه، قبل أن يبدأ أهل البيت عليهم السلام بالبراز والقتال كما ذكر ذلك الطبري[1]، والشيخ شمس الدين[2]، والسيد الخوئي[3]، وغيرهم.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٣٢.

(٢) أنصار الحسين للشيخ شمس الدين: ص٧٧.

(٣) معجم رجال الحديث: ج٣ ص٣١٤.

أسرة الشهيد

الشهيد بشر بن عمرو الحضرمي الكندي يرجع في الأصل إلى حضرموت، وهذا يعني أنه من اليمن، ومن عرب الجنوب تحديداً، وسوف نرى ونحن نتحدّث عن شهداء كربلاء أنّ هناك عدداً كبيراً منهم يرجع أصله إلى اليمن وإلى عرب الجنوب بشكل خاصّ، حتى لقد شكّلت هذه الظاهرة والتي يمكن أن نعبّر عنها بالظاهرة اليمنية في أنصار الحسين أمراً يستحقّ أن يدرس وأن يسلّط عليه الضوء، لأنّ في ذلك إبرازاً وبياناً لمعادن هذه الصفوة من المؤمنين، وكشف ما تمتلك من قدرات وقابليّات أخلاقية ووراثية كانت من جملة أسباب التوفيق ونيل السعادة في الدارين، ولذلك نحاول أن نسلّط الأضواء وبشكل سريع على هذه الظاهرة اليمنية في أنصار الحسين.

عرب الجنوب وعرب الشمال

وفي البداية يجب أن نعرف أنّ مصطلح عرب الجنوب يقابله مصطلح عرب الشمال، وكلاهما يرجع إلى اليمن ولكنّ عرب الجنوب تميّزوا عن الآخرين بأنّهم:

أولاً: هم أصل اللغة العربية بل هم لبابها، كما يؤكّد على ذلك علماء اللغة واصحاب الاختصاص، حيث يذكرون أنّ العرب ينقسمون إلى قسمين أساسيّين:

١. العرب العاربة، وهم عرب الجنوب، وينسبون إلى قحطان، وموطنهم الأصلي هو اليمن، وهؤلاء كانوا يتكلّمون اللغة العربية بالأصل.

٢. العرب المستعربة، وهم عرب الشمال، ويعبّر عنهم بعدّة تعابير مثل:

العدنانيون، والنزاريون، والمعديون، وينسبون إلى عدنان.[(١)]

ثانياً: إنّ عرب اليمن حينما دخلوا إلى الإسلام، وخصوصاً عرب الجنوب منهم، بعد أن دعاهم علي بن أبي طالب إلى الإسلام ودخلوا فيه، وقفوا إلى جانبه ولم يفارقوه، كهمدان والأزد وغيرهم، وكانت مواقفهم معه بمنتهى الشهامة حتى أنّ الإمام أمير المؤمنين مدحهم في أكثر من موقف، وخصوصاً همدان حينما قال فيهم:

دعوتُ فلبّاني مِنَ القومِ عُصْبَةٌ ... فوارسُ مِن همدانَ غيرُ لِئامِ

لِهمدانَ أخلاقٌ كِرامٌ تَزينُهُمْ ... وبأسٌ إذا لاقوا وحَدٌّ خِصامِ

وجِدٌّ وصِدقٌ في الحروبِ ونَجْدَةٌ ... وقولٌ إذا قالوا بغيرِ أثامِ

متى تأتِهِمْ في دارِهم تَستضيفُهُمْ ... تَبِتْ ناعِماً في خِدمةٍ وطَعامِ

جَزَى اللهُ همدانَ الجِنانَ فإنّها ... سُمامُ العِدى في كلِّ يومِ زُحامِ

فلو كنتُ بوّاباً على باب جنّةٍ ... لقلتُ لهمدانَ ادخلوا بسلامِ[(٢)]

فكأنّها أرادت من خلال مواقفها المبدئية مع علي عليه السلام أن تردّ له هذا الجميل الذي صارت هي بسببه في زمرة المسلمين، ومن هنا نجد التفاني في أعلى درجاته في اليمنيين بشكل عامّ، وخصوصاً عرب الجنوب منهم، وربّما هذا هو الذي يفسّر لنا معنى تلك النصائح التي أسداها عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية للحسين حينما أراد الخروج من المدينة إلى العراق، بالذهاب إلى اليمن،

---

(١) للمزيد يراجع كتاب تاريخ العرب في الجاهلية وفي عصر الدعوة الاسلامية د. رشيدة الجميلي: ص٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥/ ص٢١٧.

وعلّل ذلك كما عند بعض العلماء، لبعد اليمن، ولوجود شيعة وموالين له ولأبيه، كما في مقتل الحسين للخوارزمي[(١)]، ومروج الذهب للمسعودي[(٢)]، وربما هذا هو الذي يفسّر لنا كذلك ما ورد في بعض الروايات من أنّ أحد أركان ثورة الإصلاح العالمي الذين يظهرون في آخر الزمان ويكونون مع الإمام المهدي هو اليماني، بمعنى أنّه سيكون كذلك من تلك المنطقة بالذات، ومن هنا نجد أنّ مؤشّرات مشاركة هؤلاء دون غيرهم واضحة جلية للعيان، بل إنّ هذه الظاهرة اليمنية تجسّدت بعد كربلاء كذلك، حينما خرجت نساء همدان وكهلان وربيعة والنخع (عرب الجنوب) متظاهرات على تنصيب عمر بن سعد والياً على الكوفة بعد مقتل الحسين عليه السلام، وهنّ يقلن: «أما رضي بعمر بن سعد بقتل الحسين حتى أراد أن يكون أميراً علينا في الكوفة، فبكى الناس وأعرضوا عن عمر بن سعد»[(٣)].

وكانت هذه الظاهرة اليمنية هي السبب في عدم تولّي ابن سعد إمارة الكوفة.

وقد يقول قائل

وقد يقول قائل وما معنى ذلك كلّه ولم يشارك من عرب الجنوب العدد الكافي والذي يتناسب مع كلّ ما يذكر من مواقف وكلمات؟

في الحقيقة إنّ هذا السؤال مهمّ للغاية، وقد أرّقتني الإجابة عليه، ولكن وبعد

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ ص١٨٧.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٦٤.

(٣) أنصار الحسين لشمس الدين: ص١٩٩.

بذل الجهد الذي استمرّ لفترة ليست باليسيرة، وصلت إلى قناعة من خلال النصوص والوثائق إلى أنّ هؤلاء كانوا من سادات القوم ورؤساء العشائر، ولهذا كانوا قادرين على السيطرة على الموقف لو قدر للثورة أن تنتصر، وتمكنوا من الاستيلاء على الحكم، وكانوا قادرين إذا لم يتح لهم النصر ـ كما حدث في الواقع ـ أن يفجّروا طوفاناً من الغضب ضدّ الحكم المنحرف في قلوب جماهير غفيرة من الناس، وأن يضعوهم على طريق الوعي الحقيقي، وأن يجعلوا منهم جمهوراً يغذّي الثورات باستمرار، وهذا ما حدث في الواقع»[1]. وربما كان لأجل ذلك كلّه أن حصلت ردّة فعل عند السلطة الأموية آنذاك كبيرة جداً، ربما وصلت إلى درجة الهستيريا في التعامل مع هؤلاء الثوّار، حيث قطع رأس مسلم بن عقيل ورمي بجسده إلى الأرض، وجرّ هاني بن عروة في الأسواق، ورمي بجسد عبد الله بن يقطر من أعلى القصر، وهكذا قيس بن مسهر الصيداوي، بل حتى قطع الرؤوس الشريفة لشهداء كربلاء وحملها على أطراف الأسنّة والدخول بها وهي معلّقة عليها إلى المدن، وأولها الكوفة، إنّما كان لأجل إدخال الرعب على قلوب الكوفيّين الذين يرتبطون مع هؤلاء بصلة قبلية وعشائرية وإيمانية من أن يتّخذوا نفس الموقف لأنّ النتائج سوف تكون كهذه النتائج؛ رؤوس معلقة على الرماح، وأجساد ترضّها الخيول. ومن هنا نعرف لماذا كان أكثر في أنصار الحسين من عرب الجنوب وإن كان فيهم عدداً من عرب الشمال، ولكنّ الأغلب كانوا من عرب الجنوب، ومنهم هذا الشهيد الذي نتحدّث عنه.

---

(١) نفس المصدر: ص٢٠٢.

نسب الشهيد حضرمي أم كندي

وأمّا نسبة الكندي له فإنّ المؤرّخين يقولون إنّ عداده في كندة، يعني أنّه في الأصل ليس من كندة، ولكنّه جاء والتحق بها فعُدّ منها، وطبيعي أنّ كلّ قبيلة لا ترضى أن يدخل إليها غريب ويحسب منها إلاّ من خلال شروط وأسباب يذكرون منها مثلاً التحالف، بأن يحصل بينها وبين الشخص الذي يرغب في الدخول إليها تحالف، مثل ما حصل للمقداد بن الأسود الكندي، فمع أنّه ليس من كندة ولكنّه عُدّ منها، نتيجة تحالف حصل فيما بينه وبينهم[١]. وقد ينتقل شخص من مكان إلى مكان آخر ويعيش مع قبيلة أخرى، ولكونه شخصية علمية أو اجتماعية كبيرة فلا تمانع القبيلة في ذلك، ومن ثم ينسب اليها، وهناك أسباب أخرى ربّما يطول شرحها.

وغرضنا من ذلك كلّه ان نقول إنّ الشهيد الكربلائي لم يكن من كندة، وإنّما عُدّ منها، وإلّا فهو من حضرموت؛ إمّا هي المدينة التي عرفت واشتهرت في اليمن، وإمّا من بني حضرموت، فخذ من الظبي من يافع إحدى قبائل اليمن[٢] وعلى كلا التقديرين فإنّ الرجل يُعدّ من عرب الجنوب كما بيّنا.

نقطة مضيئة

في حياة هذا الشهيد الكربلائي العظيم جملة من النقاط المهمة التي تمثّل إضاءات يستضيء بها المؤمنون، ولكن هناك نقطة مهمة جداً في حياته، والتي لها

---

(١) الصحابي المقداد بن الأسود لمحمد علي أسير: ص١٥ ـ ٢٨.

(٢) أنصار الحسين لشمس الدين: ص٧٨.

آثارها الكبيرة على حياتنا لما تحمل من مضامين عالية وقيم سامية ودروس في المحبّة والعشق لله ولرسوله ولأئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث أتيح لهذا الشهيد الكربلائي أن يغادر كربلاء بعذر مقبول من قبل الإمام الحسين عليه السلام ولكنّه أبى إلاّ المشاركة والشهادة بين يدي الحسين، فما هذا العذر وما قصّة ما حدث؟

يقول المؤرّخون[1]: عندما أقبل ليل العاشر من المحرّم، وبعد سقوط قرص الشمس، جاء أحدهم برسالة إلى بشر بن عمرو الحضرمي بعد ان سأل عنه، فقال له: لقد أُسر ابنك في ثغر الريّ وهو يجاهد مع المسلمين هناك من أجل دحر الفرس الذين كانوا يحاولون منذ أن فتحت الري سنة ١٧ للهجرة[2] أن يغزوها بين الفينة والأخرى، وعليه فيجب أن تتصرّف فقد أوصلنا اليك الخبر، وعند ما سمع الشهيد الكربلائي ذلك لم يشأ أن يخبر أحداً، ولكن يبدو أنّ الخبر وصل إلى الحسين عليه السلام فاستدعى الشهيد وقال له كما في تنقيح المقال: «**بلغني أنّ ولدك أسر في ثغر الري، فقال: سيّدي عند الله أحتسبه ونفسي، ما كنت لأحبّ ان يؤسر ولدي وأن أبقى بعده حيّاً، فقال له الحسين: رحمك الله، أنت في حلٍّ من بيعتي، فاعمل في فكاك رقبة ابنك. وقَدّم اليه الحسين خمسة أثواب وبرود قيمتها ألف دينار، فقال له: سيدي أبا عبد الله، أكلتني السباع إن أنا فارقتك واسأل عنك الركبان مع قلّة الأعوان، لا يكون ذلك ابداً**»[3].

---

(١) منهم السيّد ابن طاووس في اللهوف: ص٩٣ (بتصرف)؛ تنقيح المقال: ج١٢ ص٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٢) الكامل لابن الأثير/ج٢/ أحداث سنة ٢١هـ وقد ذكر فيها أقوالاً منها أنّ الفتح حصل سنة ١٨هـ و١٩هـ.

(٣) تنقيح المقال/ ج٢/ ص١٧٣.

ولنا إزاء هذا الموقف العظيم جملة من النقاط:

أولاً: إنّ الحسين عليه السلام قدّمَ إلى الشهيد الكربلائي قيمة الفداء أو ما يصلح أن يكون مساعداً له في مهمّته، وذلك لعلم الحسين أنّ الحكومة والدولة آنذاك متمثّلة بيزيد وبني أمية، لا تهتمّ بقضايا المسلمين المهمة، نعم هي مهتمّة بقضايا أخرى كالفسق والفجور والمجون والليالي الحمراء، وملاعبة القرود والفهود التي كان خليفة المسلمين يزيد بن معاوية مولعاً بتربيتها واللعب بها، هذه هي اهتمامات الدولة.

أمّا ما يعود بالخير على المسلمين ويقوّي شوكتهم ويرفع من معنوياتهم، كفكّ أسيرهم، فهو آخر ما يمكن أن يفكّروا فيه، وبعبارة أخرى أنّ الدولة لا تشعر بالمسؤولية أمام مواطنيها، فيما يعود عليهم بالخير ودفع الضرّ، لعدم صلاحيتها لذلك أصلاً، ولهذا قام الحسين بذلك، أو دعا إليه، وهذا بنفسه كاشف عن عدم شرعية هذه الدولة.

وإن كان بعضهم يحاول أن يحمل عمل الإمام في تقديم المال إلى الشهيد الكربلائي على أنّ هناك مفهوماً عرفياً يساعد على هذا الاحتمال، وهو أنّ الأسرة أو القبيلة أو العشيرة أو حتى الأصدقاء، يمكن أن يقدّموا عوناً للأسير في إطلاق سراحه، وأنا أعتقد أنّ هذا الاحتمال وإن كان مقبولاً، ولكن الاحتمال الأول يبقى هو السبب الأقوى في تقديم المال من قبل الإمام إليه.

ثانياً: ان توقيت الإذن بالانصراف من قبل الحسين عليه السلام جاء، كما تؤكّد على ذلك الروايات، غروب يوم التاسع من المحرّم (ليلة العاشر) وهذا يعني الكثير

بالنسبة إلى الشهيد الكربلائي، حيث إنّ كلّ المؤشّرات تدلّل على أنّ طبول الحرب قد دقّت، وأنّها صارت قاب قوسين أو أدنى، والدليل على ذلك أنّ الحسين عليه السلام طلب تأجيل الحرب من يوم التاسع من المحرّم إلى يوم العاشر منه، وأن يُمهل تلك الليلة من أجل العبادة وقراءة القرآن والاستعداد للقاء الله تعالى. ومن هنا، ومن هذه النقطة بالذات، يستطيع الشهيد الكربلائي أن يغادر كربلاء بعذر مشروع، بعد أن تأكّد للجميع أنّه موطّن نفسه على الشهادة، حيث أنّ الشهيد قد بقي إلى جانب الحسين بعد إعلان الحرب وتأكُّدها، ومضى على ذلك وقت ليس بالقليل، فكان باستطاعته الخروج من كربلاء دون أن يشكّ أحد بأنّه جَبُن أو آثر الحياة الدنيا أو شيء من هذا القبيل.

وأنا على يقين بأنّ الحسين عليه السلام كان جادّاً في إعطائه هذا الإذن وتقديم هذه الرخصة له، وليس كما يقول بعضهم بأنّه كان يريد اختباره وبيان حقيقة ما يفكّر فيه وينوي فعله، لأنّ قول الإمام حجّة تبيح له عذراً شرعياً ـ وهو الأهمّ ـ يجيز له الخروج من كربلاء، ولكنّه أبى إلاّ ترك هذه الرخصة وهذا الإذن، وأبى إلاّ الجهاد والشهادة بين يدي أبي عبد الله الحسين، وكأنّي بلسان حاله يقول: اذا كان لي أن أخرج من كربلاء برخصة شرعية وبدون ملامة عرفية، فإنّي سأخسر خيراً لا يقاس به كلّ خير، ولا يمكن أن أحصل عليه بعد اليوم مهما عشت؛ سأخسر شهادة دعا رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أكثر من ٦٠ سنة إلى الاستعداد لها، ومن ثم فإنّي وفق هذه المقاييس ينبغي أن أقدّم كلّ هذه الامتيازات التي سوف أحصل عليها على هذا الإذن وهذه الرخصة.

وهـذه فـي تقـديري خـصلة مهمـة وأساسـية يتميّـز بهـا هـذا الـشهيد العظـيم تستحق التأمّل، وسيأتينا في بقية الشهداء أنّ هناك شهيداً آخر كان له عذر شـرعي ولكنّه أبى إلاّ الشهادة والجهاد والدفاع عن الحسين عليه السلام، فـنحن نقـرأ فـي تـاريخ الطفّ أنّ هناك الشيخ الكبير الذي سقط عنه التكليـف بالجهـاد، الـذي حينمـا رآه الحسين شادّاً بطنه بقطعة قماش ورافعاً حاجبيه بعصابة بكـى وقـال: رحمـك الله يـا شيخ[1]، ونقرأ كذلك في كـربلاء أنّ هنـاك الـصبي الـذي لـم يبلـغ الحلـم، وكـان التكليف ساقطاً عن أمثاله، وقد قال له الحسين: بني ارجع إلـى أمّـك إنّـي لا أحـبّ أن أجمع عليها عزاءين في آن واحد[2]، ولكنّه أبـى إلاّ الـشهادة، وأيـضاً أنّ هنـاك الأعـرج الـذي أبـى إلاّ أن يطأ بعرجتـه الجنـة[3]، وهكـذا آخـرون ممّـن شـملتهم الرخصة، بل إنّ هناك رخصة عامّة تشمل جميع شهداء كربلاء، وهو قول الحسين وخطابه لهم ليلة العاشر من المحرّم حينما قال:

«هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي[4] ...الخ».

بل قد وجدت في بعض الروايات أنّ بين شهداء كربلاء من كان عليه دين، وكان مأذوناً على أساس ذلك أن يخرج لأداء دينه، ولمّا سـمع الحـسين بـه التفـت إلى مناديه فنادى بأن لا يقاتل معي من عليه دين، كما في الرواية عـن موسـى بـن

(١) وهو الشهيد أنس بن الحرث بن كاهل الأسدي (رض).

(٢) هو الشهيد عمرو بن جنادة الأنصاري (رض).

(٣) هو الشهيد مسلم بن كثير الأزدي (رض).

(٤) أدب الطفّ ج١/ ص١٢٠.

عمر عن أبيه، أنّ الحسين أمرني أن أنادي ليلة عاشوراء «أن لا يقتل معي رجل وعليه دين» ثمّ قال الحسين:

«فإنّي سمعت جدّي رسول الله يقول: من مات وعليه دين أخذت حسناته يوم القيامة»[١].

وهذا لا يعني بالطبع عدم إمكان الجهاد أصلاً، وإنّما يجب عليه أن يقدّم وفاء الدين ثمّ بعد ذلك يأتي إلى الجهاد لكي لا يخسر حسناته يوم القيامة، ومع كلّ هذا كان هذا الشهيد قد رتّب أمره وعيّن من يقوم مقامه في أداء دينه، ولمّا سمع كلام الحسين وأنّه يريده بالذات، قال له: سيّدي أبا عبد الله، إنّ عليَّ ديناً وقد ضمنته لي زوجتي، فقال له الحسين عليه السلام:

«وما ضمان امرأة».

وهنا إشارة إلى عدم القدرة غالباً عند المرأة مثل هذه الأمور، وربّما كانت هذه زيادة من الراوي، خصوصاً وقد نقل الذهبي[٢] مضمون الرواية هذه عن أبي الجحّاف، عن أبيه، عن رجل، أنّ الحسين قال له:

«لا يقتل معي رجل وعليه دين».

من دون هذه الزيادة «وما ضمان امرأة»، وعلى كلّ تقدير فقد كان هناك شهيد كربلائي يملك مسوّغاً شرعياً بالخروج من كربلاء لأداء الدين، ولكنّه أبى إلاّ أن يرتّب أمر الدين، ويرفض العمل بهذه الرخصة الشرعية.

---

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام / ص٤١٧.

(٢) سير اعلام النبلاء: ج٣ ص، المصنف لأبي شيبة: ح٣٠٥٩١.

ظاهرة رفض الاعذار الشرعية في أصحاب الحسين عليه السلام

إذن نحن في كربلاء أمام ظاهرة رفض الأعذار الشرعية، والمسوغة للخروج من ساحة المعركة، ومن قتال لا هوادة فيه، ومن موت لا ريب فيه. في الحقيقة وأنا أقرأ هذه الروايات وأجمع وأستقرئ المواقف حول هذا الشهيد وما يرتبط به، جاءت في ذهني الآيات الشريفة في سورة التوبة وفي غيرها، والتي تتحدّث عن فئة لا تملك عذراً مشروعاً ومع ذلك كانت تقدّم الأعذار لرسول الله صلى الله عليه وآله من أجل أن تتخلّف عن الجهاد، ويتحدّث كذلك عن فئة أخرى كانت تقدّم أعذاراً مشروعة ومقبولة من أجل البقاء في بيوتها، فقلت في نفسي: ما اعظم أصحاب أبي عبد الله، أولئك الذين كانوا يملكون أعذاراً مشروعة ويأذن لهم الحسين عليه السلام ويأبون إلاّ الشهادة بين يديه، وحتى يتبيّن لك عظمة هؤلاء وجلالة قدرهم أذكر هنا بعض الآيات التي تتحدّث عن هذا الموضوع، حيث يخبرنا القرآن الكريم في سورة التوبة عن أولئك المعذّرين:

﴿ وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [١].

يقول السيّد الطباطبائي في الميزان: «الظاهر أنّ المراد بالمعذّرين هم أهل العذر، كالذي لا يجد نفقة ولا سلاحاً، بدليل قوله:

﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﴾.

والسياق يدلّ على أنّ في الكلام قياساً لإحدى الطائفتين على الأخرى،

---

(١) سورة التوبة آية ٩٠.

لِيُظهر به لؤم المنافقين وخسّتهم وفساد قلوبهم وشقاء نفوسهم، حيث إنّ فريضة الجهاد الدينية والنصرة لله ورسوله، هيّج لذلك المعذّرين من الأعراب وجاؤوا إلى رسول الله (النبي) يستأذنونه، ولم يؤثّر في هؤلاء الكاذبين شيئاً»[(١)].

ويقول مفسر آخر: «وقرأ الجمهور المعذّرون بالتشديد ففيه وجهان أحدهما أن يكون أصله المعتذرون فأدغمت التاء في الذال، وهم الذين لهم عذر، ومنه قول لَبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

فالمعذرون على هذا هم المحقون في اعتذارهم ... والمعنى: أنه جاء هؤلاء من الأعراب بما جاءوا به من الأعذار بحقٍ أو بباطل على كلا التفسيرين لأجل أن يأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالتخفيف عن الغزو، وطائفة لم يعتذروا، بل قعدوا عن الغزو لغير عذر، وهم منافقو الأعراب الذين كذبوا الله ورسوله ولم يؤمنوا ولا صدقوا، ثم توعدهم الله سبحانه، فقال:

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾.

أي من الأعراب، وهم الذين اعتذروا بالأعذار الباطلة، والذين لم يعتذروا، بل كذبوا الله ورسوله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي كثير الألم، فيصدق على عذاب الدنيا وعذاب الآخرة»[(٢)]. لعلّ الضمير يعود إلى الأعراب الذين جاء ذكرهم في نطاق الحديث عن المعذّرين، وبذلك نفهم من الآية أن الله قد أعطى العذر للفئة الأولى

---

(١) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي، تفسير الآية ٩٠ من سورة التوبة.

(٢) تفسير فتح القدير للشوكاني: ج١ ص٥٩٠ ـ ٥٩١.

ولم يعذر الفئة الثانية في موقفها، لأنّها تمثّل الموقف المعاند والجاحد المتمرّد، فأنذرهم بأنّهم سيصيبهم عذاب اليم؛ إذن نحن أمام أعذار مشروعة ومقبولة، وقد قبلها ربّ العالمين ولم يعلّق عليها شيئاً، بل الوعد الوعيد إنّما جاء لأولئك الذين لم يؤمنوا أصلاً بالله ورسوله.

بينما نجد في أصحاب الحسين من كان له عذر مقبول ومأذون له من قبل الإمام وبشكل مباشر وجهاً لوجه، ومع ذلك لم يرضَ لنفسه أن يأخذ بهذه الرخصة، ومن ثم تميّز على أصحاب الفئة الأولى فضلاً عن الآخرين.

ومن هنا نعرف معنى حديث الحسين عليه السلام عن أصحابه:

«ما رأيت أصحاباً أوفى وأبرّ من أصحابي»[1].

والذي منهم الشهيد بشر بن عمرو الحضرمي، الذي رفض عرض الخروج من كربلاء وقال للحسين: «عند الله أحتسبه ونفسي». وهي عبارة عظيمة تكشف عن الكثرة من المعاني العظيمة، وتنمّ في نفس الوقت عن وعي وبصيرة وفهم، حيث يريد أن يقول: اذا كان ولدي قد أسره الكافرون، فإنّي أعيش الآن كذلك الأسر، ولكن على يد ظالمي هذه الأمّة وغاصبيها، ومن ثم فكلانا يواجه مصيره، وعليه يجب أن نؤدّي تكليفنا الشرعي مهما كلّف الأمر، محتسبين صابرين على الأذى في جنب الله تعالى، ولهذا قال: «عند الله أحتسبه ونفسي».

وقد يقول قائل: ألست أباً؟ ألا تعيش في نفسك ما يعيشه الآباء من عاطفة تجاه أبنائهم؟ وكأنّي بالشهيد الكربلائي قد تنفّس الصعداء ووقعت دمعة من

---

(١) أمالي الشيخ المفيد: ص٣١٩.

عينيه، ثمّ أدار وجهه إليهم وقال:

«ما كنت لأحبّ أن يؤسر ولدي وأن أبقى بعده حيّاً».

وكأنّه يريد ان يرد على من يفكّر بمثل هذا التفكير، وهذا في تقديري حال كلّ والد تجاه ولده، وكلّ أب تجاه ابنه اذا كان من الأسوياء، ولكن في نفس الوقت هناك حبّ آخر علينا أن نفكّر فيه كما فكر فيه الشهيد وكأنّي بلسان حاله يقول: إنّ في قلبي حبّين؛ حبّاً لولدي، وحبّاً لابن بنت رسول الله، وعليّ أن أقدّم حبّ ابن بنت رسول الله على حبّ ولدي، وهذا مفهوم إسلامي عظيم، ومصداقه صريح القرآن الكريم يقول في سورة التوبة:

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[١].

يقول الشيخ محمد مهدي الآصفي، بعد ذكره لهذه الآية الكريمة: «فلا ينهى الله تعالى عن حبّ الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر ما لم يعادوا الله ورسوله، ولا ينهى عن حبّ المال والتجارة والمساكن ما لم تكن من حرام، وإنّما ينهى أن يكون حبّ هذه الأمور أقوى وأشدّ عند المؤمن من حبّ الله ورسوله وجهادٍ في سبيله»[٢].

(١) سورة التوبة، آية ٢٤..

(٢) كتاب الدعاء: ص٢٢٩.

وفي الروايات الكثيرة ما يؤكّد على أنّ محبّة الإنسان لنبيّه ولأهل بيت نبيّه يجب أن تكون أشدّ من محبّته لولده وأهل بيته، وهنا أودّ أن أنقل هذه القصّة المعبّرة، والتي ينقلها الشيخ الآصفي عن الشيخ حسن البنّا في كتابه «مذكّرات الدعوة والداعية»[1]، يقول الشيخ حسن البنّا: «رزق الله الشيخ شلبي أحد مشايخ مصر في العرفان والأخلاق، بنتاً في مرحلة متأخّرة من عمره، فولع بها الشيخ ولعاً شديداً وشغف بها حتى كاد لا يفارقها إلى أن كبرت، وكان يزداد حبّاً لها كلّما شبّت وكبرت، ولقد زاره الشيخ البنّا مع جمع من أصحابه في إحدى الليالي بعد انصرافهم من موكب فرح، انطلقوا فيه من دار قرب دار الشيخ شلبي في ليلة عيد ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد عودتهم جلسوا مع الشيخ شلبي قليلاً، ولمّا أرادوا الانصراف قال لهم الشيخ بابتسامة رقيقة لطيفة: إن شاء الله غداً تزورونني لندفن روحية. وروحية هذه وحيدته التي رُزقها بعد إحدى عشرة سنة من زواجه، وكان لا يفارقها حتى في عمله، وقد شبّت وترعرعت، وأسماها روحية لأنّها كانت تحتلّ منه منزلة الروح، يقول البنّا: استغربنا وسألناه: متى توفيت؟ فقال: اليوم قبيل المغرب، فقلنا: ولماذا لم تخبرنا فنخرج من منزل آخر بموكب التشييع؟ فقال: وما الذي حدث؟ لقد خفّف عنّا الحزن، وانقلب المأتم فرحاً، فهل تريدون نعمة من الله أكبر من هذه النعمة؟! وانقلب الحديث إلى درس تصوّف يلقيه الشيخ ويعلّل وفاة كريمته بغيرة الله على قلبه؛ فإنّ الله يغار على قلوب عباده الصالحين أن تتعلّق بغيره، أو أن تنصرف إلى سواه، واستشهد بإبراهيم عليه السلام وقد تعلّق قلبه بإسماعيل

---

(١) نفس المصدر: ص٢١٨ ـ ٢١٩.

فأمره الله أن يذبحه، ويعقوبعليه السلام اذ تعلّق قلبه بيوسف فأضاعه الله منه عدّة سنوات، ولهذا يجب أن لا يتعلّق قلب العبد بغير الله تعالى وإلّا كان كاذباً في دعوى المحبّة، وساق قصّة الفضيل بن عياض وقد أمسك بيد ابنته الصغرى فقبّلها فقالت له: يا أبتاه أتحبّني؟ فقال: نعم يا بنية، فقالت: والله ما كنت أظنّك كذّاباً قبل اليوم! فقال: وكيف ذلك؟ وبم كذبت؟ فقالت: ظننت أنّك بحالك هذه مع الله لا تحبّ معه أحداً! فقال: بعد أن بكى: يا مولاي، حتى الصغار قد اكتشفوا رياء عبدك الفضيل. وغيرها من الأحاديث التي كان الشيخ شلبي يحاول أن يسرّي بها عنّا ويُسَكّن ما لحقنا من ألم لمصابه، وخجل لقضاء هذه الليلة عنده، وانصرفنا وعدنا اليه في الصباح حيث دفنّا روحية، ولم نسمع صوت نائحة ولم ترتفع حنجرة بكلمة شكوى، ولم نرَ إلاّ مظاهر الصبر والتسليم لله العلي الكبير».

ومن هنا نجد أنّ شهيدنا الكربلائي قد سَما عنده حبّ ابن رسول الله حتى ما كاد ليشعر بحبّ ولده تجاه انشغاله بحبّ الحسينعليه السلام، وبهذا يقول له: «سيّدي أكلتني السباع إن أنا فارقتك»، وظلّ هذا الشهيد على هذا الثبات إلى آخر لحظة من لحظات حياته، حيث لم يبق معه إلاّ الضحّاك بن قيس المشرقي الذي ساوره حبّ الدنيا يوم العاشر من المحرّم فاختطف منه السعادة الأبدية، بينما تحرّك بشر بن عمرو الحضرمي إلى ساحات الوغى وملؤه الشوق إلى دخول الجنّة، وهنا درس لنا جميعاً، حيث إنّ الضحاك يقدّم لنا درساً في الضعف وعدم الثبات، بينما الشهيد الكربلائي يقدّم لنا درساً في الشجاعة واليقين والثبات رغم كلّ الظروف والأحوال، متأسّياً بإمامه الحسينعليه السلام الذي ثبتت قدماه في الأرض كالجبل الأشمّ، لا تحرّك منه الريح شيئاً، فسلام على بشر بن عمرو الحضرمي الكندي ورحمة الله وبركاته.

الشهيد يزيد بن زياد بن مهاجر الكندي

البهدلي أبو الشعثاء عليه السلام

بين يدي الشهيد

نعيش خلال هذه الوريقات نبذة من حياة مقاتلٍ فارسٍ، ثـمّ رامٍ ثـمّ راجلٍ، أبلى بلاءً حسناً يوم العاشر من المحرم بين يدي الحسينعليه السلام، حتى فاضت روحه الطاهرة وهو في أعلى درجات اليقين والثبات إنّه الشهيد أبو الشعثاء يزيد بن مهاجر الكندي البهدلي.

من هم بنو بهدلة؟

ولا نريد أن نتحدّث عن كندة هنا، فسيأتي الحديث عنها في طيّات هذا الكتاب، ولكنّنا سوف نتحدّث عن بني بهدلة، لنسلط الضوء على ما يملكون من خصائص وصفات في الجاهلية والإسلام. يقول القلقشندي:

«بنو بهدلة، بفتح الباء والدال المهملة واللام وسكون الهاء الأولى بطن من تميم، وهم بنو بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ثمّ قال وهم

بطن عظيم منهم الزبرقان واسمه الحصين بن بدر بن امرئ القيس»[(١)].

وأمّا الزبرقان، فيقول عنه ابن عبد البرّ:

«وفد على رسول الله في قومه وكان احد ساداتهم فأسلموا وذلك في سنة تسع فولاه رسول الله على صدقات قومه، وأقرّه أبو بكر وعمر على ذلك، وله في ذلك اليوم من قوله بين يدي رسول الله مفاخراً:

نحن الملوك فلا حيٌّ يقاومنا ... فينا العلاء وفينا تنصبُ البيعُ

ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا ... من العبيط إذا لم يونسِ القزعُ

وننحر الكوم[(٢)] عبطاً في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا

تلك المكارمُ حزناها مقارعةً ... إذا الكرام على أمثالها اقترعوا»[(٣)]

وحينما يتحدّث الزبرقان عن نفسه وقومه بهذا اللون من الاعتزاز والفخر القائم على أساس الأخلاق والمكارم، فلا شكّ أنّ الشهيد الكربلائي مشمول بقوله، لأنّ الشهيد والزبرقان كليهما ينتسبان إلى بهدلة، وربما كان الشهيد الكربلائي قد أدرك هذا الرجل، أو أنّ أباه قد أدرك هذا الرجل، فيكون قد تأثّر به من خلال أبيه.

فبنو بهدلة كانوا معروفين بمكارم الأخلاق، بل والجمال والحُسن كذلك، ولهذا يقال إنّ الزبرقان إنّما سمّي كذلك لأنّه كان جميلاً حسن الوجه، فشبّه بالقمر، لأنّ القمر يقال له زبرقان.

---

(١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: ص٩ ـ ١٠ رقم٦.

(٢) الكوم: جمع كوماء، وهو البعير الضخم السنام، يُنحر عَبطاً من غير علّة، والأرومة: الأصل.

(٣) الاستيعاب: ج١ ص١٠٤ ـ ١٦٧، الإصابة: ج٣ ص٣. أسد الغابة: ج١ ص٣٧٥.

ما قاله العلماء في الشهيد

١. قال السمعاني: «زياد بن يزيد بن مهاجر بن النعمان بن سلمة بن شجار بن بهدلة الكندي البهدلي، قتل مع الحسين بن علي»[١].

٢. قال البخاري: «يزيد بن مهاجر أبو الشعثاء الكندي، كنّاه محمد بن عبد الله بن نمير»[٢].

٣. قال أبو حاتم: «أبو الشعثاء الكوفي، روى عن ابن عمر وابن عباس. روى عنه أبو سنان الشيباني وسعيد بن سعيد التغلبي، قال سمعت أبي يقول: أبو الشعثاء الكندي اسمه يزيد بن مهاجر»[٣].

٤. قال السماوي: «كان يزيد رجلاً شريفاً شجاعاً فاتكاً، خرج إلى الحسين من الكوفة قبل أن يتّصل به الحرّ»[٤].

٥. قال الزنجاني: «يزيد بن مهاجر ـ حمل على القوم كحملة الأسد حتى قتل منهم خمسين رجلاً»[٥].

٦. قال شمس الدين: «يزيد بن زياد بن مهاجر أبو الشعثاء الكندي، ذكره الطبري وابن شهر أشوب والخوارزمي، والزيارة وفيها ابن المظاهر، صحفته بعض

---

(١) الأنساب للسمعاني: ج١ ص٤٢٠.

(٢) التاريخ الكبير: ح٣٣٤٢.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ج٩ ص٢٨٧ ح١٢٢١.

(٤) السماوي في أنصار الحسين: ص١٣٤.

(٥) وسيلة الدارين: ص٢١٥.

المصادر فقالت ابن مهاجر»[١].

٧. قال السيّد الأمين: «يزيد بن زياد بن المهاجر مهاصر الكندي، ويكنّى أبا الشعثاء...، وكان رامياً وكلّما رمى يقول له الحسين: اللهمّ سدّد رميته واجعل ثوابه الجنّة»[٢]

اسم الشهيد

ممّا سبق ذكره يُعلم أنّ اسم الشهيد قد ورد فيه اختلاف حيث ذكره السمعاني بزياد، والآخرون بيزيد.

وأيضاً ورد الاخلاف في اسم أبيه، حيث ذكره بعضهم وهم الأكثر بمهاجر، وبعضهم بمظاهر.

وأمّا نسبه «الكندي البهدلي» فيبدو أنّ هناك اتّفاقاً عليه من قبل العلماء، كما وأنّ كنيته «أبا الشعثاء» لم يرد فيها اختلاف عندهم. ولهذا نميل إلى ان اسمه رضي الله عنه هو يزيد بن مهاجر الكندي البهدلي رضي الله عنه.

مع الشهيد في روايته

لقد عُدَّ الشهيد الكربلائي واحداً من جملة الرواة الثقات الذين ترجم لهم العلماء، فقد عدّه ابن جرير الطبري واحداً من جملة رجاله الذين يعتمد عليهم في تفسير الآيات والأحكام الواردة فيها.

---

(١) أنصار الحسين لشمس الدين: ص١١١.

(٢) لواعج الأشجان للسيد الأمين: ص١٣٧.

وذكره ابن أبي حاتم في كتابه الجرح والتعديل، حيث ترجم له في موضعين، فقال في الأول: «يزيد بن مهاجر أبو الشعثاء الكندي، ثمّ قال: روى عنه أبو إسحاق الهمداني وأبو العنبس ويونس بن أبي إسحاق وأبو سنان الشيباني»(١).

ثمّ عاد فترجم له بقوله: «روى عنه أبو سنان الشيباني وسعيد بن سعيد الثعلبي. سمعت أبي يقول ذلك، ويقول لا يسمّى، وهو كوفي. قال علي بن المديني: أبو الشعثاء الذي روى عنه أبو إسحاق الهمداني ويونس بن أبي إسحاق وأبو العنبس وأبو سنان هو الكندي وليس هو سليم سمعت أبي يقول: أبو الشعثاء الكندي اسمه يزيد بن مهاجر»(٢).

كما وقد ذكره البيهقي في السنن من طريق عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الشعثاء(٣). كما وذكره علماء آخرون كابن أبي شيبة في المصنف(٤) وذكره التركماني في الجوهر النقي، وشمس الدين الذهبي في كتابه المقتنى في سرد الكنى(٥).

ومن هنا نفهم أنّ للشهيد الكربلائي شخصية علمية وثقافية مهمّة، جعلت العلماء يرجعون اليه في معرفة الدين وبيان حقائقه، وسوف نذكر بعض تلك الروايات التي رواها العلماء عنه:

---

(١) المصدر السابق: ج٢ ص٣٩١.

(٢) ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ج٤ ص٢٨٧، ج٤٢ ص٣٩١.

(٣) البيهقي: ج٥ ص١٨٩.

(٤) المصنّف: ج١ ص٥١٨.

(٥) المقتنى في سرد الكنى: ح٣٠٣٩.

الرواية الأولى: روى البيهقي بسنده قال: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو عمرو بن مطر، حدّثنا يحيى بن محمد، حدّثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا الشعثاء يقول: سألت ابن عمر عن لحم الصيد يهديه الحلال للحرام قال: كان عمر يأكله، قلت: إنّما أسألك عن نفسك أتاكله؟ قال: كان عمر يأكله، قلت: إنّما عن نفسك أتأكله؟ قال: كان عمر خيراً منّي»[(١)].

وروى هذه الرواية الطبري في تفسيره وابن أبي حاتم وابن أبي شيبة في المصنّف وآخرون بألفاظ مختلفة.

سؤال مهم حول الرواية

وأول ما يتبادر إلى ذهن القارئ والسامع لهذه الرواية هذا السؤال، أ إنّ سؤال الشهيد الكربلائي لابن عمر جاء لأجل أن يأخذ منه معالم الدين وأحكام الشريعة، كأيّ إنسان يبحث عن أجوبة لمسائله، كما يحثّ على ذلك القرآن الكريم بقوله:

﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[(٢)].

أم كان لأجل أن يطّلع على رأيه في هذه المسألة من دون أن يتّبعه فيه على أساسه؟ وهذا الأمر ربما يكون معمولاً به كثيراً، فربّ سائل يسأل في مسألة ما وهو يعلم جوابها، وإنّما أراد بسؤاله معرفة رأي المسؤول فيها لا غير.

وإلاّ فإنّنا أمرنا أن نأخذ الأحكام من رسول الله ومن أهل بيته، حيث ورد في

---

(١) البيهقي في السنن: ج٥ ص١٨٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣.

كتب الفريقين أنّهم سفن النجاة وأنّهم مدينة العلم وانهم مع الحقّ والحقّ معهم، بينما لم يرد مثل هذا في غيرهم.

نعم يُعمل برأي الغير اذا وافق رأي أهل البيت، وهذا أمر غير خافٍ على أحد، فعلماؤنا جميعهم يعملون برأي الراوي الثقة حتى ولو لم يكن إمامياً اذا كان رأيه موافقاً لرأي أهل البيت عليهم السلام، أمّا اذا ورد عن غيرهم كائناً من كان ما يخالف أهل البيت عليهم السلام في أيّ مسألة، فالمعوّل عليه هو حكم اهل البيت دون غيرهم.

قال الشيخ الطوسي كما يذكر ذلك المامقاني في تنقيح المقال: «من شرط العمل بخبر الواحد العدالة بلا خلاف»[١].

وقال السيّد محمد تقي الحكيم في الأصول العامّة:

«اعتبرت الشيعة الإمامية أخبار مخالفيهم في العقيدة حجّة اذا ثبت أنّهم من الثقات، وأسموا أخبارهم بالموثّقات»[٢].

ومن ثم يمكن لأيّ إنسان أن يأخذ أحكام دينه من أيّ مسلم راوٍ إذا لم يكن هناك ما يخالفه عند أهل البيت.

وعلى هذا الأساس تحرّك الشهيد الكربلائي مع عبد الله بن عمر، ومن ثم فلا يعني سؤاله إيّاه أخذ علوم الدين وأحكامه منه، وإنّما أراد أن يعرف رأيه في مسألة ما وقع الاختلاف فيها عندهم دون اهل البيت عليهم السلام، حيث اتّفقت كلمتهم عليهم السلام على تحريم لحم الصيد على المحرم حتى وإن صاده محلّ، والدليل على هذا ما يلي:

---

(١) تنقيح المقال: ج١ ص٧٣.

(٢) الأصول العامة: ص٢١٩.

تحريم لحم الصيد على المحرم

ألف: ذكر الحرّ العاملي في وسائل الشيعة[1] مجموعة من الروايات تحت عنوان كبير «تحريم أكل المحرم من صيد البرّ حتى القديد وإن صاده محلّ» وذكر تحت هذا الباب بعض الروايات أذكر منها اثنتين.

الأولى: «وعنه عن إبراهيم بن أبي سمال عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله قال:

لا تأكل شيئاً من الصيد وانت محرم وان صاده محلّ».

الثانية: «وبإسناده عن ابن أبي عمير وصفوان، عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله قال:

لا تأكل الصيد وأنت حرام وإن كان أصابه محلّ».

باء: ذكر الطبرسي في مجمع البيان في تفسير الآية الكريمة من سورة المائدة:

﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾[2]

فيقول:

«هذا يقتضي تحريم الاصطياد في حال الإحرام، وتحريم أكل ما صاده الغير. وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير، وقيل: إنّ لحم الصيد لا

---

(١) وسائل الشيعة: ص٤١٨ ح١٦٦٦٢ وح١٦٦٦٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٦.

يحرم على المحرم اذا صاده غيره، عن عمر وعثمان والحسن، ثمّ يقول: ويجب حمل الآية على الأمرين وتحريم الجميع»[١].

جيم: ما ذكره العلماء القدامى والمحدثون في هذه المسألة، في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد ذكر المحقّق الحلّي في شرائع الإسلام قوله في باب المحرّمات والمكروهات للمحرم: «**صيد البرّ اصطياداً وأكلاً ولو صاده محلٍّ**»[٢].

ومن العلماء المحدثين ذكر السيّد السيستاني في مناسك الحجّ، طبعة النجف الأشرف، مسألة٢٠٢:

«لا يجوز للمحرم أكل شيء من الصيد وإن كان قد اصطاده المحلّ في الحلّ، كما يحرم على المحلّ على الأحوط وجوباً ما اصطاده المحرم في الحلّ.

وممّا تقدّم نفهم أنّ مسألة أكل المُحرِمِ من الصيد حرام عليه حتى ولو صاده محلّ أمر مجمع عليه عند فقهاء الإمامية وعلمائهم، بينما تجد في المدرسة المقابلة لمدرسة أهل البيت أنّ هناك نزاعاً وخلافاً في المسألة، فبعض يذهب إلى ما ذهب اليه أئمّة أهل البيت، وبعض لا يذهب إلى ذلك، كما أشار إلى ذلك ابن حزم، حيث ذكر الرأيين معاً ثمّ مال إلى الجواز لا الحرمة، حيث قال: «وقد روينا عن عطاء، في محرم كان بمكّة فاشترى حجلة فأمر محلاً بذبحها أنّه لا شيء عليه»[٣].

(١) مجمع البيان، تفسير الآية: ٩٦ من سورة المائدة.

(٢) شرائع الإسلام: ج١ ص١٨٣.

(٣) المحلّى لابن حزم: ج٢، كتاب الحجّ مسألة: ٨٩٢.

ومن ثم فإنّ الشهيد الكربلائي أراد من سؤاله لابن عمر أن يستكشف رأيه أكان موافقاً لرأي أهل البيت أم مخالفاً له، دون إرادة المعرفة للحكم الشرعي للعمل به.

ومن هنا نفهم سرّ إعادة السؤال من قبل الشهيد الكربلائي لابن عمر مرّتين بقوله: إنّما أسألك عن نفسك أتأكله؟

الرواية الثانية: روى ابن أبي شيبة في مصنّفه قال: «حدثنا ابو بكر، حدثنا وكيع عن سعيد بن سعيد البجلي عن أبي الشعثاء الكندي عن ابن عمر قوله: الأوعية لا تحلّ شيئاً ولا تحرّم»[(١)].

المراد من الأوعية الظروف، أو ما يسمّى بالأواني التي يوضع فيها الشيء، ولا شكّ أن هذه الظروف والأوعية لا يمكن أن تحلّ شيئاً هو بالأصل حرام ولا تحرّم شيئاً هو بالأصل حلال، وإنّما ورد التأكيد من النبي صلى الله عليه وآله على هذا الأمر لأنّ هناك بعض الظروف التي كانت تستعمل آنذاك وتكون مساعدة في تنبيذ بعض التمور والعسل وقد ورد ذكر هذه الظروف بشكل عامّ في أحاديث، كقول أنس: «نهى النبي صلى الله عليه وآله عن النبيذ في هذه الظروف. ورد ذكرها مشخّصة بأسمائها كما في قوله صلى الله عليه وآله لوفد عبد القيس:

«لا تشربوا في نقير ولا مقير ولا دباء ولا حنتم ولا مزادة»[(٢)].

«والمراد من النقير أصل النخلة يُترك في مكانه ثمّ ينقر جوفه ويتّخذ منه

---

(١) المصنّف لابن أبي شيبة: ج٥ مسألة ٣٣١٠.

(٢) المصنف: ج١ ص٥١٨.

ظرف، والدباء القرع، والحنتم الجرار المطلية بالأخضر»[١].

ويبدو أنّ الشهيد الكربلائي يتحدث عن الحالة العامة التي عادة ما تكون في جميع الظروف مُطّردة، إلاّ ما ورد التخصيص فيها، كقولهم: «**كلّ شيء طاهر حتى تعلم أنّه نجس**»[٢].

لقاء الشهيد بالحسين عليه السلام ووقت التحاقه به

اختلفت الروايات في وقت التحاق الشهيد بالحسين عليه السلام، واختلفت معها آراء العلماء.

الرأي الأول

فهناك من ذهب إلى أنّ الشهيد كان قد خرج مع عمر بن سعد أول الأمر فيمن خرج لحرب الحسين، ثمّ بعد ذلك تحوّل إلى الحسين ليلة العاشر من المحرّم. ويذهب إلى ذلك المقرّم[٣] وأبو مخنف[٤]، والطبري[٥] في إحدى رواياته وآخرون.

الرأي الثاني

بينما يذهب آخرون إلى أنّ لقاء الشهيد بالحسين كان قبل وصول الحرّ

---

(١) نفس المصدر.

(٢) الفقه١. أعيان الشيعة: ج١، ص٧٣.

(٣) مقتل المقرّم: ص٢٤٣.

(٤) مقتل أبي مخنف: ص١٥٨.

(٥) الطبري: ج٥ ص٤٨.

ولقائه بهعليه السلام في منطقة شراف، وقد ذهب إلى هذا الرأي جملة من العلماء منهم الشيخ السماوي[1]، والطبري[2] في إحدى رواياته، والخوارزمي[3] وآخرون.

ملاحظة حول الرأي الأول

وقبل أن نبيّن بعض النقاط التي من خلالها يتّضح أنّ خروج الشهيد ولقاءه بالحسين كان قبل وصول الحرّ اليه، وهو الرأي الذي أراه أكثر قبولاً وانسجاماً مع الأحداث، أودّ أن أبيّن أنّ الرأي الأول لا يشير بأيّ حال من الاحوال، حتى مع فرض صحّته، إلى إدانة أو منقصة للشهيد الكربلائي معاذ الله، إذ إنّ هناك جملة من الأصحاب لمّا رأوا أنّ سكك الكوفة أُغلقت وأُحكم الحصار على البلدة من قبل ابن زياد وجماعته، لم يجدوا بُدّاً من أن يتّخذوا الخروج لحرب الحسين مع من خرج للحرب واقعاً، طريقاً للوصول إلى الحسينعليه السلام، وهذا ما حاولنا أن نبيّنه من خلال حديثنا عمّن تحدّثنا عنهم من الشهداء، وسوف نتحدّث عن هذه النقطة المهمّة من جوانب متعدّدة كلّما سنحت الفرصة إلى ذلك.

المرجحات على الرأي الثاني

وأمّا الرأي الثاني، والقائل بوصول الشهيد الكربلائي إلى الحسين قبل وصول الحرّ اليه في منطقة شراف، فإنّ هناك بعض المرجّحات التي تجعلنا نميل اليه دون الرأي الأول، ومن هذه المرجحات:

---

(١) أنصار الحسين: ص١٣٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٥ ـ ٤٤٦.

(٣) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٥.

أولاً: ذكر كثير من المؤرّخين في خصوص لقاء الحرّ للحسين في منطقة شراف ما هذا نصّه:

«فلمّا أصبح نزل فصلى الغداة، ثمّ عجّل الركوب فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم، فيأتيه الحرّ بن يزيد فيردّهم، فيردّه، فجعل اذا ردّهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه، فارتفعوا فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نينوى، المكان الذي نزل به الحسين. قال: فإذا راكب على نجيب له وعليه السلاح، متنكّب قوساً، مقبل من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلمّا انتهى اليهم سلّم على الحرّ بن يزيد وأصحابه ولم يسلّم على الحسين وأصحابه، فدفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد، فإذا فيه: أمّا بعد، فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلاّ بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري والسلام.

فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحرّ:

هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه، وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره، فنظر إلى رسول عبيد الله بن زياد يزيد بن زياد بن مهاجر، أبو الشعثاء الكندي ثمّ البهدلي، فعن له فقال له: أمالك بن النُسر البدّي»[1]؟ إلى آخر ما ورد في هذا النصّ.

ولا شكّ أنّ كلّ من قرأ هذا النصّ، يقطع بأنّ الشهيد الكربلائي كان مع

---

(١) معالم المدرسين: ج٣ ص٧٧ ـ ٧٨ (نقلاً عن مقتل أبي مخنف).

الحسين عليه السلام قبل أن يأتي رسول عبيد الله بن زياد، بل ربما كان موجوداً قبل ذلك الوقت.

ثانياً: وعي الشهيد الكربلائي وبصيرته النافذة، والتي يتلمّسها الإنسان من خلال المحاورة التي جرت فيما بينه وبين مالك بن النسر، رسول عبيد الله بن زياد إلى الحرّ التي تكشف وبشكل واضح عن إيمانه بالثورة، ممّا يوحي بأنّ هذا الرجل وأمثاله كان لهم دور مهمّ في داخل الكوفة مع مسلم بن عقيل، لأنّ من وطّن نفسه على القتل وعزم على الالتحاق بالحسين من أجل الشهادة، لا يمكن أن يتصوّر في حقّه إلاّ أنّه كان من الأركان الأساسية في حركة مسلم بن عقيل.

ومن هنا فإنّ أغلب من كانت له مشاركة واضحة ومهمّة حاول أن يخرج بعد شهادة مسلم بن عقيل من الكوفة، فقسم منهم التحق بالحسين وهو في مكّة، مثل الحجّاج بن مسروق الجعفي وأمثاله.

وبعضهم التحق بالحسين وهو في الطريق إلى العراق، أمثال الأربعة الذين جاءوا مع الطرمّاح في منطقة عذيب الهجانات كما تقدم.

وبعضهم قبل وبعد ذلك، وكان من بينهم الشهيد الكربلائي والذي نرجّح وصوله إلى الحسين قبل منطقة اللقاء مع الحرّ.

إشكال وجواب:

وقد تقول: وماذا عمّن خرج مع جيش عمر بن سعد والتحق بعد ذلك بالحسين، ألم يكونوا اصحاب مشاركة مع حركة مسلم بن عقيل فلماذا لم يخرجوا مبكّراً ويلتحقوا بالحسين؟ أقول: نحن نتكلّم من حيث الطابع العام، وهذا

لا يعني بالضرورة أنّ كلّ من التحق بالحسين خرج اليه قبل وصوله إلى كربلاء، فهناك من المؤمنين من شارك في حركة مسلم وأراد نصرة الحسين حقّاً، ولكنّه رأى أن لا سبيل للوصول اليه إلاّ من خلال التظاهر بأنّه ممّن يريد الخروج لحرب الحسين.

وربما أعلن توبته على الملأ من أجل أن ينفي عن نفسه الشبهة، ولكي يُقبل في الجيش الذي سُرِّح لحرب الحسين عليه السلام، فلمّا وصل اليه انتقل وتحوّل إلى صفّه عليه السلام، ومن ثم يمكن القول بأنّ وعي النخبة من الأصحاب الذين نالوا شرف الشهادة مع الحسين عليه السلام في كربلاء، وحرصهم على الشهادة، ومشاركتهم الواضحة، جعلتهم يخرجون من الكوفة بعد سقوطها بيد عبيد الله بن زياد، وشهادة من استشهد وسجن من سجن، ويلتحقون بالحسين مبكّراً، ومنهم الشهيد يزيد بن مهاجر الكندي رضي الله عنه.

ثالثاً

لا شكّ أنّ كلّ من قرأ وسمع بالروايتين اللتين تحدّثتا عن أبي الشعثاء الكندي ووقت التحاقه بالحسين، يجد وبشكل واضح أنّ هناك تعارضاً بيّناً بينهما، لأنّ كلّ واحدة من الروايتين تتضمّن الحديث إمّا بشكل صريح كما في الرواية الثانية التي تؤكّد أنّه كان ممّن خرج مع جيش عمر بن سعد فلما ردّوا الشروط مال إلى الحسين ليلة العاشر من المحرّم.

وإما بشكل ضمني كما في الرواية الأولى التي تحدّثت عن حديث أبي الشعثاء مع مالك بن النسر في مرحلة التقاء الحرّ بالحسين عليه السلام.

تعارض روايتي الالتحاق بالحسين وطرق معالجته

وبهذا نكون أمام اضطراب حقيقي وتعارض واضح بيّن، وهذا يدعونا إلى الرجوع إلى طرق معالجة مثل هذا التعارض، فقد ذكر العلماء أنّ من جملة المرجّحات هو السبق الزمني للرواية على غيرها من الروايات المعارضة لها والمتأخرة عنها زمناً، وهذا المقياس لا شكّ أنّه يرجّح عندنا الرواية الأولى دون الرواية الثانية، وكذلك ذكر العلماء أنّ من جملة المرجّحات هو أن تكون إحدى الروايتين مفصّلة والأخرى مجملة، فتقدم المفصّلة في مقام التعارض على المجملة، وهذا المقياس يقدّم كذلك، ويرجّح على أساسه الرواية الأولى دون الرواية الثانية والغريب في هذا الأمر هو ذكر العلماء لكلّ من الروايتين دون ترجيح واحدة على الأخرى، وهذا بتقديري يكرّس مفهوم التناقض والتضادّ بين الأشياء، مع أنّه كان بإمكانهم ترجيح إحداهما على الأخرى، كما رجّحنا حسب رأينا خروج الشهيد الكربلائي ـ على حسب الرواية الأولى ـ من كربلاء في وقت مبكّر والتحاقه بالحسين عليه السلام قبل وصول الحرّ إليه. ولقد أحسن الشيخ محمد مهدي شمس الدين حينما أشار إلى هذا الاضطراب من خلال العمل بالروايتين معاً دون الترجيح بينهما قائلاً:

«وقد اضطرب فيه كلام الطبري، فمرّة قال عنه إنّه تحوّل إلى الحسين من معسكر ابن زياد بعدما رفضوا عروض الحسين، ومرّة قال عنه إنّه خرج إلى الحسين من الكوفة قبل أن يلاقيه الحرّ، وكذلك اضطرب فيه كلام السيّد الأمين»[1].

---

(١) أنصار الحسين: ص١١٢.

بين منطق الخضوع ومنطق المسؤولية

قال أبو مخنف:

«لمّا كاتب الحرّ ابن زياد في أمر الحسين وجعل يسايره، جاء إلى الحر رسول ابن زياد مالك بن النسر البدّي ثمّ الكندي، فجاء به الحرّ وبكتابه إلى الحسين، كما يذكر في ترجمة الحرّ، وكما قصصناه، فعنَّ مالك ليزيد هذا فقال يزيد: أمالك بن النسر أنت؟ قال: نعم، فقال له: ثكلتك أمّك، ماذا جئت به؟ قال: وما جئت به، أطعت إمامي ووفيت ببيعتي، فقال له أبو الشعثاء: عصيت ربّك وأطعت إمامك في هلاك نفسك، وكسبت العار والنار. ألم تسمع قول الله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [1] فهو إمامك»[2]

إنّ هذه الرواية وما دار فيها من حوار بين الشهيد أبي الشعثاء وبين مالك بن النسر، لتضعنا بين منطقين؛ منطق الخضوع والاستسلام للأمر الواقع، وبين منطق تحمّل المسؤولية الشرعية مهما كانت الظروف والأحوال.

أمّا المنطق الأوّل، فإنّ الشهيد الكربلائي لا يقبله، ولا يمكن أن يسير عليه، بل لسان حاله يقول: إنّ منهجي ومنطقي هو منطق القرآن الذي يقول:

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [3].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٤١.

(٢) مقتل الحسين لأبي مخنف: ص٩٣.

(٣) سورة الإسراء: ٧١.

ومن ثم سيدعى كلّ أولئك الذين ساروا خلف معاوية ويزيد وأمثالهما، للدخول مدخلهم والورود موردهم، إذا جاء النداء: ادعوا كلّ أُناس بإمامهم. كما سيُدعى أولئك الذين اتّبعوا أئمّة الهدىعليهم السلام ونصروهم، وسيدخلون مدخلهم ويردون موردهم، وشتّان ما بين الموردين.

مفهوم الإمامة عند الشهيد الكربلائي

ولا يفوتني وأنا أتحدّث عن هذا الحوار بين الشهيد ومالك بن النسر، أن أشير إلى مفهوم الإمامة في نظر الشهيد الكربلائي واستدلاله بالآية القرآنية:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴾ [(١)].

فهو قد استنطق القرآن الكريم الذي يشير إلى أنّ هناك طائفتين من الأئمّة؛ أئمّة هدى وأئمّة ضلال، وأشار إلى الطائفة الأولى بقوله:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [(٢)].

وإلى الطائفة الثانية بقوله:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلى النَّارِ ﴾.

وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام وهو يتحدّث عن خصائص كلّ من هاتين الطائفتين قوله: «إنّ الأئمّة في كتاب الله إمامان؛ قال الله تبارك وتعالى:

---

(١) سورة القصص، الآية: ٤١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾.

لا بأمر الناس، يقدّمون الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم، قال:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾.

يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف كتاب الله»[1].

وينقل الصدوق في أماليه كما ورد في تفسر الثقلين عن بشر بن غالب عن الإمام الحسين، أنّه سأله عن تفسير الآية:

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾.

فقال عليه السلام: «إمام دعا إلى هدى فأجابوه اليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه اليها، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النار، وهو قول الله:

﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾»[2].

ولعمري لقد كان الشهيد الكربلائي بصيراً في كتاب الله، متدبّراً في آياته، عالماً في أحكامه. ومن هنا نراه يستدلّ استدلال العلماء، ويتحدّث تحدّث الحكماء، وينطق عن يقين بالله تعالى، ولا غرابة في ذلك، فهو الذي نهل من معين الإسلام الصافي، وأُشرب علوم القرآن ومفاهيمه من مورده النقي فانعكست أقوالهم وأفعالهم عليهم السلام، على وعي الشهيد نتيجة لهذه المعاشرة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام فأدرك أنّ الخزي كلّ الخزي حينما يتخلّى الإنسان عنهم، وأنّ السعادة

---

(١) تفسير الصافي، تفسير آية: ٤١ ـ ٤٢ من سورة القصص.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج٣ ص١٩٢.

كلّ السعادة في الكون معهم ونصرتهم والذبّ عنهم ولهذا نراه يقول لمالك بن النسر: عصيت ربّك وأطعت إمامك (الضالّ) في هلاك نفسك، وكسبت العار والنار[1]. يعني أنّ سوء اختيارك باتّباعك لأئمّة الضلال، وتخلّيك عن أئمّة الهدى، هو الذي سوف يُرديك فتخسر آخرتك بدخولك النار، كما أنّ العار سوف يلاحقك، وسبّة التاريخ والأجيال سوف لا تفارقك، لأنك تخلّيت عن الحقّ ونصرت الباطل.

الشهيد في كربلاء فارساً ثم رامياً

لقد كان للشهيد الكربلائي دور مميّز في كربلاء، فلقد كان قتاله أول الأمر فارساً ثمّ رامياً ثمّ راجلاً. يقول أبو مخنف: «إنّ أبا الشعثاء قاتل فارساً، فلمّا عقرت فرسه جثا على ركبتيه بين يدي الحسين عليه السلام، فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة وكان رامياً وكان كلما رمى قال:

أنا ابن بهدلة[2] فرسان العرجلة[3]

فيقول الحسين: «اللهمّ سدّد رميته، واجعل ثوابه الجنّة». فلمّا نفدت سهامه قام فحمل على القوم بسيفه وقال:

أنا يزيدٌ وأبي مهاجرٌ كأنني ليث بغيلٍ خادر
يا ربّ إنّي للحسين ناصرٌ ولابن سعدٍ تارك وهاجر»[4]

(١) إبصار العين للسماوي: ص١٣٤.

(٢) حي من كندة، إبصار العين: ص١٣٥.

(٣) العرجلة: القطيع من الخيل ح تاج العروس: ج٦ ص٤١.

(٤) إبصار العين للسماوي: ص١٣٥: أبو مخنف: ص١٥٨.

وهنا تجد التميّز في الجهاد والدفاع، حيث نزل أولاً فارساً حتى اذا قتل منهم عدداً عُقرت الفرس، فلم يتنازل عن جهاده بل انتقل إلى مرتبة أخرى حظي فيها بدعاء الحسين عليه السلام له، ولا شكّ أنّ دعاء الحسين بحدّ ذاته فضل لأنّه مجاب على كلّ حال، ولهذا حينما كان يرمي لم تسقط من سهامه سوى خمسة ببركة دعاء الحسين، والبقية أصابت أهدافها ولمّا انتهت سهامه التفت إلى الحسين مودّعاً وقائلاً له: سيدي، لو كنت أملك غير هذه النفس لقدّمتها بين يديك رخيصة، ثمّ نزل إلى القتال راجلاً، ومما يلفت النظر في رجز الشهيد هو قوله:

يا ربّ إنّي للحسين ناصرٌ ولابن سعدٍ تاركٌ وهاجر

رسالة الشهيد إلى من يهمه الأمر

وبهذا القول أراد أن يوصل رسالة إلى من هم لا يزالون في جيش عمر بن سعد بأنّكم على باطل، بل وأراد ان يعلن موقفه هذا للتاريخ، ويعطي درساً للأجيال في التضحية والولاء، لا كما تصوّر البعض من أنّ قوله: ولابن سعد تارك وهاجر، دليل على أنّه كان في صفّ عمر بن سعد ثمّ انتقل إلى صفّ الحسين بعد ذلك: فهذا استدلال خاطئ، لأنّ الشهيد إنّما أراد أن يعلن براءته من النهج لا من الأشخاص، كما أنّ ولاءه للقيم والمبادئ الحقّة هو الذي دعاه لنصرة الحسين عليه السلام، وهذا هو الدرس الأكبر. ويقول أبو مخنف: «ولم يزل يقاتل راجلاً حتى قتل رضي الله عنه وفيه يقول الكميت الاسدي:

ومال أبو الشعثاء أشعث دامياً وإنّ أبا حجلٍ قتيلٌ مجحّلُ»[1]

---

(١) مقتل أبو مخنف: ص ، لسان العرب لابن منظور مادة «جحل».

الشهيد عمّار بن حسّان بن شريح الطائي عليه السلام

بين يدي الشهيد

هذا الشهيد هو واحد ممّن يصفهم البعض بأنّهم من رجال ساعة العسرة، والذين مدحهم الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم يقوله:

﴿ لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وساعة العسرة قد تمرّ في زمن رسول الله فينزل فيها قرآنٌ، وقد تمرّ بعد زمن رسول الله، إنّ ساعة العسرة متوقعة في أي وقت على مدى الحياة، لأنّ كلّ إنسان منّا قد يمرّ بساعة عصيبة لا يجد إلى جانبه من يبثّه همومه، ويلتفت يميناً وشمالاً فلا يجد إلاّ نفسه، ومثل هذا الأمر كثيراً ما يحدث لأصحاب المبادئ والقيم.

حيث تجد أنّ حياتهم مثقلة بالمتاعب والهموم والمشاكل، وكثيراً ما كانوا يعيشون الوحدة والغربة تحت وطأة هذه الظروف، وهذا ما كان علي بن أبي

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

طالب يعاني منه بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله حينما كان يعيش تلك المحنة التي مرّت على الإسلام بعد فقده صلى الله عليه وآله فاضطرّته للابتعاد عن تلك الأجواء، وجرّته إلى غربة حقيقية، ووحدة ووحشة، جعلته يفضّل الموت على البقاء في واقعٍ كهذا:

ألا أيّها الموت الذي ليس تاركي … أرحني فقد أفنيت كلّ خليلِ

أراك بصيراً بالذين أُحبّهم … كأنّك تنحو نحوهم بدليلِ[1]

ومن هنا نفهم تلك الروايات التي جاءت تمجّد الغرباء في آخر الزمان، بل وتصف الإسلام بأنّه سيكون غريباً. ينقل النعماني في كتاب الغيبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «إنّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً فطوبى للغرباء»[2]. وكلّ هذا المدح للغربة وللغرباء هو في الواقع لأنّ المتّبعين للإسلام حقيقة قليل، ولهذا كلّه صار سيّد الشهداء «غريب الغرباء»، ولأجل ذلك كلّه صار الصديق في ساعة العسرة نعمة، يقول علي عليه السلام:

وما أكثر الإخوان حين تعدّهم … ولكنّهم في النائبات قليلُ[3]

ويقول ربيعة بن عامر (مسكين الدارمي):

وليس أخي من ودّني رأيَ عينهِ … ولكنْ أخي من ودّني وهو غائب[4]

ولقد تجلّت أروع صور النصرة، والأخوّة في أعلى درجاتها، في هذه الفئة

(١) المرأة العظيمة لحسن الصفار: ص١٢٩.

(٢) الغيبة للنعماني: ص٣٣٦، ومثله عن رسول الله (ص) في تفسير ابن أبي حاتم: ج٩ ص٢٩٩٠ ح٢٩٩١.

(٣) ديوان الإمام علي: ص٩٦.

(٤) المستطرف في كلّ فنّ مستطرف، الباب الرابع والعشرون، في حسن المعاشرة والمودّة والأخوة.

الموفّقة التي التفت حول أبي عبد الله الحسين عليه السلام في وادي كربلاء، هـذا الـوادي الذي جمع القلـوب المؤمنـة مـن كـلّ ملّـة وديـن، فكـان فـيهم العلـوي والعمـري والعثماني، والمسلم والمسيحي، وكان فيهم الطفل الصغير وصاحب الشيبة الكبير، وكان منهم الشهيد السعيد عمّار بن حسان بن شريح الطائي رضي الله عنه هذا الرجـل الـذي كانت مواقفه ومواقف أبيه وأقربائه كلّها تدور في دائـرة الـولاء لأهـل البيـت عليهم السلام كما سيأتينا خلال حديثنا عنه، بل لقد كان في أحفاده من عـاش الـولاء والإيمـان حتى امتلأ قلبه بحبّهم عليهم السلام وفيض علومهم، فتحول إلى راوٍ وفقيه كبير.

أقوال العلماء في الشهيد

١. قال الشيخ السماوي: «عمار بن حسّان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لأم ابن عمرو بن ظريف بن عمرو بن ثمامة بـن ذهـل بـن جـدعان بـن سعد بـن طـيّ الطائي».[(١)]

٢. قال الشيخ شمس الدين رحمـه الله تعـالى: «عمّـار بـن حـسّان بـن شـريح الطائي، ورد ذكره في الزيارة، وفي الرجبية ورد ذكره عمّار بن حسّان».[(٢)]

٣. قال النجاشـي «وهـو يتـرجم لحفيـده: ... ابـن عـامر، وهـو الـذي قتـل مـع الحسين بكربلاء، ابن حسّان المقتـول بـصفّين مع أمير المـؤمنين، ابـن شـريح بـن سعد... ».[(٣)]

(١) إبصار العين: ص١٥٠.

(٢) أنصار الحسين: ص١٠١.

(٣) رجال النجاشي: ص٢٢٩ ح٦٠٦.

أجداد الشهيد

لقد تمتّع الشهيد الكربلائي بأجداد عرفوا عند العرب بأنّهم من كبار الشخصيات وأصحاب المنزلة الاجتماعية الكبيرة، حتى أنّ الجاحظ وهو يتحدّث عن سعد، الجدّ الثاني للشهيد، يقول: قال ابن الكلبي: من الأشراف سعد الأثرم بن حارثة بن لأم، أخو أوس بن حارثة بن لأم، وكان شريفاً نبيهاً»[(١)].

سعد الأثرم جد الشهيد الكربلائي

ولقد وصلت أسرة الشهيد وأجداده إلى درجة من الشهرة عند العرب، من حيث الكرم والجود والسخاء والشجاعة وسائر الأخلاق الفاضلة، ممّا أدّى إلى أن تشرئبّ عنق ملك الحيرة يومها، النعمان بن المنذر، إلى أن يخطب منهم زوجة له، وفعلاً خطب من سعد (جدّ الشهيد) ابنته فرعة، فتزوّجها وصاهر هذه الأسرة وقرّبها اليه ومنحهم الكثير من المنزلة والحبوة عنده، وكان من جملة الأمور التي اهتمّ بها سعد هو أن يكون سبّاقاً إلى الخير ومساعدة الناس وإجارتهم، فلم يكن ليرضى لنفسه أن يجير أحدٌ من الناس أحداً وهو قادر على الإجارة ولا يفعل. أمّا اذا أجار أحدهم أحداً من الناس على أرضه أو في بيته أو في أيّ مكان تصل اليه يده ولم يكن هو المجير، فذاك اليوم سيكون يوم حزنه وألمه، وسيشعر أنّ في هذا من المهانة له لا يرضاه أبداً، فيقول أبو فرج الأصفهاني في الأغاني وهو يتحدّث عن حاتم وعلاقته ببني لأم[(٢)] قائلاً:

---

(١) كتاب البرصان والعرجان للجاحظ: ص١٣.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني / ج١٨/ في أخبار حاتم ونسبه / حاتم وبنو لأم.

«خرج الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ومعه عطر يريد الحيرة، وكان بالحيرة سوق يجتمع اليه الناس كلّ سنة، وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعان بن ذهل بن رومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن فطنة بن طيّئ، ربع الطريق طعمة لهم، وذلك لأنّ بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان بن المنذر، وكانوا أصهاره، فمرّ الحكم بن أبي العاص بحاتم بن عبد الله، فسأله الجوار في أرض طيّئ حتى يصير إلى الحيرة فأجاره، ثمّ أمر حاتم بجزور فنحرت وطبخت أعضاء فأكلوا، ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج، وهو ابن عمّه، فلمّا فرغوا من الطعام طيّبهم الحكم من طيبه ذلك، فمرّ حاتم بسعد بن حارثة بن لأم وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان، وحاتم على راحلته وفرسه تقاد، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال: أطعموا حيّاكم الله، فقالوا: من هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاء جيراني، قال له سعد: فأنت تجير علينا في بلادنا»[١].

فلم يكن يقبل أن يجار أحد على أرضه دون أن يكون هو المجير، حتى ولو كان الذي أجار هو حاتم الطائي نفسه، صاحب الباع الطويلة في الكرم والجود والعطاء، وحسب اعتقادي أنّ هذه الخصال لابدّ وأن تترك أثرها في أبناء هذا الرجل وأحفاده، فإن لم يكونوا مثله فلا أقلّ من أن يكونوا في درجة ممدوحة من ذلك، وعلى كلّ حال سيكون عندهم استعداد وميول نحو هذه الخصال والصفات المحمودة.

---

(١) الأغاني: ج١٧ ص٣٦٩.

أمّا أخو سعد بن حارثة، وهو أوس بن حارثة، فقد كان ناراً على علم، وكان من المعمّرين كذلك، حتى لينقل عنه أنّه عمّر أكثر من ٢٠٠ سنة، وينقل المبرّد عن شخصيته ومنزلته قائلاً:

«إنّ النعمان بن المنذر دعا بحلَّة، وكان عنده وجوه العرب وساداتها، فقال انتظروا إلى الغد حتى ألبس هذه الحلّة أكرمكم، وفعلاً ذهب الجميع وحضروا في الغد ولم يتخلّف عنهم إلاّ أوس، فقيل له: لم تتخلّف؟ فقال: إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء ألاّ أكون حاضراً، وإن كنت أنا المراد فسأطلب وسيعرف مكاني. فلمّا جلس النعمان لم ير أوساً فقال اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضر أمناً مما خفت، فحضر فألبسه الحلة»[1].

ومن هنا نعرف أنّ الشهيد الكربلائي كان من بيوت العزّ والشرف والمنعة والسيادة والريادة وكان وجوده قويّاً ومؤثّراً في الساحة الاجتماعية فليس بعد كلّ هذا أن يُقال عنه بأنّه من الشخصيات المعروفة في التاريخ.

والد الشهيد الكربلائي

ذكر النجاشي في رجاله، والخوئي في معجمه[2]، أنّ حسّان والد الشهيد كان من الرجال المؤمنين الذين وقفوا إلى جانب علي بن أبي طالب وصحبوه في كلّ من معركة الجمل وصفّين، إلى أن استشهد في صفّين ﵁ هذه المعركة التي كشفت عن معادن الرجال، وبيّنت الحقائق من الدعاوى، فلم يثبت فيها سوى من

---

(١) الكامل للمبرّد: ج١ ص١٨٦.

(٢) رجال النجاشي: ص٢٢٩ (٦٠٦)، معجم رجال الحديث: ج٥ ص٢٦٥٥.

كان على بيّنة من ربّه ونبيّه صلى الله عليه وآله، فلقد تعرّض أهل صفّين إلى هزّات عنيفة من خلال الشبهات التي أُثيرت آنذاك وأثّرت فيهم، سواءٌ قبل نشوب المعركة أو خلالها، فهناك من رفع المصاحف كذباً وبهتاناً ودعا إلى الرجوع كتاب الله، وهناك من جبن وجبّن، وهناك من كان يسير بين الصفوف ويقول: لا قتال لا قتال.

ولم تكن هذه الشبهات قد اختصّت بها معركة صفّين، بل كانت موجودة حتى في معركة الجمل، وللمثال أقول هذه الرواية لتكون شاهداً على ذلك وإن كانت تتحدّث عن واقعة الجمل، ولكن الأمر نفسه حصل في صفّين: «عن أبي يحيى الواسطي قال: لمّا افتتح أمير المؤمنين (المقصود فتح البصرة) اجتمع الناس عليه، وفيهم الحسن البصري ومعه الألواح، فكان كلّما لفظ أمير المؤمنين كلمة كتبها، فقال أمير المؤمنين له بأعلى صوته: ما تصنع؟ فقال: نكتب آثاركم لنحدّث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين: أما إنّ لكلّ قوم سامري، وهذا سامري هذه الأمّة، أما إنّه لا يقول: لا مساس ولكن يقول: لا قتال»[(١)].

فكم سامري ابتلي به أميرالمؤمنين في صفّين كان يثبّط من عزائم الناس في القتال، ولهذا قلنا آنفاً إنّ هذه المعركة بل والمعارك التي خاضها أمير المؤمنين كانت مختبراً عملياً لكلّ الادّعاءات، فمن ثبت فيها كان في غيرها أثبت، ومن خسر فيها وتزلزل كان في غيرها أخسر وأكثر تزلزلاً، وهذا ما يفسّر لنا ما حصل لشمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وآخرين، حيث كانوا ممّن تزلزلت اقدامهم في معركة صفّين بل ووقفوا ضدّ علي عليه السلام. يقول السيّد الخوئي وهو

---

(١) العرفان الإسلامي للسيد محمد تقي المدرسي: ص٣٩.

يتحدّث عن شبث بن ربعي: «من أصحاب أمير المؤمنين رجع إلى الخوارج»[(١)].

ولهذا حينما نقرأ في التأريخ أنّ والد الشهيد قاتل في الجمل وصفّين، ولم ينتهِ الأمر إلى هذا الحدّ بل واستشهد في صفّين، نعرف مدى الإيمان والثبات الذي كان يتمتّع به رضي الله عنه.

ابن عمّ الشهيد الكربلائي

عُرفت أسرة الشهيد بالإباء وعدم الرضوخ للظلم مهما كانت النتائج، ولقد قدّمت النفوس والأرواح في هذا المجال، وهذه كانت سيرة آبائه وأقربائه، وسأتناول للتدليل على هذه الحقيقة سيرة واحد من أبناء عمّه ألا وهو:

عروة بن افاق بن شريح الطائي

قال ابن حجر في الإصابة[(٢)]: «له إدراك، وشهد قتال الخوارج مع علي، فقال علي عليه السلام: لا يفلت منهم واحد ولا يقتلون منّا عشرة وكان كذلك وكان عروة فيمن قتل من العشرة».

وفي رواية ينقلها الخوارزمي عن عبيدة السلماني: «إنّ علياً خطب أهل الكوفة فقال: يا أهل الكوفة، لولا أن تبطروا لحدّثتكم بما وعدكم الله على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله الذين تقتلونه منهم المخدج اليد، وهو صاحب الثدية، فو الله لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة»[(٣)].

---

(١) معجم رجال الحديث للخوئي: ج١٠ ح٥٦٨٧.

(٢) ابن حجر في الأصابة: ج٥، ص٩٦.

(٣) المناقب للخوارزمي: ص٢٦٣.

ولا شكّ أنّ علياً حينما قال هذه الكلمة لم يكن اعتباطاً من دون أي سبب وإنّما كان وراءها سبب وهذا ما يشير اليه الهيثمي في مجمع الزوائد، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري عن جندب بن عبد الله البجلي (أخو جرير بن عبد الله البجلي) الذي كانت له مواقف مخجلة مع علي عليه السلام وانتهت إلى أن هدم أمير المؤمنين مسجده في الكوفة) يقول: «لمّا فارقت الخوارج علياً، خرج في طلبهم وخرجنا معه، فانتهينا إلى عسكرهم، فإذا لهم دويّ كدويّ النحل من قراءة القرآن، واذا فيهم أصحاب الثفنات وأصحاب البرانس (المعروفون بالزهد والعبادة) قال: فدخلني من ذلك شكّ فنزلت عن فرسي وقمت أصلّي فقلت: اللهمّ إن كان قتال هؤلاء القوم لك طاعة فأذن لي فيه، وإن كان معصية فأرني براءتك، يقول: فمرّ بي علي عليه السلام فلمّا حاذاني قال: تعوّذ بالله من الشكّ يا جندب، فلمّا جئته أقبل رجل على برذون يقول: إن كان لك بالقوم حاجة فإنّهم قد قطعوا النهر، قال: ما قطعوه، قلت: سبحان الله، ثمّ جاء آخر فقال مثل قوله، ثمّ جاء آخر بما جاء به الأولان، في كلّ مرّة يقول: ما قطعوه ولن يقطعوه، وليقتلنّ دونه، عهد من الله ورسوله، قلت: الله أكبر، ثمّ ركبنا فسايرته فقال لي: سأبعث اليهم رجلاً يقرأ القرآن يدعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّهم، فلا يقبل علينا بوجهه حتى يرشقوه بالنبل، أما إنّه لا يقتل منّا عشرة ولا يفلت منهم عشرة، يقول: فانتهينا إلى القوم، فأرسل اليهم فتى من بني عامر، فلمّا دنا منهم حيث يسمعون، قاموا ونشبوا الفتى، فأقبل علينا بوجهه فقعد، فقال علي: دونكم القوم. قال جندب: يكفي هذه بعد ما دخلني ما كان دخلني»[1].

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي: ج٦، ص٢٤١ (بتصرّف).

وفعلاً لم يقتل من جيش علي عشرة ولم يفلت منهم عشرة وكان من جملة الشهداء في هذه المعركة عروة بن أفاق بـن شـريح، ابـن عـمّ الـشهيد الكربلائـي، ولحسن موقفه وثباته ذكره السيّد عبـد الحسين شـرف الـدين فـي كتابـه الفـصول المهمّة وترحم عليه بقوله:

«عروة بن شفاف بن شريح بن سعد بن حارثـة بـن لأم الطـائي، الـذي شـهد قتال الخوارج مع أمير المؤمنين فقـال لـه: لا يفلـت مـنهم عـشرون ولا يقتلـون منّـا عشرة، فكان الأمر كذلك، وكان عروة فيمن قتل يومئذ رحمه الله تعالى».(١)

هل للشهيد قريب من شهداء كربلاء؟

لقد ذكر العلماء الذين ترجموا لأصحاب الحسين عليه السلام كـلّ صـغيرة وكبيـرة تتعلّق بهم، لا سيما ما جرى لهم فـي كـربلاء، حيـث تحـدّثوا وأشـاروا إلـى وقـت التحاقهم بالحسين، وهل كان التحاقهم لوحدهم أم مع آخرين؟

وإذا كان برفقتهم آخرون فمن هم يا ترى؟

هل كـانوا مـن أقربـائهم، وأبنـائهم وإخـوانهم وأبنـاء عمـومتهم وزوجـاتهم وبناتهم وأخواتهم؟

أم كانوا أصحاباً لهم وأصدقاء؟

بل لقد ذكر العلماء في هذا المجال حتى الموالي الـذين جاءوا واستـشهدوا مع الشهداء، وحتى تكون الصورة واضحة أكثر سوف أذكر مثالاً على ذلك.

---

(١) الفصول المهمّة: ص١٩٨.

أولاً: ذكروا أنّ الحرّ بن يزيد الرياحي حينما انتقل إلى معسكر الحسين، انتقل معه ولده علي ومولى له يقال له تركي.[(١)]

ثانياً: ذكروا أنّ زهير بن القين حينما انتقل وساير الحسين إلى كربلاء، أقبل معه من أبناء عمومته سلمان بن مضارب البجلي.[(٢)]

ثالثاً: ذكروا أنّ مسلم بن عوسجة حينما وصل إلى الحسين، وصل ومعه زوجته (أمّ خلف) وولده خلف.[(٣)]

رابعاً: ذكروا أنّ جنادة بن كعب الأنصاري حينما أقبل إلى الحسين، أقبل ومعه زوجته وولده عمرو، المستشهدون بين يدي الحسين.[(٤)]

خامساً: وذكرو من الموالي الكثير، منهم عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه.[(٥)]

وهناك آخرون ذكرهم العلماء، أعرضت عن ذكرهم، لأنّي أردت أن أعطي مثلاً للتدليل على أنّهم ذكروا هذا الأمر بكلّ تفصيلاته التي عرفوها واطّلعوا عليها، ولكنّهم وللأسف الشديد لم يذكروا أيّ شيء، لا من قريب ولا من بعيد، عن الشهيد الكربلائي عمّار بن حسّان الطائي، والذي كان من جملة من التحق

---

(١) وسيلة الدارين: ص١١١، مقتل الخوارزمي.

(٢) إبصار العين: ص١٣٢.

(٣) رياحين الشريعة لذبيح الله محلاتي: ج٣ ص٣١٥.

(٤) إبصار العين: ص١٢٣.

(٥) إبصار العين: ص٩٠.

بالحسين عليه السلام واستشهد في كربلاء أحد أقربائه، وهو عامر بن مسلم العبدي، والذي نميل إلى أنّه كان ابن أخي الشهيد الكربلائي رضي الله عنه.

وقد ورد عن بعض علمائنا رضي الله عنهم حول هذا الشهيد الكربلائي (عامر بن مسلم العبدي) قولهم: مجهول في أصحاب الحسين، كما سيأتينا خلال البحث إن شاء الله. وحينما ترجع إلى الكتب التي ترجمت وتحدّثت عنه، لا تجدهم يزيدون في اسمه ونسبه عن هذا الذي ذكرت.

ولكنّي وجدت أنّ الشيخ النجاشي في رجاله ذكر نسب الشهيد مع تفصيل في آبائه، حيث يقول السيّد الزنجاني في كتابه وسيلة الدارين، نقلاً عن النجاشي: «هو عامر بن مسلم بن حسّان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن ذهل بن جدعان بن سعد بن فطرة السعدي البصري، من أصحاب الحسين قتل معه بالطفّ»[1].

وقد طابقت نسب هذا الشهيد مع ما ذكره السماوي في إبصار العين، في ترجمة عمّار بن حسّان الطائي، حيث يقول: «عمّار بن حسّان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لأم بن عمرو بن ظريف بن عمرو بن ثمامة بن ذهل بن جدعان بن سعد بن فطرة بن طيّء الطائي»[2].

فوجدت أنّ هناك تطابقاً مئة بالمئة، نعم ورد الاختلاف في «طريف» و«ظريف»، ولكن مثل هذا الأمر يحمل على التصحيف، كما هو معروف عند

---

(١) وسيلة الدارين: ص١٦١.

(٢) ابصار العين: ص١٥٠.

أهل هذا الفنّ، ولا يمكن أن يكون اختلافاً يوقف استدلالاً ما، نعم هناك مسألة مهمّة لابدّ من تسليط الضوء عليها ومن مناقشتها مناقشة علمية، وهي النسبة التي ذكرها العلماء لكلّ من الشهيدين؛ فهذا طائيّ، وذاك سعدي بصري عبدي.

أقول: إنّ نسبة السعدي التي ذكرها العلماء في عامر بن مسلم، هي الأقرب إلى واقع نسب الشهيد رضي الله عنه، لأنّ من كان نسبه حسب ما ذكره السماوي، لا يمكن أن ينتهي إلى أن يكون عبدياً من عبد قيس.

نعم يمكن أن يكون عبدياً ولكن من أبناء عبد جذيمة، لأنّه يرجع إلى طيّئ أو حسب تعبير أهل هذا العلم أنّ جذيمة، بطن من طيّئ، يقول المعتري في المنتخب في نسب قبائل العرب، وهو من بني لأم من طيّئ، وأعرف من غيره بأنساب طيّئ.

«وكان لطيّئ من الولد الغوث وقطرة والحارث، فولد لقطرة سعد، فتزوج سعد جديلة بنت سبيع بن حمير الأصغر، فعرفوا بها، ويقال لهم جديلة، باسم أمّهم، وكان لطيّئ قبيلتان: جديلة والغوث، ومن بطون الغوث بنو جرم، واسمه ثعلبة بن عمرو بن الغوث، ومن بطون جرم جذيمة، ذكرهم الحمداني».

ولهذا يصحّ أن يعبّر عن أولاد بني عبد جذيمة بالعبدي الطائي.

مع أن العبديّين من عبد قيس، أمثال الأدهم بن أميّة العبدي وآخرين، أصح أن يُطلق عليهم هذا اللقب وهو الطائي، دون الآخر وهو العبدي، ويمكن أن يكون شاهداً على ذلك خروجهم جميعاً إلى نصرة الحسين من بيت مارية بنت منقذ

العبدية، التي ذكر الطبري أنّها من عبد قيس في البصرة.[(١)].

وهذا الأمر متعارف عليه عند الناس قديماً وحديثاً، حيث يطلقون اسماً أو لقباً معيّناً على إنسان ما، يختلف عن لقبه الأصلي، كمن يكون مثلاً كوفياً فينتقل إلى البصرة ويسكن فيها لمدّة طويلة فيطلق عليه أو على أولاده بصري، ولا يقال إنّ هذا الأمر يخصّ المدن ولا يشمل الأسماء والألقاب.

أقول: لا، بل يمكن ذلك، وقد الحقت ألقاب وأسماء بشخصيّات جاهلية وإسلامية، وعُرفت في التاريخ بالاسم الثاني واشتهرت به، دون الاسم الحقيقي الذي يرجع اليه نفس الشخص، والمثال البارز على ذلك هو المقداد بن الأسود الكندي، فمع أنّ اسمه هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر ابن مطرود البهرائي، نسبه الناس إلى الكندي وإلى الأسود؛ فأمّا الكندي فلأجل أنّ أباه حالف قبيلة كندة، وأمّا الأسود فلأنّ المقداد حالف في قريش الأسود بن عبد يغوث الزهري عندما قدم مكّة، وعرف منذ ذلك الوقت بالمقداد بن الأسود الكندي، دون الاسم الأول الذي بقي فقط في كتب التحقيق والتأليف.

وربما كان الشهيد عامر بن مسلم بن شريح العبدي نسب اليهم بسبب الصداقة الكبيرة والصحبة الولائية التي ارتبط من خلالها بهم هو وأبوه، والتي انتهت إلى إطلاق لفظ العبدي عليها مع أنهما طائيّان.

أمّا لفظة السعدي فيمكن لكلّ طائي أن يقال عنه سعدي، لأنّ السعدي يرجع إلى طيّئ فلا يضرّ أن يقال للشخص السعدي طائي، أو أن يكتفى بذكر

(١) تنقيح المقال: ج٣ ص٨٢، مستدركات علم الرجال: ج٨ ص٥٩٨، تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٨٧.

واحدة دون الأخرى، لأنّهما بالنتيجة يرجعان إلى طيّئ وهو الذي نريد أن نصل اليه من حديثنا هذا.

وللمثال فقط أقول إن ممّن أُطلق عليه اللفظان معاً السعدي والطائي، هو الصحابي مازن بن الغضوبة السعدي الطائي، وهو أول من أسلم من أهل عُمان[(١)] ومن هنا يمكن للانسان أن يخرج بنتيجة، وهي أنّ الشهيد عامر بن مسلم ليس عبدياً وإنّما هو طائي سعدي بصري، وممّا يؤكّد هذه النسبة التي ذهبنا اليها ما ذكره أعلامنا رضي الله عنه أمثال:

١. النمازي في مستدركات علم الرجال، وهو يترجم للشهيد عامر، حيث قال: «**عامر بن مسلم بن حسّان بن شريح البصري السعدي**».[(٢)]

٢. النجاشي في ترجمة الشهيد، نقلاً عن الزنجاني في وسيلة الدارين، حيث قال: «عامر بن مسلم بن حسّان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن ذهل بن جدعان بن سعد بن فطرة السعدي البصري».[(٣)]

فإذا علمنا أنّ نسبهما واحد، وأنّهما يشتركان في أسماء الأجداد واسم الأب، سوى أنّ الأول أطلق عليه الطائي، والثاني أطلق عليه السعدي والعبدي، كما بيّنا، فتكون النتيجة أنّ القرابة بينهما أمر لابدّ من القول به

---

(١) عمان في التاريخ وزارة الاسلام: ص١١٢، اتحاق الأعيان سيف بن طمود البطاشي: ج١ ص٢١.

(٢) مستدركات علم الرجال: ج٤ ص٣٢٢ ح٧٣٥٢.

(٣) وسيلة الدارين: ص١٦١.

نوع القرابة ودرجتها

أمّا ما هي هذه القرابة ودرجتها؟ فعندنا احتمالات ثلاثة لا رابع لها:

أولاً: منهم من يقول إنّ عامر بن مسلم بن حسّان الطائي لابدّ أن يكون ابن أخي الشهيد عمّار بن حسّان الطائي، كما هو واضح، ومنهم النمازي في المستدركات ووسيلة الدارين، وآخرون.[1]

ثانياً: منهم من يقول بأنّ عامر هو ابن حسّان بن شريح الطائي، فلابدّ أن يكون الشهيدان أخوين، لأنّ أباهما واحد، وهو حسّان، وذهب إلى ذلك المامقاني، وعلى ما نقل في كتاب النجاشي نفسه، في ترجمة أحمد بن عامر حفيده، حيث قال: «أحمد بن عامر بن سليمان بن صالح بن وهب بن عامر بن حسّان بن شريح بن سعد الخ».[2]

ثالثاً: ربما يأتي احتمال أن تكون كلّ من الشخصيّتين إنّما تشير إلى شخصية واحدة لاشتراكهما في النسب، وبدل أن يقال عمّار قالوا عامر، للتصحيف مثلاً، كما ورد الاختلاف في أسماء بعض الشهداء في كربلاء، ومن ثم لا يؤدّي الاختلاف في الاسم إلى تعدّد الشخصيّات في الخارج، وقد مال إلى ذلك السيّد الخوئي رضي الله عنه[3]، وهذه الاحتمالات الثلاثة كلّ منها يمكن قبوله، وعليه علامات ودلائل.

---

(١) مستدركات علم الرجال: ج٤ ص٣٢٣ ح٧٣٥٢. النصرة في شيعة البصرة: ج٢ ص١٣٧. وسيلة الدارين: ص١٦١، إيضاح الاشتباه للعلاّمة الحلي: ص١٩١ ح٨٨.

(٢) المامقاني: ج٦ ص١٩٤ ـ ١٩٥، رجال النجاشي: ص١٠٠ ح٢٥٠.

(٣) معجم رجال الحديث: ج١٠ ح٦٠٨٦، حيث ذكره تحت اسم عامر بن حسان بن شريح ... وجاء في المناقب عمّار، ولعلهما واحد.

ولكن اذا ما دُقق في هذه الاحتمالات واحداً واحداً فسننتهي إلى أنّ الرأي الأول هو الأقرب من هذه الاحتمالات الثلاثة، وإن كانت جميعها مقبولة بشكل عامّ.

ومن ثم فإنّ بعض العلماء[١] أمثال الزنجاني في وسيلة الدارين، والعلاّمة في إيضاح الاشتباه، والنمازي في مستدركات علم الرجال، والنجاشي على قول الزنجاني في وسيلة الدارين، والسماوي كذلك، والفضيل بن الزبير في كتابه تسمية من قتل مع الحسين، وآخرين، يرجّح كفّة الاحتمال أن يكون الشهيد هو ابن أخي الشهيد عمّار بن حسّان الطائي رضي الله عنه.

ولكن سواء ملنا إلى الرأي الأول أو الثاني أو حتى الثالث، فإنّ الصورة تكون واضحة.

وأمّا بالنسبة إلى نسب الشهيد، فسواء قلنا هو عمّار بن حسّان الطائي أو عامر ابن مسلم بن حسّان العبدي، أو عامر بن حسّان العبدي، فإنّ هذا النسب معلوم غير مجهول.

فكيف والحال هذه يمكن أن يقال عن هذه الشخصية كلمة تشير إلى مجهوليّتها، مع ما أوضحنا مِن معلومية النسب والنسبة، وعليه فلا يسعني أن أقول شيئاً في مقابل عمالقة علم الرجال وفطاحل العلماء الأفذاذ أمثال السيّد الخوئي والشيخ المامقاني، سوى أن أذكر عبارتهما التي انتهيا فيها إلى أنّ عامر بن مسلم

---

(١) مستدركات علم الرجال: ج٤ ص٣٢٣ ح٧٣٥٢، النصرة في شيعة البصرة: ج٢ ص١٣٧، وسيلة الدارين: ج١٦١. إيضاح الاشتباه للعلاّمة: ص١٩١ ح٨٨.

ابن حسّان العبدي مجهول في اصحاب الحسين. حيث نقل السيّد الخوئي في معجمه في ترجمة عامر بن مسلم: «**مجهول من أصحاب الحسين**عليه السلام»[١].

حفيد الشهيد الكربلائي

لقد وُهِبَ الشهيد الكربلائي ذرية صالحة مباركة، صاحبة عطاءٍ كبير، حملت فكر أهل البيت وعلومهم، من جيل إلى جيل، حتى لقد كتبَ عنهم المؤرّخون وأصحاب الحديث والرجال، ومجّدوا شخصياتهم، فكانوا مصداقاً للآية الكريمة:

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[٢].

ولقد تحدّر من صلب الشهيد أعلام مشهورون شهد لهم أرباب العلم والمعرفة، بالعلم والمعرفة وكان من هؤلاء أحمد بن عامر الطائي، وولده عبد الله، حيث يقول عنه المامقاني:

«أحمد بن عامر، أبو الجعد، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الرضاعليه السلام قائلاً: أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، روى عنه ابنه عبد الله بن أحمد وأسند عنه، انتهى. وقال النجاشي: أحمد بن عامر بن سليمان بن صالح بن وهب بن عامر، وهو الذي قتل مع الحسين بن عليعليه السلام بكربلاء، ابن حسّان الشريح (بن شريح)

(١) معجم رجال الحديث: ج ١٠ ح٦١١٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

ابن سعد بن حارثة بن لأم بن طريف... ويكنّى أحمد بن عامر أبا الجعد»[١].

وممّا تميّز به هذا الحفيد هو أنّه كان الراوي لصحيفة الإمام الرضا عليه السلام، حيث وردت بعدة مسانيد، كانت أغلب هذه المسانيد ان لم نقل كلّها، تنتهي إلى حفيد الشهيد الكربلائي عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، فقد ذكرها الشيخ الصدوق[٢]، وابن جرير الطبري في دلائل الإمامة[٣]، والنجاشي[٤]، والطوسي[٥]، وابن المغازلي في المناقب[٦]، والخوارزمي[٧]، والكنجي في كفاية الطالب[٨] بسند يقول عنه الزمخشري في ربيع الأبرار[٩]: كان يقول يحيى بن الحسين الحسيني في اسناد صحيفة الرضا لو قرأ هذا الاسناد في مجنون أفاق.

ويقول أبو نعيم في حلية الأولياء، بعد أن رواه بتفاوت يسير: «هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيّبين، وكان بعض سلفنا من المحدّثين اذا روى هذا الإسناد قال: لو قرأ هذا الإسناد على مجنون لأفاق»[١٠].

---

(١) تنقيح المقال: ج٦ ص١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) الصدوق ثواب الأعمال: ص٢٥٢ ح٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٨.

(٣) دلائل الإمامة: ص٥٨.

(٤) النجاشي: ص١٧٠.

(٥) الطوسي في الأمالي: ص٢٨٥.

(٦) المناقب لابن المغازلي: ص٦٤ ـ ٦٩.

(٧) المناقب للخوارزمي: ص٢٠٨ ـ ٢١٠.

(٨) كفاية الطالب: ص١٨٤.

(٩) الزمخشري في ربيع الأبرار: ص٦٧٣.

(١٠) حلية الأولياء: ج٣ ص١٩١.

وللتبرّك سوف أذكر رواية واحدة من هذه الصحيفة التي رواها لنا حفيد الشهيد الكربلائي عبد الله بن أحمد بن عامر.

«ينقل عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن الرضا عليه السلام بالإسناد عن رسول قال: قال رسول الله: «يا علي، إنّي سألت ربّي فيك خمس خصال فأعطاني؛ أمّا أوّلهن فسألت ربي أن تنشق عني الأرض وأنفض التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني، وأمّا الثانية فسألت ربّي أن يوقفني عند كفّة الميزان وأنت معي فأعطاني، وأمّا الثالثة فسألت ربي أن يجعلك حامل لوائي، وهو لواء الله الأكبر، تحته المفلحون الفائزون في الجنّة فأعطاني، وأمّا الرابعة فسألت ربّي أن تسقي أمّتي من حوض الكوثر فأعطاني، وأمّا الخامسة فسألت ربّي أن يجعلك قائد أمّتي إلى الجنّة فأعطاني ربّي، والحمد لله الذي مَنّ عليّ بذلك».[1]

ولقد روى عنه أرباب العلم والمعرفة ألواناً من الروايات، بل لقد عدّه علماؤنا من أصحاب الفتوى. كما ورد عن الشيخ السبحاني في كتابه «تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره»[2] حيث ذكره فيمن كان من أصحاب الفتوى في زمن الإمام الرضا عليه السلام، ولا يرد هنا إشكال: كيف يفتي مع وجود إمام معصوم؟ الفتوى إنّما تعني أنّ الفقيه يكون مُلمّاً لأصول الشرعية والقواعد، ما يستطيع من خلالها التفريع عليها واستنباط الحكم الشرعي، وقد ورد عن أهل البيت قولهم: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع»[3].

---

(١) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ح٣٣.

(٢) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره للشيخ السبحاني: ص١٤٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٦٢، ميزان الحكمة: ج١ ص٥٤٩.

ومن هنا نجد أنّ هناك جملة من أصحاب الأئمّة ألّفوا في هـذه الأصـول حتـى أوصلها بعضهم إلى أكثر من أربعمائة أصل (قاعدة) مثل قاعدة «كلّ شيء لـك طاهر حتى تعلم أنّه نجس» أو قاعدة «كلّ شيء لك حلال حتى تعلـم أنّـه حـرام»[1] بحيـث يستطيع الفقيه من خلالها إصدار الحكـم الـشرعي، وكـلّ هـذه القواعـد التـي ذكرهـا العلماء مصدرها الأوّل هو القرآن وقول المعصوم عليه السلام وتقريره، ولـذلك يقـول الـسيّد عبد الله شبّر، في كتابه الأصول الأصـلية والقواعـد الـشرعية، فـي مقدّمتـه: «وتـضمّنت مهمّات المسائل الأصولية التي تـستنبط منهـا الأحكـام الـشرعية الفرعيـة، مـن الآيـات القرآنية والأخبار المعصومية، وسمّيتها الأصول الأصـلية والقواعـد الـشرعية»[2]. ولقـد عني أئمّـة أهـل البيـت بإعـداد هـؤلاء الأفـذاذ الكبـار مـن العلمـاء، وتعليمهم قواعـد الاسـتنباط، وتـأهيلهم للفتـوى، لعلمهـم عليهم السلام بحاجـة الأمّـة إلـى أمثـالهم سـواء فـي عصرهم عليهم السلام، لتعذّر وصول المعصوم إلـى كـلّ مكـان فـي آن واحـد، ممّـا يـستدعي وجود وكلاء يعملون ضمن قواعد معيّنـة ومعطـاة لهـم مـن قبـل المعـصوم، هـذا مـن جانب، ومن جانب آخر تكون مثل هذه العملية إعداداً طبيعياً تدريجياً لمرحلـة الغيبـة الصغرى والكبرى، والتي سوف تعتمد الأمّة خلالها على خلفاء المعـصومين عليهم السلام، ألا وهم العلماء العاملون، كما في التوقيع من الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف:

«وأمّـا الحـوادث الواقعـة، فـارجعوا فيهـا إلى رواة أحاديثنـا، فـإنّهم حجّـتي عليكم، وأنا حجّة الله».[3]

---

(١) الفقه للمعتريين: ص٨٥.

(٢) الأصول الشرعية والقواعد الفقهية للسيّد عبد الله شبّر: ص٥.

(٣) كفاية الأحكام: ص٨٣.

فائدة

وهناك بعض الروايات التي رواها لنا حفيد الشهيد الكربلائي «عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي» وردت في الكثير من المؤلّفات القديمة والحديثة لمدرسة اهل البيت وغيرها، أذكر بعضاً منها فيما يتعلق بأهمّية التسمية وفضلها، خصوصاً في أيّامنا، حيث أخذ الكثير من إخواننا يسمّون أبناءهم تسميات ما أنزل الله بها من سلطان، بل ربما تكون مدعاة لهم ودافعاً للانحراف لا قدّر الله، فإنّ للاسم آثاراً نفسيّة ومعنوية على الوليد تصحبه إلى آخر عمره.

ينقل ابن بكير في كتابه «فضائل التسمية» أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام في هذا المجال، منها:

أولاً: «حدّثنا أبو يعقوب بن يوسف بن علي بن يحيى العزّاوي، حدّثنا أبو بكر أحمد بن شاذان البزّاز ببغداد، حدّثنا أبو القاسم عبد الله بن عمّار الطائي، حدّثنا أبي، حدّثنا علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جدّه جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا سمّيتم الولد محمّداً فأكرموه وأوسعوا له المجلس، ولا تُقبّحوا له وجهاً»[1].

ثانياً: «حدّثنا أبو يعقوب بن يوسف بن علي الفقيه، حدّثنا أبو بكر ابن شاذان ببغداد، حدّثنا أبو القاسم الطائي، حدّثنا أبي، حدّثنا أبو الحسن الرضا عن موسى ابن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن جدّه علي زين العابدين عن أبيه

(١) فضائل التسمية لابن بكير، تحقيق مجدي فتحي السيّد: ح٢٥.

الحسين عن أبيه علي بن ابي طالب قال: قال رسول اللهﷺ: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد إلاّ قدّس ذلك المنزل في كلّ يوم مرّتين».[١]

ثالثا: «حدّثنا أبو يعقوب يوسف بن علي الفقيه، حدّثنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن البغدادي، حدّثنا عبد الله بن أحمد بن عمّار الطائي، حدّثنا أبي، حدّثنا علي ابن موسى العلوي، حدّثنا أبي موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه محمد الباقر عن ابيه عن جده الحسين عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول اللهﷺ: ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه أحمد أو محمد فأدخلوا مشورته إلاّ خير لهم فيها».[٢]

وقدً ورد عن طريق حفيد الشهيد الكربلائي في حقّ الزهراء روايات نذكر منها هذه الرواية: «روى الشيخ المجلسي عن عيون أخبار الرضا عن أحمد بن جعفر البيهقي عن علي الجرجاني عن إسماعيل بن أبي عبد الله القطّان عن أحمد ابن عبد الله بن عامر الطائي عن أبي أحمد بن سلمان الطائي عن علي بن موسى الرضا عن آبائه قال: قال رسول اللهﷺ: تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدم تتعلّق بقائمة من قوائم العرش وتقول: يا عدل، احكم بيني وبين قاتل ولدي، قال رسول الله: فيحكم الله لابنتي وربّ الكعبة، وإنّ الله عزّ وجلّ ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها».[٣]

---

(١) فضائل التسمية لابن بكير، تحقيق مجدي فتحي السيّد: ح٢٣.

(٢) نفس المصدر: ح٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٢٢٠.

الشهيد في كربلاء

لقد تربّى الشهيد الكربلائي عمّار بن حسّان الطائي، على نهج الولاء للحقّ وأهله، والبراءة من الباطل وأتباعه، كما كان أبوه «حسّان» على ذلك، حتى خرّ في صفّين شهيداً، فخرج الشهيد وهو يملك إخلاصاً عالياً، وشجاعة في نصرة الحقّ يشار اليها بالبنان، وفهماً وبصيرة، وقد وعى قول رسول الله:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[1].

فعرف إمام زمانه فوالاه ولازمه، وصحبه من مكّة إلى كربلاء، ولم يتزلزل قيد أنملة حتى وصل إلى كربلاء، وصار يوم العاشر من المحرّم.

وبدأ الحسين يعظ القوم وينصحهم عسى أن يجد فيهم من يتّعظ ويكفّ عن محاربة الله في أهل بيت نبيّه، ولكنّ القوم أبوا إلاّ القتال وعندها أبت العزّة الحسينيّة إلاّ التقدّم والنزال، دفاعاً عن العرض والدين، وصوناً للمبادئ الأصيلة والقيم السامية. وينقل أنّ الشمر حمل حملته الغادرة نحو عسكر أبي عبد الله بأصحابه، عن اليمين والشمال، رشقاً بالنبال عن بعد، فأصاب أصحاب الحسين التي بين قتيل وجريح، وهي التي عرفت بالحملة الأولى، وكان بين الشهداء آنذاك، كما يروي ابن شهر آشوب في المناقب، عمّار بن حسّان الطائي رضي الله عنه فحاز بذلك الفوز العظيم، وألهب الحماس والثورة في نفوس الأحرار، وبقي ذكره خالداً مع ذكر الحسين عليه السلام وأصحابه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ونال الشرف العظيم بتسليم الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف عليه بقوله:

«السلام على عمّار بن شريح الطائي».

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (طبعة القاهرة): ج١ ص١٧٢، في ذيل الاسماعيلية.

الشهيد عبدُ الله بن يقطر عليه السلام

بين يدي الشهيد:" قال احد الشعراء راثياً شهداء الطف [1]:

أذا العــين قــرّت في الحيــاة وأنــتم	تخــافون في الــدنيا فــاظلم نورهــا
مــررتُ علــى قــبر الحــسين بكــربلا	ففــاض عليــه مــن دمــوعي غزيرهــا
ومازلــت أبكيــه وأرثــي لــشجوه	ويــسعُد عــيني دمعهــا وزفيرهــا
وبكيــت مــن بعــد الحــسين عــصائباً	أطافــت بــه مــن جانبيــه قبورهــا
ســلامٌ علــى أهــل القبــور بكــربلا	وقــل لهــا مــني ســلامٌ يزورهــا
ســلامٌ بأصــال العــشي وبالــضحى	تؤديــه نكبــاءُ الريــاح ومورهــا
ولا بــرح الوفّــاد زوار قــبره	يفــوح علــيهم مــسكها وعبيرهــا

نعم، لا يستطيع الإنسان أن يمسك زمام نفسه وعاطفتها وأن يتمالك بإسرار زفرته ودمعتها، وهو يقف على ثرى الطف، فتتمثل أمامه تلك النخبة المؤمنة والصالحة مع الحسين عليه السلام، التي سطرت أعظم الملاحم الإيمانية عليها، أولئك الذي أبوا إلا أن يعيشوا مع الحسين عليه السلام وأن يموتوا مع الحسين عليه السلام وأن يحشروا مع الحسين عليه السلام ومنهم الشهيد عبد الله بن يقطر رضي الله عنه، هذا الرجل الذي آلى على

(١) هو عقبة بن عمرو السهمي بن عوف بن غالب وهو أول من رثى الحسين وشهداء الطف/ أدب الطف للسيد جواد شبر ١/ ٥٢.

نفسه أن لا يبيع سرَّ الحسين الذي أعطاه له، وإن حصل ما حصل، بل ولو قُطِعَ رأسه، وتكسرت أضلاعه، وكأنه أراد أن يوصل رسالةً مفادها، أنّ معنى الحياة الحقيقية، هي أن يعيش الإنسانُ حراً كريماً، أمّا إذا فقدها، فلا خير في الحياة أبداً وكما يقول الإمام أمير المؤمنين:

«فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين»[١].

وهذه هي رسالةُ الحسين عليه السلام نفُسها التي أراد ان يوصلها إلى تلك الأمة الميتة، من أجل ان تعي واقعها الخطير الذي تعيشه مع يزيد وعبيد الله بن زياد، يقول الحسين عليه السلام:

«فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما»[٢].

أقوال العلماء في الشهيد الكربلائي

١ـ قال ابن حجر وهو يتحدث عن الشهيد عبد الله بن يقطر: ذكر أبو جعفر الطبري أنه قتل مع الحسين بن علي بكربلاء وكان رضيعه[٣].

٢ـ قال الفضيل بن الزبير: وقُتل عبد الله بن يقطر رضيع الحسين بن علي، بالكوفة، رمي من فوق القصر فتكسر فقام إليه عبد الملك بن عمير اللخمي فقتله واحتز رأسه[٤].

---

(١) على خطى الحسين/ د. أحمد راسم النفيس/ ص٥٨.

(٢) العوالم، الإمام الحسين/ الشيخ عبد الله البحراني/ ص٦٧.

(٣) الاصابة لابن حجر: ج٤ ص٥٩.

(٤) مقتل الفضيل بن الزبير/ تحقيق السيد محمد رضا الجلالي/ مجلة تراثنا ـ العدد (٢) ص١٥٢.

٣ـ قال العلاّمة ابنُ داود: عبدُ الله بن يقطر، يقال بالياء المثناة تحت ويقال بالباء المضمومة المفردة تحت والقاف والطاء المهملة المضمومة، رضيعه أرسله إلى الكوفة[١].

٤ـ قال الراوندي: عبد الله بن يقطر بن أبي عقب الليثي من بني الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة [٢].

٥ـ قال علي النمازي الشاهرودي: عبد الله بن يقطر، رضيع الحسين، وهو حامل كتاب أهل الكوفة إلى مولانا الحسين عليه السلام، وهو حامل لكتاب الحسين إلى أهل الكوفة [٣].

٦ـ قال الشيخ محمد السماوي: عبد الله بن يقطر الحميري، رضيع الحسين، كانت أُمّه حاضنة للحسين كأم قيس بن ذريح للحسين عليه السلام ولم يكن رضع عندها ولكنه يسمى رضيعاً لحضانة أُمّه له[٤].

٧ـ قال الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله: عبد الله بن يقطر، حميري من عرب الجنوب، كانت أُمّه حاضنة للحسين عليه السلام ذكره ابن حجر في الاصابة، قال انه كان صحابياً لأنه لدة الحسين[٥].

---

(١) كتاب الرجال لابن داود: ج١ ص١٣٥ / ٩٣٠.

(٢) كتاب الخرائج والجرائح للراوندي ج٢ ص٥٥٠.

(٣) مستدركات علم الرجال للنمازي: ج٥ / ص١٣٥.

(٤) إبصار العين للسماوي/ ص ٩٣ ـ ٩٤

(٥) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ١٢٣.

أسم الشهيد واسم أبيه

لا يوجد خلاف عند من تحدث وكتب عن الشهيد انه «عبد الله».

نعم ورد الاختلاف في اسم ابيه رضي الله عنه حيث انقسموا فيه إلى رأيين:

أحدهما: «يقطر» وهو ما ذهب إليه مشهور العلماء[١].

والآخر: «بقطر» وهو ما مال إليه بعضهم[٢].

وقد أشار ابن حجر في الاصابة إلى أن والد الشهيد الكربلائي عبد الله هو «يقظة»[٣] ولكنه يحمل على التصحيف ومن ثم لا يرقى إلى درجة الرأي، ونفس الحمل يمكن ان يكون على ما ورد في رواية تسلية المجالس أنه «ابن يقطين»[٤].

معنى يقطر وبقطر

أمّا «يقطر» فلا أشكال في أن معناها قطر الماء والدمع وغيرهما من السيال يقطر قطرا وقطورا وقطرانا وأقطر، الاخيرة عن أبي حنيفة، وتقاطر، أنشد ابن جني:

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد: ج٢ ص٧٠، عوائد الأيام للمحقق النراقي: ص٨٦٧، الخرائج والجرائح للراوندي: ج٢ ص٥٥٠، مناقب ابن شهراشوب: ج٣ ص٢٣٢، المزار للشهيد الأول: ص١٥٣، الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي: ج٣ ص١٤٥، رجال الطوسي: ص١٠٣، خلاصة الأقوال للعلامة الحلي: ص١٩٢، رجال ابن داود: ص١٣٥، نقد الرجال للتفريشي: ج٣ ص١٥٤.

(٢) قاموس الرجال للتستري: ج١٠ ص٦٧، الثقات لابن حبَّان: ج٢ ص٣١٠، سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣ ص٢٩٩، الاصابة لابن حجر: ج٥ ص٨ (٦١٨٠)، أعيان الشيعة للسيد الأمين: ج١ ص٥٩٥.

(٣) الاصابة: ج٤ ص٥٩ وربما كان تصحيف أو خطأ في بعض طبعات الاصابة الجديدة كما أشار إلى ذلك بعض المحققين.

(٤) تسلية المجالس: ج٣ ص١٨٣.

كأنــه تهتـــان يـــوم مـــاطر　　　مـــن الربيـــع دائـــم التقـــاطرِ[١]

وأمّا «بقطر»: يقول الزبيدي: بقطر كعصفر رجل ... بلالَ بن بقطر ... أبو الخطاب عثمان بن موسى بن بقطر... بقاطر الاسقف.

والبقطرية بالضم أهمله الجوهري، قال الفراء: البقطرية: الثياب البيض الواسعة [٢]. وفي التهذيب: القبطري: ثياب بيض وانشد:

كـــأن لـــون القمـــر في حـــضورها　　　والقبطـــري ألبـــيض في تأزيرهـــا

ويقول آخر:

كـــأن زرور القبطريـــة علقـــت　　　بنادكهـــا منـــه بجـــذعٍ مقـــومِ

ويبدو أن «بقطر» من الاسماء القبطية التي كانت موجودة سابقاً قبل الإسلام، وما زالت إلى يومنا هذا، حيث تستعمل في الوسط المسيحي كثيرا ـ أمثال الياس بقطر وهو مصري قبطي ولد في مصر ومات في باريس[٣] وبقطر المحاسب وهو كاتب البرديسي[٤] وآخرين ولا يعني ذلك ان الشهيد عبد الله بن يقطر كان مسيحياً أو أنه يرجع إلى قبيلة مسيحية، وإنما يرجع مثل هذا الأمر إلى ما تعارف عليه العرب من تداخل مع الديانة المسيحية وانتشارها وتغلغل الأسماء المسيحية عندهم، وتسمية بعضهم بها.

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ج١٢ ص١٣٤ مادة«قطر».

(٢) تاج العروس للزبيدي: ج٦ ص١٠٨«بقطر».(هامش مفقود بالمتن: لسان العرب لابن منظور:ج١٢ مادة«قبطر».

(٣) الأعلام للزركلي: ج٢ ص٩.

(٤) عجاب الآثار، للجبريتي: ج٢ ص٦٣٢.

كلمة إلى من يهمة الأمر

وهنا لابد لنا من الاشارة إلى أهمية الاسم للإنسان، حيث إن من حق الولد على أبيه كما في الروايات عن أهل البيت ان يحسن تسميته، فمن سُمِّي حسيناً ثم اطلع على ما صنعه الإمام الحسين عليه السلام بعد ذلك، لا شك أنه سيعيش الفخر والاعتزاز ـ طبعاً إذا جرت الأمور بشكل طبيعي ـ بعكس ما إذا سُمي الإنسان بأسماءٍ تركت آثارها السلبية على التاريخ وعلى الواقع الإنساني فإنها سوف تترك آثارها حتى بعد بلوغه، لا سيما في هذا الوقت الذي نعيش فيه، حيث الغزو الثقافي الذي أخذ يأتينا من كل الجهات والذي وصل إلى درجة التأثير حتى على تسمية أبنائنا وفلذات أكبادنا.

والد الشهيد والخدمة لرسول الله

لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وآله حياته كما يعيشها سائر الناس في جميع صورها وأشكالها، وكما يقول القرآن الكريم:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[1].

حيث كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وكان له بيته كما كان للناس بيوتهم، فضلاً عما يترتب على وجود مثل هذا البيت من تحملٍ لمسؤولية الأزواج والذرية يقول القرآن الكريم وهو يتحدث عن هذا الجانب المهم في حياة الأنبياء عموماً:

---

(١) الكهف/ ١١٠.

﴿ وَجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَذُرِّيَّةً ﴾ [(١)].

ومع كل هذه المسؤوليات نجده صلى الله عليه وآله يحب ويرغب أن يباشر أعماله وأعمال بيته بنفسه، بل كان لا يرضى للآخرين أن يؤدوا بعض شؤونه، لا سيما فيما يتعلق بالطهارة والصدقة كما في بعض الروايات، ومع ذلك فقد ذكر لنا التاريخ اسماء رجالٍ ونساءٍ تشرفوا في خدمته صلى الله عليه وآله، ونذروا أنفسهم في سبيل راحته صلى الله عليه وآله، لعظيم ما كانوا يرونه من أخلاقه العالية وشفقته المميّزة مع من يخدمه، حيث كان رافعاً لمعنوياتهم، وجابراً لخاطرهم، مبتسماً في وجوههم، قاضياً لحوائجهم، عائداً لمريضهم متفقداً لأحوالهم، ساداً لخلتهم، داعياً لهم بالخير [(٢)]، فضلاً عن تعليمهم أمور دينهم ودنياهم، حتى خرج من خدمته كبار العلماء والفقهاء والحكماء، ولقد ذكر لنا التاريخ العشرات ممن تبرعوا لخدمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان منهم والد الشهيد الكربلائي «عبد الله بن يقطر»، حيث ذكر السيد البرقي في تاريخ الكوفة ما نصه: «كان عبدالله بن يقطر الحميري صحابياً، وكان لدة الحسين، كما ذكره ابن حجر في الاصابة، والجزري في اسد الغابة، واللّدة: الذي ولد معك وتربى، لأن يقطر اباه كان خادماً لرسول الله صلى الله عليه وآله» [(٣)].

---

(١) الرعد/ ٣٨.

(٢) حتى قال أحدهم «خدمت رسول الله عشر سنين، فلم يضربني ضربة قط، ولم يسبّني ولم يعبس في وجهي، وكان أول ما أوصاني به ان قال: يا بني أكتم سرّي تكن مؤمناً فما أخبرت بسرّه أحداً وإن كانت أمي، وازواج النبي صلى الله عليه وآله يسألنني أن أخبرهن بسرّه، فلا أخبرهن ولا أخبر بسرّه أحداً ابداً» المعجم الصغير للطراني: ج٢/ ص١٠٠.

(٣) تاريخ الكوفة للسيد البرقي: ص٣٢٢.

ولقد كان والد الشهيد مفتخراً بهذه الخدمة النبوية وبهذه التسمية الإيمانية، فكان يفرح ويطرب إذا ما نودي عليه بخادم رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد اكتسب نتيجة هذه الخدمة وهذا الشرف مكانة كبيرة بين اصحاب رسول الله، بل بين المسلمين في كل زمان ومكان حيث تحول إلى قدوة للمؤمنين يهتدون بهداه ويسيرون على خطاه.

والدة الشهيد والخدمة في بيت علي عليه السلام

نقل السيد البرقي في كتابه القيِّم تاريخ الكوفة ان والدة الشهيد عبد الله بن يقطر رضي الله عنه كان اسمها «ميمونة»، وكانت خادمة في بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث عاشت في هذا البيت الذي كانت السماء ترعاه، والملائكة تغشاه، حيث بيت النبوة وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، فنهلت من آدابهم وأخلاقهم وعلومهم لا سيما من سيدتها الزهراء عليها السلام والتي غرست في نفسها معاني الكمال والفضيلة، فكانت بدرجة عالية من التقوى والزهد والورع.

ويبدو أن بقاءها في بيت الإمام لم يكن لمدة محدودة، بل كان وجودها منذ نشوء البيت في أيامه الأولى، ولهذا يُنقل كما في تاريخ الكوفة أنها ولدت الشهيدة عبد الله بن يقطر قبل ولادة الحسين عليه السلام بثلاثة أيام وكانت حاضنة له[1]. ولا شك ان هذا الحضن لو لم يكن طاهراً وطيباً، لم يهيئه الله سبحانه وتعالى لإحتضان سيد شباب أهل الجنة، الذي كانت ترعاه يد السماء منذ أن وطئت أقدامه هذه الدنيا.

(١) تاريخ الكوفة للسيد البرقي: ص٣٢٢.

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن الحسن بن يزيد، عن فاطمة بنت موسى بن جعفر عن عمر بن علي بن الحسين، عن فاطمة بنت الحسين، عن اسماء بنت أبي بكر، عن صفية بنت عبد المطلب، قالت: «لما سقط الحسين عليه السلام من بطن أُمّه ـ وكنت وليتها ـ قال النبي صلى الله عليه وآله يا عمة، هلمي إلي ابني فقلت: يا رسول الله إنا لم ننظفه بعد. فقال صلى الله عليه وآله: يا عمة، أنت تنظفينه؟! إن الله تبارك وتعالى قد نظفه وطهّره»[1].

قبيلة الشهيد الكربلائي

لقد أخُتلف في نسب الشهيد عبد الله بن يقطر رضي الله عنه بين من يقول أنه «حميريّ قحطانيّ»، وبين من يقول انه ليثيّ عدنانيّ.

وسوف نذكر القولين فيما يلي مع تعليقتنا على ذلك:

القول الأول

ذكر العلامة المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين الشهيد عبد الله بن يقطر ثم نسبه بقوله «حميريّ من عرب الجنوب[2]» وهكذا ذكره غيره[3] وأرسلوا ذلك إرسال المسلّمات من دون ان يبيّنوا الدليل والمرجع الذي استقوا منه هذه النسبة. وبناءً على هذا الرأي يكون الشهيد راجعاً إلى حمير أخي كهلان أولاد سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان[4].

---

(١) أمالي الصدوق: ج٥ ص١١٧ المجلس ٢٨.

(٢) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص١٢٣.

(٣) أبصار العين للشيخ السماوي: ص٩٣.

(٤) التنبيه والإشراف للمسعودي: ص٢٣٣.

القول الثاني

ويذهب إليه قطب الدين الراوندي في كتابه الخرائج والجرائح إلى أن الشهيد يرجع الى ابن أبي عقب الليثي من بني ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، رضيع الحسين عليه السلام[1].

وبناءً على هذا الرأي يكون الشهيد راجعاً إلى كنانة التي ينتهي نسبها إلى عدنان[2] وعليه يكون من عرب الشمال لا الجنوب كما تقدم.

وعلى كلا الرأيين فإن كلتا القبيلتين الحميريّة والليثيّة كان لها دور مهم في نصرة الإسلام ورسوله الكريم وخرّجت الكثير من العلماء المجاهدين.

رضيعُ الحسين عليه السلام أمّ لِدته

انقسم العلماء ومن تحدث عن الشهيد عبد الله بن يقطر إلى قسمين، حيث ذهب بعضهم إلى ان الشهيد كان رضيعاً للحسين عليه السلام، بينما ذهب آخرون إلى أنه كان لدة الحسين عليه السلام، وسوف نتحدث عن كل من الرأيين بشيء من التفصيل.

الرأي الأول: يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن الشهيد عبد الله بن يقطر كان رضعياً للحسين بن علي عليه السلام[3]، أي إن الحسين كان قد رضع من حليب والدة الشهيد عبد الله بن يقطر «ميمونة». وعليه يكون الشهيد أخاً للحسين من الرضاعة.

(١) الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج٢ ص٥٥٠.

(٢) التنبيه والإشراف للمسعودي: ص٦٩، معجم قبائل العرب: ج٣ ص١٠١٩.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢ ص٧٠، ابن شهراشوب في المناقب: ج٣ ص٢٣٢، رجال الشيخ الطوسي: ص١٠٣، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج١١ ص٤٠٨، إبصار العين للسماوي: ص٩٣ وآخرين.

رضاعة الحسين

سوف نقف هنا قليلاً مع هذا الموضوع المهم الذي تحدثت عنه الروايات، واخذ بعضهم يكيل ــ بسببه ـ التهم على أتباع أهل البيت بالمغالاة وغيرها، ونحاول في هذه الوريقات أن نتحدث عن هذا الأمر بشيء من التفصيل حتى يعلم المخالف فضلاً عن الموالف بأن ما نعتقده فيه لا يخرج عما يعتقده المسلمون ويؤمنون به.

ومن خلال مراجعة النصوص وآراء العلماء في ذلك يتبين لنا بأن هناك ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: وهو الاتجاه الذي يؤمن بأن الحسين عليه السلام لم يرضع من ثدي امرأة سواءٌ أكانت أُمّه فاطمة أُمّ غيرها من النساء، إنما كانت رضاعته عن طريق مصِّ إبهام رسول الله صلى الله عليه وآله أو ما شاكل ذلك، وقد استُدل على هذا الرأي بمجموعة من الروايات منها:

١ـ روى المجلسي وغيره عن الصادق عليه السلام قال: «لم يرضع الحسين من فاطمة ولا من أُنثى، وكان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه فيمص منه ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله ودمه»[(١)].

٢ـ وروي عن ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «يؤتى به الحسين فيلقمه لسانه فيمصه فيجتزئ به، ولم يرضع من أنثى»[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤ ص٢٣٣ ح ١٧ باب ٣٠

(٢) بحار الأنوار: ج٣٦ ص١٥٨ ح ١٣٧ باب ٣٩.

٣ـ وممن ذكر هذا الأمر محمد بن العباس، قال: حدثنا همام عن عبد الله بن جعفر عن الحسن بن زيد عن آبائه، قال: «نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد يولد لك غلام تقتلهُ أمتك من بعدك، فقال: يا جبرئيل لا حاجة لي فيه فقال: يا محمد إن منه الأئمة والأوصياء قال وجاء النبي صلى الله عليه وآله إلى فاطمة فقال لها إنك تلدين ولداً تقتله أمتي من بعدي فقالت لا حاجة لي فيه فخاطبها ثلاثاً ثم قال لها إن منه الأئمة والأوصياء فقالت: نعم يا أبي فحملت بالحسين عليه السلام فحفظها الله وما في بطنها من إبليس فوضعته لستة أشهر، ولم يسمع بمولودٍ ولد لستة أشهر إلا الحسين عليه السلام ويحيى بن زكريا، فلما وضعته وضع النبي صلى الله عليه وآله لسانه في فيه فمصه ولم يرضع من أنثى حتى نبت لحمه ودمه من ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قول الله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمّه كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شهراً ﴾[1][2].

أقول: ما تقدّم يمثل أهم الروايات التي يمكن ان تُدّعى على هذا الأمر، ولنا عليها النقاط التالية:

أولاً: أن هذه الروايات ضعيفة السند إمّا لجهالة بعض رواتها وإمّا لإرسال البعض الآخر منها، كما أشار إلى ذلك العلّامة المجلسي في كتابه «مرآة العقول»[3].

---

(١) العنكبوت/ ٨.

(٢) شرح أحقاق الحق للسيد المرعشي: ج٣ ص٥٦٥.

(٣) مرآة العقول: ج٥ ص٣٦٥.

ثانياً: وعلى فرض صحة السند وتماميته، فإمّا أن يُحمَل على الكرامة والمعجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله، لا سيما وقد ذكر لنا القرآن الكريم فضلاً عن الروايات، الكثير من المعاجز والكرامات التي أجراها الله عز وجل على يديّ الأنبياء السابقين، مثل التكلم بالمهد، والإحياء للموتى، والشفاء للمرضى، والتكلم مع النمل والطيور، وما شاكل ذلك، فإذا كان مثل هذا الأمر قد حصل مع الأنبياء السابقين، فلم يستكثر مع خاتمهم وسيدهم «محمد» مثل هذا الأمر.

وإمّا ان يحمل على الكرامة والمعجزة للحسين صلى الله عليه وآله خصوصاً وقد امتلأت كتب الفريقين بالكثير من معاجزه وكراماته سواءٌ عند ولادته أو بعدها إلى ساعة شهادته عليه السلام بل وبعدها، ولا أريد هنا سرد هذه الكرامات وهي كثيرة، ولكني سوف أشير إلى رواية واحدة، أشار اليها الخوارزمي في مقتله، حيث يقول: «حدّثنا أمير المؤمنين المنصور أبو جعفر قال: حدّثني والدي، عن أبيه، عن جده قال: كنت ذات يوم جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبلت فاطمة بنته عليها السلام فدخلت عليه، فقالت: يا أبة إن الحسن والحسين خرجا، آنفاً وما أدري أين هما؟ فقد طار عقلي وقلق فؤادي وقلّ صبري، وبكت وشهقت حتى علا بكاؤها، فرحمها ورقّ لها وقال: لا تبكي يا فاطمة فوالذي نفسي بيده إن الذي خلقهما هو الطف بهما منك، وأرحم بصغرهما منك، ثم قام من ساعته ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إنهما ولداي وقرة عيني وثمرة فؤادي وأنت أرحم بهما وأعلم بموضعهما، يالطيف بلطفك الخفي، أنت عالم الغيب والشهادة، اللهم إن كانا أخذا برّاً وبحراً فاحفظهما وسلّمهما حيث كانا، وحيث توجها. فما استتم رسول الله دعاءه حتى

هبط جبرئيل من السماء ومعه عظماء الملائكة وهم يؤمّنون على دعاء النبي صلى الله عليه وآله، فقال جبرئيل: يا حبيبي يا محمد! لا تحزن ولا تغتم وأبشر فإن ولديك فاضلان في الدنيا وفاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما! وهما نائمان في حظيرة بني النجار، قد وكّل الله بهما ملكاً يحفظهما، فلما قاله له جبرئيل ذلك سرا عنه، وقام ومعه أصحابه وهو فرح حتى أتوا حظيرة بني النجار، فإذا الحسن والحسين نائمان وإذا الحسن معانق الحسين وإذا الملك الموكّل قد وضع أحد جناحيه في الأرض وطاءً تحتهما يقيهما من حر الأرض وجلّلهما بالجناح الآخر غطاءً يقيهما حرّ الشمس، فانكبّ عليهما النبي يقبّلهما واحداً مُوحداً، ويمسحهما بيده حتى أيقظهما من نومهما، فلما ايقظهما حمل النبي الحسن على عاتقه وحمل جبرئيل الحسين على ريشة من جناحه حتى خرجا بهما من الحظيرة والنبي يقول: والله لأشرّفنّكما اليوم كما شرّ فكما الله تعالى في سماواته...»[1].

وهذا فيض من غيض كرامات الحسين عليه السلام الكثيرة، فاذا كان الأمر معه هكذا فلم يُستكثر عليه كرامة الرضاعة من إبهام جده المصطفى صلى الله عليه وآله.

ثالثا: وبغض النظر عن كل ما تقدم، فقد ذكرت كتب المسلمين وصحاحهم ما يقرب من هذه الكرامة مع نبي الله موسى عليه السلام.

فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن نبي الله موسى حينما كان طفلاً ورمي في البحر وكيف وجدته أُمّه آسية: «ففتحت التابوت فإذا هي بصبي صغير

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: الفصل السادس/ في فضائل الحسن والحسين والرضوان/ ١٠١، المناقب / ٢٨٤ / ج٢٧٩ بتفاوت.

في مهده، فإذا نور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في البحر في إبهامه، وإذا إبهامه في فيه يمصه لبناً وألقى الله لموسى المحبة في قلب آسية فلم يبقَ منها عضو ولا شعر ولا بشر إلا وقع فيه الاستشعار فذلك قوله:

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[1][2].

إضافة لما رواه الفريقان في نبوع الماء من بين أصابعه الشريفة حتى سقى جيشاً كان يبلغ الفاً وخمسمائة رجل.

فقد روت صحاح المسلمين كالبخاري وغيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وآله بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: مالكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا عشرة مائة»[3].

أقول: إذا كانت أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله قد سقت وأروت كل هذا العدد الكبير من الجيش، ولم نعترض عليه، أو نرى فيه محذوراً يمنعه، فلم نمنع أو نستكثر ان يتفجر من بين أصابعه الشريفة ما يمكن ان يغذي ولده الحسين عليه السلام.

الإتجاه الثاني: وهو الإتجاه الذي يؤمن أن الحسين عليه السلام رضع من أُمّه فاطمة، دون غيرها من النساء، وإبهام رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أشار إلى ذلك بعض

---

(١) طه/ ٣٩.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٢٢ ص٦١، البغوي في تفسيره: ج٦ ص١٩٢.

(٣) صحيح البخاري: ج٣ ص١١٠٥، صحيح ابن حبان: ج١٤ ص٤٨٠، وغيرهما.

العلماء، يقول السماوي في إبصار العين: كما صح في الأخبار أنه لم يرضع من غير ثدي أُمّه فاطمة وإبهام رسول الله صلى الله عليه وآله تارة، وريقه تارة أخرى[١].

وبتقديري أن أصحاب هذا الاتجاه، يؤمنون بأن رضاعة الحسين عليه السلام العامة كانت من ثدي أُمّه الزهراء عليها السلام، وهذا ما تتولاه بشكل طبيعي كل أُمّ بعد أن تضع وليدها، ومن هنا نقرأ في زيارة عرفة للإمام الحسين عليه السلام «غذتك يدُ الرحمة ورضعت من ثدي الإيمان وربيت في حجر الإسلام»[٢].

يقول توفيق بو خضر في كتابه (عبقرية مبكرة لأطفالنا): (إن السيدة الزهراء عليها السلام تمثل الإيمان حقيقة، فقد رضع الحسين عليه السلام هذا الإيمان من أُمّه الزهراء عليها السلام) [٣].

ويقول السيد محمد رضا الجلالي في كتابه الإمام الحسين سماته وسيرته: (لابد أن الحسين ارتضع بلبان المعرفة والحكمة من الزهراء أُمّه، وقد ورد في الحديث ان الرسول نفسه زقه بلسانه: وبإبهامه يمص منها ما ينبت اللحم)[٤].

وكيف لا يرضع الحسين عليه السلام من ثدي أُمّه الزهراء عليها السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله «ليس للصبي لبن خير من لبن أُمّه»[٥] ويقول أمير المؤمنين عليه السلام «ما من

---

(١) إبصار العين للسماوي: ص٩٣.

(٢) مفاتيح الجنان، زيارة الإمام الحسين عليه السلام في عرفة.

(٣) عبقرية مبكرة لأطفالنا للاستاذ توفيق بو خضر: ص١٠١.

(٤) الإمام الحسين سماته وسيرته للسيد محمد رضا الجلالي: ص٢٩.

(٥) وسائل الشعية للحر العاملي: ج١٥ ص١٨٨.

لبن رضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أُمّه»[١] ولا شك أن الزهراء أولى الناس بتطبيق كلام أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وكلام زوجها أمير المؤمنين عليه السلام.

نعم، في بعض الروايات أن الزهراء عليها السلام اعتلّت أو جف لبنها وبحث رسول الله صلى الله عليه وآله لها عن مرضعة للحسين عليه السلام فلم يجد، عندها قدم له إبهامه الشريف كما تقدم قبل ذلك، يقول ابن شهراشوب في المناقب: اعتلّت فاطمة عليها السلام لمّا ولدت الحسين عليه السلام وجف لبنها، فطلب رسول الله صلى الله عليه وآله مرضعة فلم يجد، فكان يأتيه فيلقمه إبهامه يمصها ويجعل الله في إبهام رسوله رزقاً يغذيه، ففعل ذلك أربعين يوماً وليلة، فأنبت الله لحمه من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

والذي يفهم من ظاهر نص ابن شهراشوب المتقدم، أن عملية إرضاع رسول الله بإبهامه الشريف للحسين عليه السلام، لم تكن إلا لمدّة محدودة بسبب مرض أُمّه الزهراء عليه السلام، وإلا فمدّة الرضاعة بشكل عام كانت من ثدي أُمّه عليها السلام.

الاتجاه الثالث: يؤمن اصحاب هذا الرأي بأن الحسين عليه السلام كان قد رضع من غير ثدي أُمّه الزهراء عليها السلام، حيث اختار له رسول الله صلى الله عليه وآله مراضع يرضعنه في تلك المرحلة من عمره الشريف، ومثل هذا الأمر كان معمولاً به عند العرب لاسيما البيوتات الكبيرة، إذ كانوا يسترضعوا لأولادهم المرضعات ذوات الخلق الرفيع والنسب الأصيل، ممن يعشن في البادية، من أجل قوة البنية والفصاحة، والبلاغة وما إلى ذلك، كما جرى مثل هذا الأمر مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص١٧٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب: ج٤ ص٥٧.

وقد ذكرت كتب التأريخ ان الحسين عليه السلام، قد رضع من ثدي أكثر من امرأة، وهن:

أ) أُمّ الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، يقول الذهبي: «وكانت ثاني امرأة أسلمت، أسلمت بعد خديجة. قاله الكلبي[(١)].

ويقول ابن ماجة في سننه: (قالت أُمّ الفضل يا رسول الله رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضائك قال خيراً رأيتِ تلدُ فاطمة غلاماً فترضعيه فولدت حسيناً أو حسناً فأرضعته بلبن قثم قالت فجئت به إلى النبي صلى الله عليه وآله فوضعته في حجره...»[(٢)] وعليه فيكون قثم بن العباس بن عبد المطلب أخا الحسين عليه السلام من الرضاعة.

ب) أُمّ قيس بن ذريح، بنت سنة بن الذاهل بن عامر الخزاعي[(٣)]، وعليه فيكون قيس بن ذريح أخا الحسين من الرضاعة [(٤)] يقول القاضي التنوخي: وروى أبو الفرج قبل هذا في أخبار قيس بإسناد مفرد لم أذكره ههنا فوق الاطالة أنه كان رضيع الحسين عليه السلام[(٥)].

ج) ميمونة أُمّ عبد الله بن يقطر: وقد تقدم الحديث عنها [(٦)].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣ ص٤٤٠.

(٢) سنن ابن ماجة، مسألة: ٣٩٢٣/ باب تعبير الرؤيا: ج٢ ص٢٨٩.

(٣) الاغاني لأبي فرج الأصبهاني: ج٨ ص١٠٧.

(٤) إبصار العين للشيخ السماوي: ص٩٣.

(٥) الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي: ج٢ ص٤١٩.

(٦) وهناك من يرى بأن أم عبد الله بن يقطر كانت حاضنة للحسين عليه السلام وليست مرضعة، كما يذهب إلى ذلك السماوي في إبصار العين: ص٩٣ وغيره، الإيام المكية: ج٣ ص١٧٠

لِدة الحسين عليه السلام

يذهب بعض العلماء ـ استناداً إلى بعض المؤشرات ـ أن الشهيد الكربلائي لِدة الحسين عليه السلام، يقول السيد محمد مهدي بحر العلوم: وما جاء في كلام الطبري، وبعض المؤرخين، من أن عبد الله بن يقطر رضيع الحسين عليه السلام، ليس له صحة، بل كانت أُمّ عبد الله بن يقطر حاضنة للحسين عليه السلام، وكان لِدة الحسين عليه السلام، واللِّدة بكسر اللام الذي ولد مع الإنسان في يوم واحد[1].

فخر اقتران ولادة الشهيد بولادة الحسين عليه السلام

إن لمن دواعي الفخر والاعتزاز الكبيرين لدى الإنسان، أن يقترن مولده مع مولد إنسان عظيم كسيد الشهداء عليه السلام، بل وتأتي ولادته في نفس المكان الذي ولد فيه عليه السلام، ومن ثم تقترن حياته مع حياته منذ اللحظات الأولى مكاناً وزماناً، فلا ينادى إلا بلِدة الحسين عليه السلام، وفي ظل هذا الجو يكبر الشهيد الكربلائي ويدرج، فلا يطرق سمعه إلا صوت الحسين عليه السلام والاطهار من أهل بيته ويلْعب ويمرح فلا يبصر أمامه إلا طفلاً صغيراً يتحرك في بيت، ينزل فيه الوحي، وتتلى فيه آيات الله ليلاً ونهاراً ومهداً له يهزه جبرئيل، ويشب الشهيد في هذه الأجواء الإيمانية والوجوه الربانية، فتمتلئ عينه وقلبه ومشاعره من حب الحسين عليه السلام، ومن ثم يكون كظله الذي يتحرك معه، فلا يضع قدمه إلا حيث يضعها الحسين فماذا ترى يمكن ان يأخذ مثل هذا الإنسان وهو يعيش مع رفيق معصوم نزل القرآن الكريم بمدحه والثناء عليه[2].

---

(١) الفوائد الرجالية للسيد محمد مهدي بحر العلوم: ج٤ ص٣٢ الهامش رقم (١).

(٢) كما في آية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، وآية الإطعام وغيرها.

الجليس الصالح

لقد ذكر النبيﷺ وهو في معرض حديثه، عن الجليس الصالح والجليس السيئ الذي تركن إليه مدّة زمنية محدودة بقوله: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك (يعطيك)، وإمّا ان تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إمّا ان يحرق ثيابك وإمّا ان تجد ريحاً خبيثة»[١] فإذا كان الإنسان بجلسة قصيرة مع جليس صالح قد يحصل على واحدة من ثلاثة فإما أن يعطيك ويهديك أو تشتري منه أو تشم منه رائحة طيّبة، تؤثر في نفسك وبدنك وثوبك، فما بالك بصحبة طويلة تقترن مع الولادة وتمتد لتشترك حتى في صباها وشبابها وشيخوختها فلا ترضى لنفسها بعد ذلك إلا أن تشترك معها في نهاية شاءَ اللهُ تعالى لها أن تنتهي إليها، ما الذي يمكن أن يأخذه مثل هذا الإنسان مع صحبة من هذا القبيل؟ لا شك أن الشهيد عبد الله بن يقطر، قد أخذ من الحسين كلَّ مقومات الشخصية الإيمانية، فكان لا يرى الحسينُ خيراً إلا ويأمره به، ولا يرى سوءاً أو شراً إلا وينهاه عنه، فكان الحسينُعليه السلام بالنسبة إليه خيراً له من نفسه، وكما يقول أحد العلماء: (الأخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس أمّارة بالسوء والأخ الصالح لا يأمر إلا بالخير، يقول آخر: الاصدقاء ثلاثة أحدهم كالغذاء لابد منه، والثاني كالدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث كالداء لا يحتاج إليه قط).

ولا ريب أن الحسينعليه السلام كان للدته كالغذاء الذي لا يستغني عنه، وقديماً

---

(١) صحيح مسلم: باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء : ٢٦٢٨.

قالوا «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم لمن يخالل»[١]، ولقد أحسن الشاعر بقوله:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي[٢]

وأخيراً يروي المجلسي وغيره قول رقيقة بنت صيفي في حديث سُقيا عبد المطلب: «ألا وفيهم إلاّ الطيب الطاهر لِداته»[٣] والمراد من (لداته) يعني أتراب النبيﷺ وأقرانه، وإنما ذكروا أترابه وأقرانه كاسلوب من أساليب تثبيتها ووجودها لهم، فإن الإنسان إذا نودي بأقرانه وأترابه الصالحين، وُذكّر بهم، فإن مثل هذا الأمر سيكون عاملاً دافعاً له للمضي خلفهم، ومن هنا قالت العرب: فلان قد أيفعت لِداته، أي أيفع هو فكُني بإيفاع لداته عن إيفاع نفسه[٤].

صحبة الشهيد الكربلائي لرسول الله

لقد نصَّ كثير من العلماء على صحبة الشهيد عبد الله بن يقطر رضي الله عنه لرسول اللهﷺ، وذلك اعتماداً على الرأي المشهور للمُحدّثين الذين ذهبوا إلى تعريف الصحابي اعتماداً على اللغة، فادخلوا بناءً عليه كل من لقي النبيﷺ مؤمناً به، وإن لم تطل صحبته وجلسته معه، يقول ابن الجوزي: (وفصل الخطاب في هذا الباب بأن الصحبة إذا اطلقت فهي في المتعارف تنقسم إلى قسمين:

---

(١) كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي: ج١ ص١٧٢.

(٢) الآداب الشرعية، محمد بن مفلح بن محمد المقدسي: ج٣ ص٥٦٦.

(٣) بحار الأنوار: ج١٥ ص٤٠٤، التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٢٦ ص٤٦.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٢٦ ص٤٦.

أحدهما: ان يكون الصاحب معاشراً مخالصاً كثير الصحبة فيقال: هذا صاحب فلان، كما يقال: خادمه كمن تكررت خدمته لا لمن خدمه يوماً أو ساعة!!.

الثاني: أن يكون صاحباً في مجالسة أو عشاة ولو ساعة، فحقيقة الصحبة، موجودة في حقه وإن لم يشتهر بها[1].

وبناءً عليه يكون كل من نص على أخوّة الشهيد الكربلائي للحسين بالرضاعة، أو لِدته له، قد أشار إلى صحبة الشهيد لرسول الله صلى الله عليه وآله. لا سيما ابن حجر في الاصابة حيث نص على ذلك بشكل واضح وصريح قال: كان صحابياً لأنه لِدة الحسين عليه السلام[2].

الشهيد عبد الله بن يقطر وحركة الإمام المهدي: روى القطب الراوندي في كتابه الخرائج والجرائح، شعراً منسوباً إلى الشهيد عبد الله بن يقطر رضي الله عنه في نصوص حركة الإمام المهدي المباركة، قال: ومنها ما روي عن عبد الله بن يقطر بن أبي عقب الليثي من بني الليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، رضيع الحسين عليه السلام:

إذا كملت أحدى وستون حجة ... إلى خمسة من بعدهن ضرائح

وقام بنو ليث بنصر إبن أحمد ... يهزون أطراف القنا والصفائح

تعرفنهم شعث النواصي يقودها ... من المنزل الأقصى شعيب بن صالح

وحدثني إذ أعلم الناس كلهم ... أبو حسن أهل التقى والمدائح[3]

---

(١) الصحبة والصحابة، للشيخ حسن بن فرحان المالكي: ص١٤٠.

(٢) الاصابة لابن حجر: ج٤ ص٥٩ وفيه عبد الله بن يقظة ويبدو أنه فيه تصحيف كما مر سابقاً.

(٣) الخرائج والجرائح للقطب الراوندي: ج٢ ص٥٥٠.

هذه هي واحدة من الأدلة التي يذكرها العلماء في خصوص حركة الإمام المهدي عليه السلام، والعلامات المتعلقة بهذا الخروج، وقد ذكر الشهيد الكربلائي في طيّات أبياته المتقدمة، واحدة من مجموعة من العلامات التي ورد ذكرها في الروايات ان هذا الأمر لا يكون إلا بعد حصولها، فقد روى الشيخ الطوسي في الغيبة، عن حذلم بن بشير، قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: صف لي خروج المهدي، وعرّفني دلائله وعلاماته؟ فقال: «يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت، وقتله بمسجد دمشق، ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثمَ يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس»[1].

وفي رواية النعماني في معتبرة البزنطي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام انه قال: «قبل هذا الأمر السفياني واليماني والمرواني وشعيب بن صالح، فكيف يقول هذا هذا»[2].

ويبدو أن هذا الرجل هو عبارة عن قائد عسكري كبير ومحنك، يقف إلى جانب الإمام المهدي ويكون على مقدمة جيشه، وأنه من بني تميم، وعن الحسن، قال: «يخرج بالريّ رجل ربعة، أشمّ، موالٍ لبني تميم، كوسج، يقال له «شعيب بن صالح» في أربعة آلاف، ثيابهم بيض، وراياتهم سود، يكون على مقدمة المهدي، لا يلقاه أحدٌ إلا قتله»[3].

---

(١) حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي، أحمد حسين يعقوب: ص٦٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٢ ص٢٣٣.

(٣) عقد الدرر: ص١٧٤ ـ ١٧٥.

وهناك من يرى ان المراد بهذا الرجل، هو شعيب بن صالح النبي صلى الله عليه وآله وليس شخصاً آخر، لا سيما وقد روت كتب المسلمين، أن هناك مجموعة من الأنبياء سوف يخرجون مع الإمام المهدي، كالسيد المسيح والخضر وإلياس، ومن ثم يمكن ان يكون نبي الله شعيب بن صالح، نازلاً مع الأنبياء.

وقد ورد في تفاسير أهل البيت، في تفسير الآية الكريمة من سورة هود:

﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1].

حكاية عن حديث شعيب مع قومه، والتي سوف يقرأها الإمام المهدي عليه السلام بعد خروجه على قومه[2].

وعلى كلا الاتجاهين، يبدو أن الشهيد الكربلائي عبد الله بن يقطر رضي الله عنه كانت الصورة عنده واضحة في خصوص حركة الإمام المهدي عليه السلام، وتفاصيل هذه الحركة المباركة، بل إن الإنسان يلمس من خلال هذه الإبيات الشعرية والكلمات التي صيغت بها، ان هذه القضية قد لامست كل شعوره ووجدانه، حتى عبر عنها بأبيات من الشعر، بيّن بها إيمانه وتفاعله مع هذه العقيدة المقدسة، التي هي امتداد للثورة الحسينية المباركة، والذي يعد الشهيد أحد بُناتها ومُشيّدي مجدها، من هنا نفهم سر الروايات الكثيرة التي وردت عن الإمام الحسين عليه السلام في خصوص حركة الإمام المهدي عليه السلام، وسُرِّ مجيء الإمام المهدي إلى كربلاء أولاً دون سواها من الأماكن المقدّسة في العراق.

---

(١) هود/ ٨٦.

(٢) نور الابصار: ص١٧٢.

واكتفي أخيراً بذكر رواية واحدة عن الحسين عليه السلام أنه قال: «لا يكون الأمر الذي تنتظرونه حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويشهد بعضكم على بعض، ويلعن بعضكم بعضاً، قال الرواي قلت: ما في ذلك الزمان من خير، فقال عليه السلام: الخير كله في ذلك الزمان، يخرج المهدي ويرفع ذلك كله»(١).

مهمة الشهيد عبد الله بن يقطر عليه السلام

كلمة لابد منها: أبدى الكثير من المؤرخين فضلاً عن الكُتَّاب المُحدَثين، لاسيما المحققين منهم، وهم يتحدثون عن الشهيد عبد الله بن يقطر رضي الله عنه والشهيد قيس بن مُسِّهر الصيداوي، عن صعوبة الخوض في مهمة كل واحد منهما، وما ذاك إلا لتداخل مهمتيهما من جانب، وعدم وضوح الروايات التي تحدثت عنهما من جانب آخر، فضلاً عن تشابه النهاية التي انتهى إليها كلاهما، من هنا يجد القارئ حالة الشك والتردد واضحة عند من كتب وتحدث عنهما، يقول الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد: «ولما بلغ الحسين عليه السلام الحاجز من بطن الرمة، بعث قيس ابن مسِّهر الصيداوي، ويقال: بل بعث أخاه من الرضاعة عبد الله بن يقطر رضي الله عنه»(٢).

ويعلق السيد محسن الأمين في كتابه القيّم المجالس السنية بقوله: «وقع اشتباه هنا من بعض المؤرخين بين قصة قيس بن مسِّهر الصيداوي رسول الحسين عليه السلام إلى أن الذي قبض عليه هو الحصين بن تميم وأرسله إلى زياد فأمر أن يسبَّ الحسين وأباه ففعل ضد ذلك، فألقاه من أعلى القصر، وبين قصة عبد الله

---

(١) عقد الدرر: ص٦٣.

(٢) الارشاد للشيخ المفيد: ج٢ ص٧٠، العوالم (الإمام الحسين): ج٢ ص٢٢٩.

ابن يقطر الذي أرسله ابن عقيل إلى الحسين عليه السلام فقبض عليه الحصين أيضاً وجرى عليه نظير ما جرى لقيس»[1].

ولذلك نحاول في هذه الدراسة المتواضعة أن نسلط الأضواء على أهم الآراء والأقوال التي ذكرها العلماء في كتبهم أو التي يمكن ان يتلمسها الإنسان في طيّات كلماته، والتي نحاول أن نجمعها ونرتبها إلى ما يلي:

الرأي الأول

ويرى أصحابه أن الحسين عليه السلام سرّح عبد الله بن يقطر رضي الله عنه، إلى مسلم بن عقيل في جواب كتابه الذي أخبره باجتماع الناس ومبايعتهم له، وفي طريقه إلى الكوفة ألقى عليه القبض الحصين بن نمير في القادسية، يقول أصحاب السير والتواريخ: «لما بلغ الإمام الحسين الحاجز من بطن الرمّة، بعث إلى أهل الكوفة كتاباً، وقال فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم: من الحسين بن عليّ إلى وجوه إخوانه المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فإنّي أحمدُ اليكم الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، وإجماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله ان يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر. وقد شخصت اليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجة يومَ التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[2].

(١) المجالس السنية: ج١ ص٧٠.

(٢) الارشاد للشيخ المفيد: ج٢ ص٧٠. روضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ص١٧٧.

وطوى الإمام الكتاب وختمه بختمه، ودفعه إلى عبد الله بن يقطر، كما يذهب إلى ذلك الفتال النيسابوري في روضة الواعظين وغيره»[(١)].

ويقول الشيخ السماوي: قال أهل السير: «إنّ عبد الله بن يقطر سرحه الحسين عليه السلام إلى مسلم بن عقيل بعد خروجه من مكة في جواب كتاب مسلم إلى الحسين عليه السلام يسأله القدوم.

ويخبره باجتماع الناس، فقبض عليه الحصين بن تميم بالقادسية وأرسله إلى عبيد الله بن زياد »[(٢)].

فبناءً على هذا الرأي يكون الشهيد عبد الله بن يقطر قد أُلقي عليه القبض وهو رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة.

الرأي الثاني

ويذهب أصحابه إلى أن الشهيد قد سرّحه الحسين عليه السلام مع مسلم بن عقيل عند مغادرته مكة إلى الكوفة، وظل معه مراقباً للاوضاع، حتى إذا حصل الانقلاب المفاجئ في الكوفة، بعثه مسلم بن عقيل بكتاب إلى الحسين عليه السلام يشرح فيه ما جرى وحصل عليه آخر الأمر، فيقول الشيخ السماوي نقلاً عن ابن قتيبة وابن مسكويه إنهما قالا: «إن عبد الله بن يقطر بعثه الحسين عليه السلام مع مسلم، فلما أن رأى مسلم الخذلان قبل ان يتم عليه ما تم، بعث عبد الله إلى الحسين عليه السلام يخبره بالأمر»[(٣)].

---

(١) روضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ص١٧٧.

(٢) إبصار العين للشيخ السماوي: ص٩٣.

(٣) إبصار العين للشيخ السماوي: ص٩٣.

وهناك من يختلف مع اصحاب هذا الرأي في وقت رجوع الشهيد عبد الله ابن يقطر رضي الله عنه، حيث يذهبون إلى أنه كان قبل الخذلان والانقلاب الذي حصل في الكوفة، وتحديداً عندما بلغ عدد المبايعين رقماً كبيراً، فُبعث ليبشر الحسين عليه السلام بذلك، فقبض عليه مالكُ بن يربوع التميمي، يقول ابن شهراشوب في مناقب آل أبي طالب: «أن ابن زياد بعد أن زار شريكاً في مرضه، في بيت هانئ، وجرى ما جرى من خطة اغتياله، فخرج، فلمّا دخل القصر أتاه مالك بن يربوع بكتاب أخذه من يد عبد الله بن يقطر رضي الله عنه وفي الرسالة: «أمّا بعد، فإني أخبرك أنه قد بايعك كذا، فإذا أتاك كتابي... الخ»[1].

وعلى كلا التفسيرين يكون الشهيد عبد الله قد اُلقي عليه القبض وهو رسول مسلم بن عقيل إلى الحسين عليه السلام.

الرأي الثالث

وهو القائل بأن الشهيد عبد الله بن يقطر رضي الله عنه بعثه الحسين وهو في طريقه إلى الكوفة، بعد أن انقطعت عنه أخبارها، وبعد أن بعث قيس بن مسّهر الصيداوي رضي الله عنه إنقطاع اخباره عنه عليه السلام، يقول علي بن محمد الفتّال النيسابوري: «ويجوز أنه أرسل إليهم كتابين: أحدهما مع عبد الله بن يقطر، والآخر مع قيس بن مسهّر الصيداوي»[2].

وربما يستشف مثل هذا الرأي من ظاهر كلمات السيد محسن الأمين في

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٩٤.

(٢) روضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ص١٥٢.

مجالسه السنية حيث يقول: «إن الوضع قد بلغ الحد الذي يدفع إلى المواجهة وإلى القتال الصريح مهما تكن القوة التي تجابهه؛ وقد تأكد له الموقف بعد ذلك حين أرسل قيساً بن مسهِّر الصيداوي فقُتل هو الآخر، ثمَّ عاد فارسل عبد الله بن يقطر فأُلقي من شرفات القصر»[١].

ويقول سعيد أيوب في كتابه معالم الفتن: «ولكي يطوقهم الحسين عليه السلام بطوق الحجة مرة أخرى، بعث إليهم عبد الله بن يقطر، وما حدث لقيس حدث لابن يقطر فلقد تلقته خيل الحصين بن نمير بالقادسية، وبعث به إلى ابن زياد...»[٢].

وتبقى الاحتمالات قائمة: ما تقدم يمثل أهم الآراء التي ذكرها العلماء في الشهيد عبد الله بن يقطر رضي الله عنه، وقد حاولنا قدر استطاعتنا أن نعطي صورة للقارئ الكريم، ولو سريعة، بما ذكر وكتب عن مهمة الشهيد رضي الله عنه، على أن الأمر يحتاج إلى مزيدٍ من البحث والدراسة، وتبقى مع كل رأي من الآراء المتقدمة احتمالات الصحة والمطابقة للواقع قائمة.

وقت شهادة عبد الله بن يقطر: لقد ذكر العلماء في كتبهم جملة من الروايات التي تحدثت عن وقت شهادة الشهيد عبد الله بن يقطر، والمتتبع لهذا الروايات يجد أن كل واحدة لا تجتمع مع الآخرى في الوقت، وأهم هذه الروايات في تقديرنا ثلاثة:

الأولى: وهي التي تزعم أن وقت شهادة الشهيد كان قبل انقلاب الأوضاع

---

(١) المجالس السنية للسيد محسن الأمين: ج٢ ص٢٩٥.

(٢) معالم الفتن: ج٢ ص٢٧١.

في الكوفة بشكل كامل، وتحديداً في أول ليلةٍ قدم فيها ابن زياد إلى الكوفة كما يذكر ذلك ابن عساكر وغيره.

حيث ورد: «وأتي تلك الليلة برسول الحسين عليه السلام وقد كان ارسله إلى مسلم ابن عقيل وكان يقال له: عبد الله بن يقطر فقتله»(١).

ومثل هذه الرواية يَبعُد قبولها، لا سيما وهي تتحدث عن الليلة الأولى التي دخل فيها عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، وهي الليلة التي احتاج فيها ابن زياد إلى كثير من التأمل في واقع الكوفة، وما يجري فيها، من أجل وضع الخطط المناسبة لها، والقادرة على مواجهتها، كوضع الجاسوس معقل وغيره، ومن ثم، فإن مثل هذه الأمور تحتاج إلى وقت حتى يمكن ان تنفّذ، ومن ثم يستتب له الأمر، ثم يصنع بعد ذلك ما يشاء من ترويع وقتل.

هذا كله، إضافة إلى أن أمراً خطيراً ـ كقتل الشهيد عبد الله بن يقطر ـ وبالكيفية التي سوف نتحدث عنها لابد أنها سوف تترك أثراً كبيراً في نفوس الناس وإذا كان مثل هذا الأمر متوقعاً فلا شك أن مسلماً وهانئاً وغيرهما من شخصيات الحركة في الداخل سوف يحاولون أن يتخذوا ـ قدر استطاعتهم ـ كافة الاحتياطات لمواجهة ابن زياد حتى لا يتحولوا إلى لقمة سائغة له، وهذا ما لم يحصل، مما يعني ان شهادة عبد الله بن يقطر لم تحصل في الزمان الذي ادعته هذه الرواية.

الرواية الثانية: وهي الرواية التي يفهم من ظاهرها ان الشهيد عبد الله بن

(١) ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين: ص٣٢٧.

يقطر، قد قتل بعد شهادة مسلم بن عقيل عليه السلام، وهانيء بن عروة، يقول الطبري: «حتى إذا انتهى إلى زبالة سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن يقطر وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل، في الطريق وهو لا يدري أنه قد اصيب فتلقاه خيل الحصين بن تميم بالقادسية، فسرح به إلى عبيد الله بن زياد... الخ»[1].

فإن الحصين بن نمير (تميم) لم يُسرَّح خارج الكوفة على الخيل إلا بعد شهادة مسلم بن عقيل عليه السلام وانقلاب الاوضاع في الكوفة.

الرواية الثالثة: وهي الرواية التي ربما تكون هي الاقرب إلى وقت اعتقال الشهيد وشهادته إلى انه رضي الله عنه اعتقل في نفس وقت اعتقال هانيء أو قبله بقليل، يقول ابن اعثم: «فبينا عبيد الله مع القوم في هذه المحاورة إذ دخل رجل من أصحابه، يقال له مالك بن يربوع التميمي، فقال: أصلح الله الأمير: ها هنا خبر، فقال ابن زياد: ما ذاك؟ قال: كنت خارج الكوفة أجول على فرسي، إذ نظرت رجلاً خرج من الكوفة مسرعاً يريد البادية فأنكرته، ثم إني لحقته وسألته عن حاله، فذكر أنه من المدينة، فنزلت عن فرسي وفتشته فأصبت معه هذا الكتاب... الخ»[2].

ومما يؤكد هذه الرواية، ما رواه ابن شهراشوب في المناقب من أن وقت اعتقال الشهيد كان بعد خروج عبيد الله بن زياد من بيت هانيء، يقول: «فتوهم ابن زياد وخرج (من بيت هانيء) فلما دخل القصر أتاه مالك بن يربوع بكتاب أخذه من يدي عبد الله بن يقطر»[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٠٣.

(٢) الفتوح لابن اعثم ٥: ص٤٥.

(٣) المناقب لابن شهراشوب ٣: ٢٤٣.

ومن ثم يكون الشهيد قد اعتقل بوقت مقارب جداً إلى وقت اعتقال هانيء، الذي لم تكن قد سُكِّرت فيه الطرق خارج الكوفة، ولم يرسل بعد اليها الحصين ابن نمير (تميم)، ومن ثم يكون اعتقال الشهيد قد تمّ بشكل فردي وبجهد شخصي من قبل مالك بن يربوع التميمي ومن معه، والذي نسب وقوفه خارج الكوفة في ذلك الوقت إلى نفسه حيث قال: «أجول على فرسي، مما يعني أن الأوامر لم تصدر بعد إلى الشرطة وغيرهم بالخروج خارج الكوفة وتسكير الطرق على الداخلين إليها والخارجين منها).

كيفية شهادة الشهيد عبد الله بن يقطر: روى الطبري في تاريخه، والشيخ المفيد في الارشاد وغيرهما كثير ان ابن زياد قال للشهيد: «اصعد القصر والعن الكذّاب ابن الكذّاب! ثم انزل حتى ارى فيك رأيي. فصعد القصر، فلمّا أشرف على الناس قال: أيها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول اللهﷺ إليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سمية الدعيّ ابن الدعيّ، فأمر به عبيد الله فألقي من فوق القصر إلى الارض، فتكسرت عظامه وبقي به رمق فأتاه عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه بمدية، فلما عيب عليه قال: إني اردت ان أريحه»[1].

ولك ان تتصور معي، ويتصورها كل من يقرأ هذا النص، كم هي صلبة وقوية عقيدة الشهيد رضي الله عنه الذي لم يعبأ بكل طغيان ابن زياد، وغطرسته، حتى انه ما تردد في إيصال رسالته إلى الناس، ولك ان تتصور معي، حال ابن زياد واقفاً وهو

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٠٣، الارشاد للشيخ المفيد ٢: ٧٠، إبصار العين: ص٩٣.

يسمع الصفعات تلو الصفعات، التي افقدته توازنه، حتى ان الإنسان ليتلمس انهيار ابن زياد من خلال الأمر الذي اصدره بحق الشهيد، ان يُصعد به أعلى القصر ويُرمى من سطحه إلى الارض.

ولك أن تتصور معي قاضي الكوفة ومفتيها الذي بلغ من العمر عتيا، وهو يعيش الصغار والضعة والذلة في نفسه، في أعلى صورها واشكالها، يبرز أمام الناس مفتخراً، إلى جهة الشهيد عبد الله بن يقطر وهو يجود بنفسه على الأرض، من أجل ان يثبت لابن سمية مدى طاعته له ولسيده الفاجر يزيد، من خلال اقدامه على ارتكاب جريمة يندى لها جبين الإنسانية قبل الدين، والعجيب في أمر هذا الرجل، انه حينما ذُمَّ وعُنّف على فعله هذا! اعتذر بقوله: انما أردت ان اريحه، عذرٌ أشد قبحاً من فعله.

الشهيد عبد الله بن يقطر ومنهجية القتل الأموي

أن من يقرأ ويتأمل في سيرة بني أمية، منذ أن اعتلى معاوية بن أبي سفيان سدة الحكم ظلماً وعدواناً، وماتلاه من أقطاب هذه المدرسة الأموية، على صدر الأمة الإسلامية، ليجد وبشكل واضح، أن هناك منهجاً مدروساً، وسياسةً محكمة، أُختيرت منذ اليوم الأول، وأريد لها أن تستمر في حياة هذه الأمة، من أجل القضاء على هذا الدين من الداخل، بعد ان عجزت عن مواجهته من الخارج، فقد قررت هذه المدرسة منذ يومها الأول، ان تواجه من يقف أمام انحرافها وظلمها واستهتارها بمقدرات الإسلام والمسلمين، بأبشع صور الارهاب والقتل والتشريد، وربما لا يحتاج الإنسان كثير عناءٍ من أجل إثبات هذه الحقيقة التاريخية أو

التدليل عليها، فنظرة سريعة إلى ما صنعه حكام بني أمية واشياعهم واتباعهم مع شخصيات هذه الأمة ورموزها الإسلامية، من مآسٍ وويلات، يمثل أعظم دليل يمكن أن يقدم في هذا المجال، فهذا حجر بن عدي صاحب رسولﷺ، بل من أفاضل اصحابه، كثير الصلاة والصيام[1]، يقتل وبأشبع صورة مع ثلة من اصحابه البررة بيد معاوية بن أبي سفيان[2]، وذاك رشيد الهجري يقطع لسانه، ويصلب على باب عمرو بن حريث[3]، ونفس الطريق جرت مع ميثم التمار وقنبر وو.. وقائمة الاسماء تطول مع اجرام بني أمية وظلمهم، ويبدو ان شهادة الشهيد الكربلائي عبد الله بن يقطر، جاءت ضمن منهج هذه الفئة مع أبناء هذه الأمة، لا سيما أتباع أهل البيتعليهم السلام والمتمسكين بولايتهم.

ومن الغريب حقاً، ان تصوّر هذه الشخصيات الظالمة، عبر التاريخ إلى يومك هذا، على أنها خدمت الإسلام والمسلمين، بعدلها الزائف، وحلمها الكاذب، وورعها الذي لا يمت إلى الواقع بصلة، ومن ثم يُمجَّد زياد بن أبيه، وابنه عبيد الله وبعدهم الحجاج وغيرهم من رموز الارهاب والقمع الاموي، على اساس أنهم اصحاب قوة وحزم كبيرين في إدارة شؤون العباد والبلاد، وينسون أويتناسون بعبارة أصح جرائمهم التي ارتكبوها عبر التاريخ والى يومك هذا، والتي ملأت كتب المسلمين، وباعتقادي ان هذا الأمر يمثل امتداداً لهذه السياسة الأموية السفيانية التي ابتدعها معاوية، في التعامل مع معارضيه والخارجين عليه وكل من

---

(١) الاستيعاب لابن عبد الله ١ : ٣٣١ .

(٢) تاريخ دمشق ١٢ : ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

(٣) لسان الميزان للذهبي ٢ : ٤٦١ (رقم ١٨٥٩) .

يكتم هذه السياسة أو يتستر عليها أو حتى يقلل من مأساتها، فهو من منفذي هذه السياسة الأموية والداعين إليها.

وما الترويع الذي يجري للآمنين من أتباع أهل البيت عليهم السلام، في كل أرض يطؤوها، من قبل أتباع بني أمية ـ من الوهابية وغيرهم ـ إلا اقتفاءً لأمر سيِّدهم معاوية بن أبي سفيان في عليّ عليه السلام وفي قتل مَنْ يروي شيئاً في فضائل أبي تراب، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن قد برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب»[1].

الحسين يؤبن الشهيد عبد الله بن يقطر

ورد في كتاب مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف، أن الحسين عليه السلام لما أخبر بقتل رسوله عبد الله بن يقطر، تغرغرت عينه بالدموع، وفاضت على خديه، ثم قال:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[2][3].

الحسين يوسع من مفهوم الآية: «مِنَ الْمُؤْمِنينَ رِجالٌ... »:

لقد أشار الحسين عليه السلام، وهو في معرض التأبين للشهيد عبد الله بن يقطر، إلى أن الآية الكريمة لا تنحصر في شهداء بدر فقط، كما تذهب إلى ذلك بعض الروايات، ينقل القرطبي في تفسيره عن أنس قال: قال عمي أنس بن النضر ـ

---

(١) شرح الخطبة (٢٠٨)، طبعة مصر الأولى ٣: ١٥ ـ ١٦.

(٢) الأحزاب/ ٢٣.

(٣) تفسير نول الثقلين ٤: ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

سميت به ـ ولم يشهد بدراً مع رسول اللهﷺ، فكبر عليه فقال: أول مشهد شهده رسول الله غبت عنه، أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول اللهﷺ فيما بعد ليدين الله ما أصنع.

قال: فهاب ان يقول غيرها، فشهد مع رسول اللهﷺ يوم أحد من العام القابل إلى ان يقول فقاتل حتى قتل... ونزلت الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...»[١].

ويقول الطبري: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه»: أي: وفوا الله بما عاهدوه عليه «فمنهم من قضى نحبه» أي فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر وأحد[٢]. وآخرين[٣].

بينما أراد الحسينعليه السلام، ان يعطي للآية مفهوماً أوسع بحيث يشمل كل اولئك الذين سقطوا ويسقطون في طريق الدين، والوقوف أمام الظالمين، يقول الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل: للآية مفهوم واسع يشمل كل شهداء الإسلام الذين استشهدوا قبل معركة الأحزاب، وكل من كان منتظراً للنصر أو الشهادة، وكان على رأسهم رجال كحمزة سيد الشهداء وعليّعليه السلام، ولذلك ورد في تفسير الصافي: أن اصحاب الحسينعليه السلام بكربلاء كان كلّ من أراد الخروج للقتال ودّع الحسينعليه السلام وقال: السلام عليك يا بن رسول الله فيجيبه: وعليك السلام

(١) تفسير القرطبي ١٤ : ١٤٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٠ : ٢٣٨.

(٣) تفسير اليعقوبي ٦ : ٣٣٧.

ونحن خلفك، ويقرأ:

﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾.

ويستفاد من كتب المقاتل أنّ الإمام الحسين عليه السلام تلا هذه الآية عند أجساد شهداء آخرين كمسلم بن عوسجة، وحين بلغه خبر شهادة عبد الله بن يقطر، ومن هنا يتضح أنّ للآية مفهوماً واسعاً يشمل كلّ المؤمنين المخلصين الصادقين في كلّ عصر وزمان، سواء من ارتدى منهم ثوب الشهادة في سبيل الله، أُمّ من ثبت على عهده مع ربه، ولم يتزعزع، وكان مستعداً للجهاد والشهادة[1].

(١) تفسير الأمثل ١٣ : ٢٠١ ـ ٢٠٢.

المحتويات

كم هو عدد أصحاب الحسين عليه السلام؟

تعبئة الحسين عليه السلام كانت عامة وليست خاصة بالاصحاب

الشهيد مسلم بن عوسجة

الشهيد حنظلة بن سعد الشبامي

الشهيد كردوس التغلبي رحمه الله

الشهيد بشر بن عمرو الحضرمي الكندي عليه السلام

الشهيد يزيد بن زياد بن مهاجر الكندي

البهدلي أبو الشعثاء عليه السلام

الشهيد عمّار بن حسّان بن شريح الطائي عليه السلام

الشهيد عبدُ الله بن يقطر عليه السلام